



www.
www.
www.
www. **Ghaemiyeh** .com
.org
.net
.ir

صَلَوةُ الْحَمْدِ عَلَيْهِ

السيد شرف الدين



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

صلح الحسن عليه السلام

كاتب:

عبدالحسين شرف الدين

نشرت في الطباعة:

موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البيت (ع)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٧	صلح الحسن عليه السلام
١٧	إشارة
١٧	صفحة ١
١٧	صفحة ٢
١٧	صفحة ٣
١٨	صفحة ٤
١٨	صفحة ٥
١٩	صفحة ٦
١٩	صفحة ٧
٢٠	صفحة ٨
٢١	صفحة ٩
٢١	صفحة ١٠
٢٢	صفحة ١١
٢٣	صفحة ١٢
٢٣	صفحة ١٣
٢٤	صفحة ١٤
٢٥	صفحة ١٥
٢٥	صفحة ١٦
٢٦	صفحة ١٧
٢٦	صفحة ١٨
٢٧	صفحة ١٩
٢٨	صفحة ٢٠

٢٨	صفحة ٢١
٢٩	صفحة ٢٢
٣٠	صفحة ٢٣
٣٠	صفحة ٢٤
٣١	صفحة ٢٥
٣١	صفحة ٢٦
٣٢	صفحة ٢٧
٣٣	صفحة ٢٨
٣٣	صفحة ٢٩
٣٤	صفحة ٣٠
٣٥	صفحة ٣١
٣٥	صفحة ٣٢
٣٦	صفحة ٣٣
٣٦	صفحة ٣٤
٣٧	صفحة ٣٥
٣٨	صفحة ٣٦
٣٨	صفحة ٣٧
٣٩	صفحة ٣٨
٣٩	صفحة ٣٩
٤٠	صفحة ٤٠
٤١	صفحة ٤١
٤١	صفحة ٤٢
٤٢	صفحة ٤٣
٤٣	صفحة ٤٤

٤٣	صفحة ٤٥
٤٤	صفحة ٤٦
٤٤	صفحة ٤٧
٤٥	صفحة ٤٨
٤٦	صفحة ٤٩
٤٧	صفحة ٥٠
٤٧	صفحة ٥١
٤٨	صفحة ٥٢
٤٩	صفحة ٥٣
٤٩	صفحة ٥٤
٥٠	صفحة ٥٥
٥٠	صفحة ٥٦
٥١	صفحة ٥٧
٥٢	صفحة ٥٨
٥٢	صفحة ٥٩
٥٣	صفحة ٦٠
٥٤	صفحة ٦١
٥٤	صفحة ٦٢
٥٥	صفحة ٦٣
٥٦	صفحة ٦٤
٥٦	صفحة ٦٥
٥٧	صفحة ٦٦
٥٨	صفحة ٦٧
٥٨	صفحة ٦٨

٥٩	صفحة ٦٩
٥٩	صفحة ٧٠
٦٠	صفحة ٧١
٦١	صفحة ٧٢
٦١	صفحة ٧٣
٦٢	صفحة ٧٤
٦٢	صفحة ٧٥
٦٣	صفحة ٧٦
٦٤	صفحة ٧٧
٦٥	صفحة ٧٨
٦٥	صفحة ٧٩
٦٦	صفحة ٨٠
٦٦	صفحة ٨١
٦٧	صفحة ٨٢
٦٨	صفحة ٨٣
٦٨	صفحة ٨٤
٦٩	صفحة ٨٥
٧٠	صفحة ٨٦
٧١	صفحة ٨٧
٧١	صفحة ٨٨
٧٢	صفحة ٨٩
٧٢	صفحة ٩٠
٧٣	صفحة ٩١
٧٤	صفحة ٩٢

٧٤	صفحة ٩٣
٧٥	صفحة ٩٤
٧٦	صفحة ٩٥
٧٧	صفحة ٩٦
٧٧	صفحة ٩٧
٧٨	صفحة ٩٨
٧٨	صفحة ٩٩
٧٩	صفحة ١٠٠
٧٩	صفحة ١٠١
٨٠	صفحة ١٠٢
٨٠	صفحة ١٠٣
٨١	صفحة ١٠٤
٨٢	صفحة ١٠٥
٨٢	صفحة ١٠٦
٨٣	صفحة ١٠٧
٨٤	صفحة ١٠٨
٨٤	صفحة ١٠٩
٨٥	صفحة ١١٠
٨٥	صفحة ١١١
٨٦	صفحة ١١٢
٨٦	صفحة ١١٣
٨٧	صفحة ١١٤
٨٨	صفحة ١١٥
٨٨	صفحة ١١٦

٨٩	صفحة ١١٧
٩٠	صفحة ١١٨
٩٠	صفحة ١١٩
٩١	صفحة ١٢٠
٩٢	صفحة ١٢١
٩٢	صفحة ١٢٢
٩٣	صفحة ١٢٣
٩٣	صفحة ١٢٤
٩٤	صفحة ١٢٥
٩٤	صفحة ١٢٦
٩٥	صفحة ١٢٧
٩٦	صفحة ١٢٨
٩٦	صفحة ١٢٩
٩٧	صفحة ١٣٠
٩٨	صفحة ١٣١
٩٨	صفحة ١٣٢
٩٩	صفحة ١٣٣
١٠٠	صفحة ١٣٤
١٠١	صفحة ١٣٥
١٠٢	صفحة ١٣٦
١٠٢	صفحة ١٣٧
١٠٣	صفحة ١٣٨
١٠٤	صفحة ١٣٩
١٠٤	صفحة ١٤٠

١٠٥	صفحة ١٤١
١٠٦	صفحة ١٤٢
١٠٦	صفحة ١٤٣
١٠٧	صفحة ١٤٤
١٠٧	صفحة ١٤٥
١٠٨	صفحة ١٤٦
١٠٩	صفحة ١٤٧
١٠٩	صفحة ١٤٨
١١٠	صفحة ١٤٩
١١١	صفحة ١٥٠
١١١	صفحة ١٥١
١١٢	صفحة ١٥٢
١١٣	صفحة ١٥٣
١١٣	صفحة ١٥٤
١١٤	صفحة ١٥٥
١١٤	صفحة ١٥٦
١١٥	صفحة ١٥٧
١١٦	صفحة ١٥٨
١١٦	صفحة ١٥٩
١١٧	صفحة ١٦٠
١١٨	صفحة ١٦١
١١٨	صفحة ١٦٢
١١٩	صفحة ١٦٣
١١٩	صفحة ١٦٤

١٢٠	صفحة ١٦٥
١٢١	صفحة ١٦٦
١٢١	صفحة ١٦٧
١٢٢	صفحة ١٦٨
١٢٢	صفحة ١٦٩
١٢٣	صفحة ١٧٠
١٢٤	صفحة ١٧١
١٢٤	صفحة ١٧٢
١٢٥	صفحة ١٧٣
١٢٦	صفحة ١٧٤
١٢٧	صفحة ١٧٥
١٢٧	صفحة ١٧٦
١٢٨	صفحة ١٧٧
١٢٨	صفحة ١٧٨
١٢٩	صفحة ١٧٩
١٣٠	صفحة ١٨٠
١٣٠	صفحة ١٨١
١٣١	صفحة ١٨٢
١٣٢	صفحة ١٨٣
١٣٢	صفحة ١٨٤
١٣٣	صفحة ١٨٥
١٣٣	صفحة ١٨٦
١٣٤	صفحة ١٨٧
١٣٤	صفحة ١٨٨

١٣٥	صفحة ١٨٩
١٣٦	صفحة ١٩٠
١٣٦	صفحة ١٩١
١٣٧	صفحة ١٩٢
١٣٧	صفحة ١٩٣
١٣٨	صفحة ١٩٤
١٣٨	صفحة ١٩٥
١٣٩	صفحة ١٩٦
١٤٠	صفحة ١٩٧
١٤٠	صفحة ١٩٨
١٤١	صفحة ١٩٩
١٤١	صفحة ٢٠٠
١٤٢	صفحة ٢٠١
١٤٢	صفحة ٢٠٢
١٤٣	صفحة ٢٠٣
١٤٤	صفحة ٢٠٤
١٤٤	صفحة ٢٠٥
١٤٥	صفحة ٢٠٦
١٤٦	صفحة ٢٠٧
١٤٦	صفحة ٢٠٨
١٤٧	صفحة ٢٠٩
١٤٨	صفحة ٢١٠
١٤٨	صفحة ٢١١
١٤٩	صفحة ٢١٢

١٤٩	صفحة ٢١٣
١٥٠	صفحة ٢١٤
١٥١	صفحة ٢١٥
١٥١	صفحة ٢١٦
١٥٢	صفحة ٢١٧
١٥٣	صفحة ٢١٨
١٥٣	صفحة ٢١٩
١٥٤	صفحة ٢٢٠
١٥٤	صفحة ٢٢١
١٥٥	صفحة ٢٢٢
١٥٦	صفحة ٢٢٣
١٥٦	صفحة ٢٢٤
١٥٧	صفحة ٢٢٥
١٥٨	صفحة ٢٢٦
١٥٩	صفحة ٢٢٧
١٦٠	صفحة ٢٢٨
١٦٠	صفحة ٢٢٩
١٦١	صفحة ٢٣٠
١٦١	صفحة ٢٣١
١٦٢	صفحة ٢٣٢
١٦٣	صفحة ٢٣٣
١٦٣	صفحة ٢٣٤
١٦٤	صفحة ٢٣٥
١٦٥	صفحة ٢٣٦

١٦٥	صفحة ٢٣٧
١٦٦	صفحة ٢٣٨
١٦٧	صفحة ٢٣٩
١٦٨	صفحة ٢٤٠
١٦٩	صفحة ٢٤١
١٧٠	صفحة ٢٤٢
١٧١	صفحة ٢٤٣
١٧١	صفحة ٢٤٤
١٧٢	صفحة ٢٤٥
١٧٢	صفحة ٢٤٦
١٧٣	صفحة ٢٤٧
١٧٤	صفحة ٢٤٨
١٧٥	صفحة ٢٤٩
١٧٥	صفحة ٢٥٠
١٧٦	صفحة ٢٥١
١٧٧	صفحة ٢٥٢
١٧٧	صفحة ٢٥٣
١٧٨	صفحة ٢٥٤
١٧٩	صفحة ٢٥٥
١٧٩	صفحة ٢٥٦
١٨٠	صفحة ٢٥٧
١٨١	صفحة ٢٥٨

١٨٢	صفحة ٢٦١
١٨٢	صفحة ٢٦٢
١٨٣	صفحة ٢٦٣
١٨٤	صفحة ٢٦٤
١٨٤	صفحة ٢٦٥
١٨٥	صفحة ٢٦٦
١٨٦	صفحة ٢٦٧
١٨٧	تعريف مركز القائمة باصفهان للتمرييات الكمبيوترية

صلح الحسن عليه السلام

اشارة

Sharaf-Din, Abdul Husayn, م ١٨٧٣-١٩٥٨، مقدمه عبدالحسين شرف الدين العاملی
ناشر: موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البيت (ع)
موضوع: صلح با معاویه
حسن بن علی (ع)، امام دوم، ٣٥٠ق.

صفحه ٠٠١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١
صلح الحسن عليه السلام مقدمه الامام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملی
(١)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن على الماجتبی عليهما السلام (١)، السيد عبد الحسين شرف الدين (١)، صلح (يوم) الحدیثة (١)

صفحه ٠٠٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢
الفهرس
(٢)

صفحه ٠٠٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣
المقدمة القسم الأول الإمام الحسن "ع" القسم الثاني: في الموقف السياسي قبل البيعة البيعة قبول الخلافة الكوفة أيام البيعة التصميم على الحرب النغير والقيادة عدد الجيش عناصر الجيش عبيد الله بن عباس القسم الثالث: الصلح، دوافع الفريقين للصلح معاهدة الصلح صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان دراسة النصوص البارزة في المعاهدة الاجتماع في الكوفة الميدان الجديد الوفاء بالشروط هكذا بايع معاویه لزید معاویه وشیعه على "عليه السلام" معاویه وزعماء الشیعه أ - الشهداء المقتولون صبرا..

(١) حجر بن عدى الكندي) السبب في قتله موقف الكوفة في حادثة حجر مقتله فاجنته في المسلمين الأحاديث في حجر وأصحابه الشهداء من أصحاب حجر ٢ - عمرو بن الحمق الخزاعي ٣ - عبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه ٤ - رشيد الھجرى ٥ - جويرية بن مسهر العبدى ٦ - أوفى بن حصن التعذيب بغير القتل ب - زعماء الشیعه المرعون..

(١) عبد الله بن هاشم المرقال) ٢ - عدى بن حاتم الطائى ٣ - صعصعة بن صوحان ٤ - عبد الله بن خليفه الطائى نهاية المطاف خاتمه: في الموارنة بين ظروف الحسن وظروف الحسين ١ - ظروفهما من أنصارهما ٢ - ظروفهما من أعدائهما (٣)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٣)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، عبد الله بن خليفة الطائي (١)، عبد الله بن يحيى الحضرمي (١)، عبد الله بن هاشم (١)، حجر بن عدى الكندي (١)، جويرية بن مسهر (١)، صعصعة بن صوحان (١)، عدى بن حاتم (١)، رشيد الهمجي (١)، عمرو بن الحمق (١)، الشهادة (١)

صفحة ٤٠٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥

بسم الله الرحمن الرحيم كان صلح الحسن عليه السلام مع معاوية، من أشد ما لقيه أئمة أهل البيت من هذه الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد به الحسن عليه السلام محسناً يضيق بها الوسع، لا قوّة لاحد عليها إلا بالله عز وجل. لكنه رضخ لها صابراً محتسباً، وخرج منها ظافراً بما يبتغيه من النصح لله تعالى، ولكتابه عز وجل، ولرسوله، ولخاصّة المسلمين وعامتهم، وهذا الذي يبتغيه ويحرص عليه في كل ما يأخذ أو يدع من قول أو فعل.

ولا وزن لمن اتهمه بأنه أخلد بصلاحه إلى الدعّة، وآثار العافية والراحة، ولا لمن طوحت بهم الحماسة من شيعته فتمنوا عليه لو وقف في جهاد معاوية فوصل إلى الحياة من طريق الموت، وفاز بالنصر والفتح من الجهة التي انطلق منها صنوه يوم الطف إلى نصره العزيز، وفتحه المبين.

ومن الغريب بقاء الناس في عشواء غماء من هذا الصلح إلى يومهم هذا، لا يقوم أحد منهم في بيان وجهة الحسن في صلحه، بمعالجه موضوعية مستوفاة ببيانها وبيناتها، عقلية ونقلية، وكم كنت أحاول ذلك، لكن الله عز وجل شاء بحكمته أن يختص بهذه المأثرة من هو أولى بها، وأحق بكل فضيله، ذلك هو مؤلف هذا السفر البكر "صلح الحسن" فإذا هو في موضوعه فضل الخطاب، ومفصل الصواب، والحد الفاصل بين الحق والباطل.

وقفت منه على فصول غر، تمثل فضل مؤلفها الأغر الأبر، في كل ما (٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم عاشوراء (١)، كتاب فضل الخطاب لسليمان أخ محمد بن عبد الوهاب (١)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الموت (١)، العزة (١)، الوسعة (١)، الباطل، الإبطال (١)

صفحة ٥٠٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦

يشتركان فيه من التحقيق، والدقة والاعتدال، وسطوع البيان والبرهان، والتأنق والتبع، والورع في النقل، والرحابة في المناظرة، والإحاطة بما يناسب الموضوع، مع سهولة الأسلوب، وانسجام التراكيب، وبلاعنة الإيجاز إذا أوجز، وقبول الاطنان إذا أطّب.

فالكتاب يخضع لفكر منظم مبدع حجة، يصل وحدته بجداؤل دفاعة بالثراء العقلى والنقولى، وبروادر غنية كل الغنى، فى كل ما يرجع إلى الموضوع، ويتم عليه عناصره القيمة.

فالل أناقة فيه تخامر الاستيعاب، والوضوح يلزمه العمق، والنقد التحليلي مرتكز هذه الخصائص.

أما المؤلف - أعلى الله مقامه - فإنك تستطيع أن تستشف ملامحه، من حيث تنظر إلى مواهبه في كتابه هذا، ولو لم أره لقدرت أن

أرسم له صورة أستوحى قسماتها من هذا السفر، إذ يريكيه واضح الغرفة، مشرق الوجه، حلو الحديث، هادئ الطبع، واسع الصدر، لين العريكة، وافر الذهن، غزير الفهم والعلم، واسع الرواية، حسن الترسل، حلو النكتة، لطيف الكناية، بديع الاستعارة، تنطق الحكماء من محاسن خلاله، ويتمثل الفضل بكل معانيه في منطقه وأفعاله، لا ترى أكرم منه خلقاً، ولا أنبيل فطرة، علينا زاخراً بعلوم آل محمد، علامه بحاثه، أمعن في التنقيب عن أسرارهم، يستجلّي غواضها، ويستبطن دخائلها، لا تفوته منها واردٌ ولا شاردٌ، إلى خصائص في ذاته وسماته يمثلها كتابه هذا بجلاء.

ومن أمعن فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، من أحوال الحسن ومعاوية، علم انهما لم ترتجلهما المعركة ارتجالاً، وإنما كانوا في جبهتيهما خليفتين، استخلفهما الميراث على خلقين متناقضين: فخلق الحسن انما هو خلق الكتاب والسنة، وإن شئت فقل خلق محمد وعلى. وأما خلق معاوية فإنما هو خلق "الأموية"، وإن شئت فقل: خلق أبي سفيان وهند، على نقيض ذلك الخلق.

(٦)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، الكرم، الكرامة (١)، الغنى (١)، الوسعة (٢)، الحج (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)

صفحة ٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧

والمتوسع في تاريخ البيتين وسيرة إبطالهما من رجال ونساء يدرك ذلك بجميع حواسه.

لكن لما ظهر الإسلام، وفتح الله لعبده رسوله فتحه المبين، ونصره ذلك النصر العزيز، انقطعت نوازى الشر "الأموي"، وبطلت نزعات أبي سفيان ومن إليه مقهورة مبهورة، متوارية بباطلها من وجه الحق الذي جاء به محمد عن ربه عز وجل، بفرقانه الحكيم، وصراطه المستقيم، وسيوفه الصارمة لكل من قاومه.

وحيثند لم يجد أبو سفيان وبنوه ومن إليهم بدا من الاستسلام، حقناً لدمائهم المهداورة يومئذ لو لم يستسلموا، فدخلوا فيما دخل فيه الناس، وقلوبهم تنغل بالعدواة له، وصدورهم تجيش بالغل عليه، يتربصون الدوائر بمحمد ومن إليه، ويعgon الغوائل لهم. لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان - مع علمه بحالهم - يتألفهم بجزيل الأموال، وجميل الأقوال والأفعال، ويتلقاهم بصدر رحب، ومحيا منبسط، شأنه مع سائر المنافقين من أهل الحقد عليه، يتبعى استصلاحهم بذلك.

وهذا ما اضطربت به العداوة له، يطعون عليها كشحهم خوفاً وطمعاً، فكان الناس بعد ذلك ينسون "الأموية" حتى في موطنها الضيق - مكة -

اما في ميادين الفتح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تعرف "الأموية" بشيء، سوى أنها من أسرة النبي ومن صحابته. ثم أتيح بعد النبي لقوم ليسوا من عترته، أن يتبوأ مقعده، وأتيح لمعاوية في ظلهم أن يكون من أكبر ولاة المسلمين، أميراً من أوسع أمرائهم صلاحية في القول والعمل.

ومعاوية إذ ذاك يتخذ بدهائه من الإسلام سبيلاً يزحف منه إلى الملك العضوض، ليتخذ به دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً، كما انذر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ذلك من اعلام نبوته.

(٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الدولة الأموية (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، النفاق (١)، العزة (١)

صفحة ٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨

نشط معاوية في عهد الخليفتين الثاني والثالث، بإمارته على الشام عشرين سنة، تمكّن بها في أجهزة الدولة، وصانع الناس فيها وأطمعهم به فكانت الخاصة في الشام كلها من أعونه، وعظم خطره في الإسلام، وعرف فيسائر الأقطار بكونه من قريش - أسرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم - وأنه من أصحابه، حتى كان في هذا أشهر من كثير من السابقين الأولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، كأبي ذر وعمار والمقداد وأضرابهم.

هكذا نشأت "الأموية" مرة أخرى، تغالب الهاشمية باسم الهاشمية في علتها، وتکيد لها كيدها في سرها، فتندفع مع انطلاق الزمن تخدع العامة بدهائها، وتشترى الخاصة بما تغذقها عليهم من أموال الأمة، وبما تؤثرهم به من الوظائف التي ما جعلها الله للخونه من أمثالهم، تستغل مظاهر الفتح واحراز الرضا من الخلفاء.

حتى إذا استتب أمر "الأموية" بدهاء معاوية، انسلت إلى حكم الدين اسلام الشياطين، تدس فيها دسها، وتفسد افسادها، راجعة بالحياة إلى جاهليه تبعث الاستهتار والزنقة، وفق نهج جاهلي، وخطه نفعية، ترجوها "الأموية" لاستيفاء منافعها، وتسخرها لحفظ امتيازاتها.

والناس - عامة - لا يفطنون لشيء من هذا، فان القاعدة المعمول بها في الإسلام - أعني قولهم: الإسلام يجب ما قبله - ألقى على فطائع "الأموية" سترا حجبها، ولا سيما بعد أن عفا عنها رسول الله وتألفها، وبعد أن قربها الخلفاء منهم، واصطفوها بالولايات على المسلمين، وأعطوهها من الصلاحيات ما لم يعطوا غيرها من ولاتهم. فسارت في الشام سيرتها عشرين عاما (لا يتناهون عن منكر فعلوه) ولا ينهون.

وقد كان الخليفة الثاني عظيم المراقبة لعماله، دقيق المحاسبة لهم، لا يأخذه في ذلك مانع من الموضع أصلا: تعنت بخالد بن الوليد، عامله على "قنسرين" إذ بلغه أنه أعطى الأشعث عشرة آلاف، فأمر به فعقله "بلال الحبشي" بعماته، وأوقفه بين يديه على رجل واحدة، مكشوف الرأس،

(٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (٤)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، خالد بن الوليد (١)، الشام (٣)، الجهل (١)

صفحة ٠٠٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩

على رؤوس الأشهاد من رجال الدولة ووجوه الشعب في المسجد الجامع بحمص، يسأله عن العشرة آلاف: أهي من ماله أم من مال الأمة؟ فان كانت من ماله فهو الاسراف، والله لا يحب المسرفين. وان كانت من مال الأمة فهي الخيانة، والله لا يحب الخائن، ثم عزله فلم يوله بعد حتى مات.

ودعا أبي هريرة، فقال له: "علمت أنى استعملتك على البحرين، وأنت بلا - نعلين! ثم بلغنى أنك ابعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار!" قال: "كانت لنا أفراس تناجت، وعطيها تلاحت." قال: "حسبت لك رزقك ومؤمنتك وهذا فضل فأدك." قال: "ليس لك ذلك." قال: "بلى وأوجع ظهرك." ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه. ثم قال: "إثت بها." قال: "احتسبها عند الله." قال: "ذلك لو أخذتها من حلال، وأديتها طائعا! أجيئت من أقصى حجر البحرين يجيئ الناس لك لا لله ولا للمسلمين؟ ما رجعت بك أميّمه - يعني أمه - الا لرعية الحمر."

وفي حديث أبي هريرة: "لما عزلني عمر عن البحرين، قال لي: يا عدو الله وعدو كتابه، سرقت مال الله! فقلت: ما أنا عدو الله وعدو

كتابه، ولكنى عدو من عاداك، وما سرقت مال الله. قال: فمن أين اجتمع لك عشرة آلاف؟ فقلت: خيل تناجرت، وعطيا تلاحت، وسهام تتبعك. قال: فقبضها مني "الحديث".

وكم لعمر مع عماله من أمثال ما فعله بخالد وأبي هريرة يعرفها المتبعون.

عزل كلا من أبي موسى الأشعري، وقدامة بن مظعون، والحارث بن وهب، أحد بنى ليث بن بكر، بعد أن شاطرهم أموالهم (١). هذه مراقبة عمر لعماله، لا هوادة عنده لأحد منهم، لكن معاوية كان أثيره وخلصه، على ما كان من التناقض في سيرتهما. ما كف يده عن شيء ولا ناقشه الحساب في شيء، وربما قال له "لا أمرك ولا أنهاك" "يفوض له العمل برأيه".

(١) فيما رواه الزبير بن بكار في كتابه - المواقف - ونقله عنه ابن حجر في ترجمة الحارث بن وهب في القسم الأول من اصابته.

(٩)

مفاتيح البحث: أبو هريرة العجلاني (٣)، قدامة بن مظعون (١)، الموت (١)، الإسراف (١)، السجود (١)، الزبير بن بكار (١)

صفحة ٠٠٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠

وهذا ما أطغى معاوية، وأرهف عزمه على تنفيذ خططه "الأموية". وقد وقف الحسن والحسين من دهائه ومكره إزاء خطر فظيع يهدد الإسلام باسم الإسلام، ويطغى على نور الحق باسم الحق، فكانا في دفع هذا الخطر، أمام أمررين لا ثالث لهما: اما المقاومة، واما المسالمة. وقد رأيا أن المقاومة في دور الحسن تؤدي لا محالة إلى فناء هذا الصف المدافع عن الدين وأهله، والهادى إلى الله عز وجل، والى صراطه المستقيم. إذ لو غامر الحسن يومئذ بنفسه وبالهاشميين وأولائهم، فواجه بهم القوة التي لا قبل لهم بها (١) مصمما على التضحية، تصميم أخيه يوم "الطف" لأنكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً، ولانتصرت "الأموية" بذلك نمرا تعجز عنه إمكانياتها، ولا تنحسر عن مثله أحلامها وأمنياتها. إذ يخلو بعدهم لها الميدان، تمعن في تيهها كل امعان، وبهذا يكون الحسن - وحاشاه - قد وقع فيما فر منه على أقبح الوجوه، ولا يكون لتضحيته أثر لدى الرأي العام الا التنديد والتنفيذ (٢).

(١) كما أوضحه الشيخ في كتابه هذا.

(٢) لأن معاوية كان يطلب الصلح ملحا على الحسن بذلك، وكان يبذل له من الشروط لله تعالى وللأمّة كل ما يشاء، يناشد الله في حقن دماء أمّة جده، وقد أعلن طلبه هذا فعلمته المعسكران، مع ان الغلبة كانت في جانبه لو استمر القتال، يعلم ذلك الحسن وعاوية وجنودهما، فلو أصر الحسن - والحال هذه - على القتال، ثم كانت العاقبة عليه لعذله العاذلون وقالوا فيه ما يشاؤون.

ولو اعتذر الحسن يومئذ بأن معاوية لا يفي بشرط، ولا هو بمؤمن على الدين ولا على الأمّة، لما قبل العامة يومئذ عذرها، إذ كانت مغرورة بمعاوية كما أوضحتناه. ولم تكن الأموية يومئذ سافرة بعيوبها سفوراً بينما بما يؤيد الحسن أو يخذل معاوية كما أسلفنا بيانه من اغترار الناس بمعاوية وبمكانته من أولى الامر الأولين، لكن انكشف الغطاء، في دور سيد الشهداء فكان لتضحيته عليه السلام من نصرة الحق وأولياته آثاره الخالدة والحمد لله رب العالمين.

اقرأ فصل "سر الموقف" من هذا الكتاب.

(١٠)

مفاتيح البحث: يوم عاشوراء (١)، الدولة الأموية (٣)، القتل (٣)، النفاذ، التنفيذ (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الخلود (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١

ومن هنا رأى الحسن عليه السلام أن يترك معاويه لطغيانه، ويتحمّنه بما يصبو إليه من الملك، لكن أخذ عليه في عقد الصلح، أن لا يعود الكتاب والسنّة في شيء من سيرته وسيرة أعونه ومقویه سلطانه، وأن لا يطلب أحداً من الشيعة بذنب أذنبه مع الأمويّة، وأن يكون لهم من الكرامة وسائل الحقوق ما لغيرهم من المسلمين، وأن، وأن، وأن. إلى غير ذلك من الشروط التي كان الحسن عالماً بـأن معاويه لا يفي له بشيء منها وأنه سيقوم ببنقائصها (١).

هذا ما أعده عليه السلام لرفع العطاء عن الوجه "الأموي" المموم، ولصهر الطلاء عن مظاهر معاويه الزائف، ليبرز حيئته هو وسائل أبطال "الأمويّة" كما هم جاهليين، لم تتحقق صدورهم بروح الإسلام لحظة، ثارين لم تنسهم مواهب الإسلام ومراحمه شيئاً من أحقاد بدر واحد والأحزاب.

وبالجملة فإن هذه الخطّة ثورة عاصفة في سلم لم يكن منه بد، أملاه ظرف الحسن، إذ التبس فيه الحق بالباطل، وتسلّى للطغيان فيه سيطرة مسلحة ضاربة.

ما كان الحسن يبادي هذه الخطّة ولا بخاتمتها، بل أخذها فيما أخذها من ارثه، وتركها مع ما تركه من ميراثه. فهو كغيره من أئمّة هذا البيت، يسترشد الرسالة في اقدامه وفي احجامه. امتحن بهذه الخطّة فرضخ لها صابراً محتسباً وخرج منها ظافراً طاهراً، لم تنجسه الجاهليّة بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلّهمات ثيابها.

أخذ هذه الخطّة من صلح "الحدّيّة" فيما أثر من سياسة جده صلى الله عليه وآله وسلم، وله فيه أسوة حسنة، إذ أنكر عليه بعض الخاصة من أصحابه، كما أنكر على الحسن صلح "ساباط" بعض الخاصة من أوليائه، فلم يهن بذلك عزمه، ولا ضاق به ذرعه.

وقد ترك هذه الخطّة نموذجاً صاغ به الأئمّة التسعة - بعد سيدى

(١) اقرأ ما يتعلق بنصوص المعاهدة وشروطها ومدى وفاء معاويه بكل منها في فصول هذا الكتاب.

(١١)

مفایع البحث: الإمام الحسن بن علي المجبى عليهما السلام (١)، الدولة الأمويّة (٢)، صلح (يوم) الحديّة (٣)، الباطل، الإبطال (١)، الكرم، الكرامة (١)، اللبس (١)، الطهارة (١)، الجهل (١)

صفحة ١١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢

شباب أهل الجنة - سياستهم الحكيمية، في توجيهها الهادئ الرصين، كلما اعصوا صبّ الشر. فهـى إذا جزء من سياستهم الهاشمية الدائرة أبداً على نصرة الحق، لا على الانتصار للذات فيما تأخذ أو تدع.

تهـيأ للحسن بهذا الصلـح أن يغرس في طريق معاويـة كـمـيـنا من نـفـسـهـ يـثـورـ عـلـيـهـ من حـيـثـ لاـ يـشـعـرـ فـيـرـدـيـهـ، وـتـسـنـىـ لـهـ بـهـ أـنـ يـلـغـمـ نـصـرـ الـأـمـوـيـةـ بـيـارـودـ الـأـمـوـيـةـ نـفـسـهـاـ. فـيـجـعـلـ نـصـرـهـ جـفـاءـ، وـرـيـحاـ هـبـاءــ!

لم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل المغروسة في شروط الصلـحـ، انفجرت من نفس معاويـةـ يوم نـشـوـتـهـ بـنـصـرـهـ، إذ انضم جـيشـ العراق إلى لوائه في التـخيـلةـ. فقال - وقد قـامـ خطـيـباـ فـيـهـ "ـيـاـ أـهـلـ الـعـرـاقـ، أـنـيـ وـالـلـهـ لـمـ أـفـاتـلـكـمـ لـتـصـلـوـاـ وـلـاـ لـتـصـوـمـوـاـ، وـلـاـ لـتـرـكـوـاـ، وـلـاـ لـتـحـجـوـاـ، وـاـنـمـاـ قـاتـلـتـكـمـ لـأـتـأـمـرـ عـلـيـكـمـ، وـقـدـ أـعـطـانـيـ اللـهـ ذـلـكـ وـأـنـتـمـ كـارـهـونـ!ـ أـلـاـ وـاـنـ كـلـ شـيـ أـعـطـيـهـ لـلـحـسـنـ بـنـ عـلـيـهـ جـعلـتـهـ تـحـتـ قـدـمـىـ هـاتـيـنــ!"ـ

فلما تـمـتـ لـهـ الـيـعـةـ خـطـبـ فـذـكـرـ عـلـيـاـ فـتـالـ مـنـهـ، وـنـالـ مـنـ الـحـسـنـ، فـقـامـ الـحـسـنـ لـيـرـدـ عـلـيـهـ، فـقـالـ لـهـ الـحـسـنـ "ـعـلـىـ رـسـلـكـ يـاـ أـخـىـ"ـ ثـمـ قـامـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـقـالـ "ـأـيـهـاـ الـذـاكـرـ عـلـيـاـ!ـ أـنـاـ الـحـسـنـ وـأـبـيـ عـلـىـ، وـأـنـتـ مـعـاـويـةـ وـأـبـوـكـ صـخـرـ، وـأـمـيـ فـاطـمـةـ وـأـمـكـ هـنـدـ، وـجـدـيـ رـسـوـلـ اللـهـ وـجـدـكـ عـتـيـهـ، وـجـدـتـكـ خـدـيـجـةـ وـجـدـتـكـ فـتـيـلـةـ، فـلـعـنـ اللـهـ أـخـمـلـنـاـ ذـكـرـاـ، وـأـلـمـنـاـ حـسـبـاـ، وـشـرـنـاـ قـدـيـمـاـ، وـأـقـدـمـنـاـ كـفـرـاـ وـنـفـاقـاـ"ـ فـقـالـتـ

طوائف من أهل المسجد "آمين."

ثم تابعت سياسة معاویة، تتفجر بكل ما يخالف الكتاب والسنّة من كل منكر في الإسلام، قتلا للأبرار، و هتكا للاعراض، و سلبا للأموال، و سجنا للأحرار، و تشریدا للمصلحين، و تأييضاً للمفسدين الذين جعلهم وزراء دولته، كابن العاص، و ابن شعبه، و ابن سعيد، و ابن أرطأ، و ابن جندب، و ابن الحكم، و ابن مرجانة، و ابن عقبة، و ابن سمیة الذي نفاه عن أبيه الشرعي عبيد، وألحقه بالمسافح أبيه أبي سفيان ليجعله بذلك أخاه، يسلطه على الشيعة في العراق، يسومهم سوء العذاب،

(١٢)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (٢)، دولة العراق (٣)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، ابن مرجانة لعنه الله (١)، السجود (١)، الموت (١)، العذاب، العذب (١)

صفحة ١٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣

يدبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويفرقهم عباديد، تحت كل كوكب، ويحرق بيوتهم، ويصطفى أموالهم، لا يألو جهداً في ظلمهم بكل طريق.

ختم معاویة منكراته هذه بحمل خليعة المحتوک على رقاب المسلمين، يعيش في دينهم ودنياهم، فكان من خليعة ما كان يوم الطف، ويوم الحرّة، ويوم مكّة إذ نصب عليها العرادات والمجانق!. هذه خاتمة أعمال معاویة، وانها لتلائم كل الملامات فاتحة أعماله القاتمة.

وبین الفاتحة والختمة تتضاغط شدائد، وتدور خطوب، وتزدحم محن، ما أدرى كيف اتسعت لها مسافة ذلك الزمن، وكيف اتسع لها صدر ذلك المجتمع؟ وهي - في الحق - لو وزعت على دهر لضاف بها، وناء بحملها، ولو وزعت على عالم لكان جديراً أن يحول جحيمًا لا يطاق.

ومهما يكن من أمر، فالملهم أن الحوادث جاءت تفسر خطة الحسن وتجلوها. وكان أهم ما يرمي إليه سلام الله عليه، أن يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاء، ليحول بينهم وبين ما يبيتون لرسالة جده من الكيد.

وقد تم له كل ما أراد، حتى برح الخفاء، وآذن أمر الأموية بالجلاء، والحمد لله رب العالمين.

وبهذا استتب لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته التي أوضح الله بها الكتاب، وجعله فيها عبرة لأولى الألباب.

وقد كانوا عليهم السلام وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منها في موضعه منها، وفي زمانه من مراحلها، يكافي الآخر في النهوض بأعبائها ويوازنه بالتضحيّة في سبيلها.

فالحسن لم يدخل نفسه، ولم يكن الحسين أنسخ منه بها في سبيل الله، وإنما صان نفسه بجندها في جهاد صامت، فلما حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسينية، قبل أن تكون حسينية.

وكان يوم سبات أعرق بمعنى التضحية من يوم الطف لدى أولى

(١٣)

مفاتيح البحث: يوم عاشوراء (٢)، الدولة الأموية (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، سبيل الله (١)، الذبح (١)، الإخفاء (١)، الشهادة (٣)، الوسعة (١)

صفحة ١٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٤

الألباب ممن تعمق.

لان الحسن عليه السلام، أعطى من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكين قاعد. وكانت شهادة "الطف" حسنية أولاً، وحسينية ثانياً، لأن الحسن أوضح نتائجها، ومهد أسبابها.

كان نصر الحسن الدامى موقوفاً على جلو الحقائق التي جلاها - لأخيه الحسين - بصبره وحكمته، وبجلوها انتصر الحسين نصره العزيز وفتح الله له فتحه المبين.

وكانا عليهما السلام كأنهما متفقان على تصميم الخطأ: أن يكون للحسن منها دور الصابر الحكيم، وللحسين دور الثائر الكريم، لتألف من الدورين خطأ كاملة ذات غرض واحد.

وقد وقف الناس - بعد حادثى سبات والطف - يمعنون في الأحداث فيرون في هؤلاء الأمويين عصبة جاهلية منكرة، بحيث لو مثلت العصبيات الجلفة النذلة الظلوم لم تكن غيرهم، بل تكون دونهم في الخطر على الإسلام وأهله.

رأى الناس من هؤلاء الأمويين، قردة تنزو على منبر رسول الله، تكسر للأمة عن أنیاب غول، وتصافحها بأيد تمتد بمخالب ذئب، في نفوس تدب بروح عقرب.

رأوا فيهم هذه الصورة منسجمة شائعة متواترة، لم تخفف من شرها التربوية الإسلامية، ولم تطامن من لؤمهما المكارم المحمدية. فمضغ الأكباد يوم هند وحمزة، يرتقي به الحقد الأموي الأشيم، حتى يكون تنكيلاً بربرياً يوم الطف، لا يكتفى بقتل الحسين، حتى يوطئ الخيل صدره وظهره. ثم لا يكتفى بذلك، حتى يترك عارياً بالعراء، لوحوش الأرض وطير السماء، ويحمل رأسه ورؤوس الشهداء من آله وصحبه على أطراف الأسنة إلى الشام. ثم لا يكتفى بهذا كله، حتى يوقف حرائر الوحي من بنات رسول الله على درج السبي...!!!

(١٤)

مفاسيخ البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، يوم عاشوراء (٣)، الدولة الأموية (٢)، رؤوس الشهداء (١)، الشام (١)، الكرم، الكرامة (١)، القتل (١)، العزّة (١)، الشهادة (١)، الجهل (١)

صفحة ١٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٥

رأى الناس الحسن يسامي، فلا تنجيه المسالمه من خطر هذه الوحشية اللئيمة، حتى دس معاويه إليه السم فقتله بغياً وعدواناً. ورأوا الحسين يثور في حين أتيح للثورة الطريق إلى أفهامهم تتفجر فيها باليقظة والحرية، فلا تقف الوحشية الأموية بشيء عن المظالم، بل تبلغ في وحشيتها أبعد المدى.

وكان من الطبيعي أن يتحرر الرأي العام على وهج هذه النار المحرقة منطلقاً إلى زوايا التاريخ وأسراره، يستنزل الأسباب من هنا وهناك بلمعان وبيقظة، وسير دائم يدنه إلى الحقيقة، حقيقة الانحراف عن آل محمد، حتى يكون أمامها وجهاً لوجه، يسمع همسها هناك في الصدر الأول، وهي تسار وراء الحجب والاستار، وتدير الأمر في اصطداع هذا "الداهية الظلوم الأموي" اصطداعاً يطفئ نور آل محمد، أو يحول بينه وبين الأمة.

نعم أدرك الرأي العام بفضل الحسن والحسين وحكمة تدبيرهما كل خافية من أمر "الأموية" وأمور مسددي سهمها على نحو واضح.

ادرك - فيما يتصل بالأمويين - أن العلاقة بينهم وبين الإسلام إنما هي علاقة عداء مستحكم، ضرورة أنه إذا كان الملك هو ما تهدف إليه الأموية، فقد بلغه معاويه، وأتاح له الحسن، مما إليها تلاحقه بالسم وأنواع الظلم والهضم، وتتنقصى الأحرار الأبرار من

أوليائه ل تستأهل شأفتهم و تقتلع بذرتهم ...؟!
وإذا كان الملك وحده هو ما تهدف اليه الأمويّة، فقد أزيح الحسين من الطريق، وتم لزيـد ما يريد، فـما بالـها لا تـكـف ولا تـرـعـوى،
وانـما تـسـرـفـ أـقـسـىـ ماـ يـكـونـ الـاسـرـافـ وـالـاجـحـافـ فـىـ حـرـكـاتـ الـاـفـاءـ عـلـىـ نـمـطـ مـنـ الـاـسـتـهـتـارـ،ـ لاـ يـعـهـدـ فـىـ تـارـيخـ الـجـازـارـينـ
وـالـبـرـابـرـ؟ـ؟ـ..ـ

أما ما أنتجه هذه المحاكمة لأولى الألباب، فذلك ما تركه تقديره وبيانه للعارفين بمنابع الخير، ومطالع النور في التاريخ الإسلامي،
على انا فصلناه بآياته وبيناته في مقدمة "المجالس الفاخرة في ما آتى العترة الطاهرة"
(١٥)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (٤)، الظلم (٢)، الإسراف (١)

صفحة ١٥

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٦

فليراجع، ولنكتف الآن بالإشارة إلى ما قلناه في التوحيد بين صلاح الحسن وثورة الحسين، والتعاون بين هذين المظهرين، على كشف
القناع عن الوجه الأموي المظلم، والإعلان عن الحقيقة الأمويّة، فأقول عوداً على بدء: كانت شهادة الطف حسنيّة أولاً، وحسينيّة ثانياً.
وكان يوم سباط، أعرق بمعاني الشهادة والتضحية من يوم الطف عند من تعمق واعتدل وأنصف.
الفضل في كشف هذه الحقيقة إنما هو لمولانا ومقتدانا علم الأئمّة، والخير بأسرار الأئمّة، حجّة الإسلام والمسلمين، شيخنا المقدس
الشيخ راضي آل ياسين أعلى الله مقامه.

ذلك لأن أحداً من الإعلام لم يتفرغ لهذه المهمة تفرغ لها في هذا الكتاب الفذ الذي لا ثاني له، وهو هو ذا مشرف من القمة على
الأئمّة، ليسد في مكتتبتها فراغاً كانت في فاقه إلى سده، فجزاه الله عن الأئمّة وعن غواص العلم التي استجلالها، ومخباّته
التي استخرّ جها، ومحض حقائقها، خير جزء المحسنين، وحشره في أعلى علية [مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا].

حرر في صور (جبل عامل).

في الخامس عشر من رجب سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة والـفـ منـ الـهـجرـةـ.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملی المقدمة

(١٦)

مفاتيح البحث: الثورة الحسينية (١)، يوم عاشوراء (٢)، الدولة الأموية (١)، السيد عبد الحسين شرف الدين (١)، شهر رجب المرجب
(١)، صلح (يوم) الحدبية (١)، الشهادة (٣)، الحج (١)

صفحة ١٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٧

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـهـ وـصـحـبـهـ وـهـأـنـذـاـ مـقـدـمـ -ـ الآـنـ -ـ بـيـنـ يـدـىـ قـارـئـيـ الـكـرـيمـ
عصـارـةـ بـحـوـثـ تـسـتـمـلـىـ حـقـاـيـقـهـاـ مـنـ صـمـيمـ الـوـاقـعـ غـيرـ مـدـخـولـ بـالـشـكـوكـ،ـ وـلـاـ خـاـصـعـ لـلـمـؤـثـرـاتـ عـنـ الـحـقـبـةـ الـمـظـلـومـةـ التـارـيـخـ،ـ التـىـ لـمـ
يـحـفـلـ فـىـ عـرـضـهـاـ،ـ بـمـاـ تـسـتـحـقـ -ـ مـؤـرـخـونـ الـقـادـامـىـ،ـ وـلـمـ يـعـنـ فـىـ تـحـلـيلـهـاـ -ـ كـمـاـ يـجـبـ -ـ كـتـابـاـنـ الـمـحـدـثـونـ.
تلـكـ هـىـ قـطـعـةـ الزـمـنـ التـىـ كـانـتـ عـهـدـ خـلـافـةـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ فـىـ الـإـسـلـامـ وـالـتـىـ جـاءـتـ بـيـنـ دـوـافـعـ الـأـوـلـيـنـ،ـ وـتـسـاـهـلـ الـآـخـرـيـنـ،ـ صـورـةـ

مشوهة من صور التاريخ. وتعرضت في مختلف أدوارها لما كان يجب أن يتعرض له أمثالها من الفترات المطموسة المعالم، المنسيّة للحقائق، المقصودة - على الأكثـر - بالاهـمـال أو بالتشـويـه، فإذا بالحسن بن عـلـى (عليـه وعلـى أـيـه أـفـضـلـ الصـلاـةـ والـسـلامـ) فـى عـرـفـ الأـكـثـرـينـ منـ الـمـتـسـرـعـينـ بـأـحـكـامـهـمـ - منـ شـرـقـيـنـ وـغـرـبـيـنـ - الـخـلـيـفـةـ الـضـعـيفـ السـيـاسـةـ!ـ التـوـفـرـ عـلـىـ حـبـ النـسـاءـ!ـ الـذـىـ باـعـ "ـالـخـلـافـةـ"ـ لـمـاعـوـيـةـ بـالـمـالـ!!ـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ هـذـاـ الـهـذـرـ الـظـالـمـ، الـذـىـ لاـ يـسـتـنـدـ فـىـ مـقـايـيسـهـ عـلـىـ منـطـقـ، وـلـاـ يـرـجـعـ فـىـ تـحـكـمـاتـهـ إـلـىـ دـلـيلـ، وـلـاـ يـعـنـىـ فـىـ اـرـتـجـالـيـاتـهـ بـتـحـقـيقـ أـوـ تـدـقـيقـ.

"وـعـمـدـتـ هـذـهـ الفـصـولـ إـلـىـ تـقـلـيـةـ هـذـهـ الـحـقـبـةـ الـقـصـيـرـةـ مـنـ الزـمـنـ بـمـاـ هـىـ ظـرـفـ اـحـدـاثـ لـاـ تـقـلـ بـأـهـمـيـتـهـاـ -ـ فـىـ ذـاتـهـاـ -ـ وـلـاـ بـمـوـقـعـهـاـ"ـ الاستـراتـيـجـىـ "ـ فـىـ التـارـيخـ -ـ إـذـاـ صـحـ هـذـاـ التـعـبـيرـ -ـ عـنـ أـعـظـمـ الـفـتـرـاتـ الـتـىـ مـرـ بـهـاـ تـارـيخـ (١٧)

مفـاتـيحـ الـبـحـثـ:ـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ (١)،ـ الـكـرـمـ،ـ الـكـرـامـةـ (١)،ـ الـظـلـمـ (١)،ـ الـصـلاـةـ (٢)

صفـحـهـ ١٧

صلـحـ الـحـسـنـ (عـ)ـ -ـ السـيـدـ شـرـفـ الدـيـنـ -ـ الصـفـحـةـ ١٨

الـاسـلـامـ مـنـذـ وـفـاةـ الرـسـولـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ)ـ وـالـىـ يـوـمـ النـاسـ،ـ لـأـنـهـ كـانـ ظـرـفـ الـخـلـافـةـ الـفـرـيـدـةـ مـنـ نـوـعـهـاـ فـىـ تـارـيخـ الـخـلـافـ الـآـخـرـينـ،ـ وـلـأـنـهـ بـدـاـيـةـ اـقـرـارـ الـقـاعـدـةـ الـجـدـيـدـةـ فـىـ التـمـيـزـ بـيـنـ السـلـطـاتـ الـرـوـحـيـةـ وـالـسـلـطـاتـ الـزـمـنـيـةـ فـىـ الـاسـلـامـ،ـ وـالـلحـظـةـ الـتـىـ صـدـقـتـ بـاـحـدـاـثـهـ الـحـدـيـثـ الـنـبـوـيـ الشـرـيفـ الـذـىـ أـنـبـأـ بـرـجـوعـ الـاـمـرـ بـعـدـ ثـلـاثـيـنـ عـامـاـ إـلـىـ الـمـلـكـ الـعـضـوـضـ،ـ وـلـأـنـهـ الـفـتـرـةـ الـتـىـ تـبـلـورـتـ فـيـهاـ الـحـرـازـاتـ الـطـائـفـيـةـ لـأـوـلـ مـرـةـ فـىـ تـارـيخـ الـعـقـائـدـ الـاسـلـامـيـةـ.

وـلـمـ يـكـنـ قـلـيـلاـ مـنـ مـجـهـودـ هـذـهـ الفـصـولـ،ـ اـنـ تـرـجـعـ -ـ بـعـدـ الجـهـدـ الـمـرـتـحـصـ فـىـ سـيـلـهـاـ -ـ بـالـخـبرـ الـيـقـيـنـ عـنـ الـكـثـيرـ مـنـ تـلـكـ الـحـقـائـقـ -ـ أـبـعـدـ مـاـ تـكـوـنـ تـأـيـيـداـ فـىـ الـبـحـثـ،ـ وـأـكـثـرـ مـاـ تـكـوـنـ تـفـسـخـاـ فـىـ الـمـصـادـرـ،ـ وـأـقـلـ مـاـ تـكـوـنـ حـظـاـ مـنـ تـسـلـسلـ الـحـوـادـثـ وـتـنـاسـقـ الـاـحـدـاثـ -ـ فـتـعـرـضـهـاـ فـىـ هـذـهـ السـطـورـ مـجـلـوـةـ عـلـىـ وـاقـعـهـاـ الـأـلـوـلـ،ـ أـوـ عـلـىـ أـقـرـبـ صـورـةـ مـنـ وـاقـعـهـاـ الـذـىـ تـشـأـتـ عـلـىـهـ بـيـنـ أـحـضـانـ جـيـلـهـاـ الـمـخـلـفـ الـأـلـوـانـ.

إـذـاـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ (عـ)ـ -ـ بـعـدـ هـذـاـ -ـ وـعـلـىـ قـصـرـ عـهـدـهـ فـىـ خـلـافـتـهـ،ـ مـنـ أـطـولـ الـخـلـافـاءـ بـاعـاـ فـىـ الـإـدـارـةـ وـالـسـيـاسـةـ،ـ وـالـرـجـلـ الـذـىـ بـلـغـ مـنـ دـقـتـهـ فـىـ تـصـرـيفـ الـأـمـورـ،ـ وـسـمـوـهـ فـىـ عـلـاجـ الـمـشـكـلـاتـ،ـ اـنـهـ اـسـتـغـفـلـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ أـعـنـفـ مـاـ يـكـونـ فـىـ مـوـقـعـهـ مـنـ حـذـراـ وـانتـباـهـاـ وـاسـتـعـدـادـاـ لـلـجـبـائـلـ وـالـغـوـائـلـ.ـ إـذـاـ بـزـواـجـهـ الـكـثـيرـ دـلـيلـ عـظـمـتـهـ الـرـوـحـيـةـ فـىـ النـاسـ.ـ إـذـاـ "ـبـالـصـلـحـ"ـ الـذـىـ حـاـكـهـ عـلـىـ مـعـاوـيـةـ أـدـاـتـهـ الـجـبـارـةـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ خـصـومـهـ فـىـ التـارـيخـ،ـ دـوـنـ اـنـ يـكـوـنـ ثـمـةـ اـيـةـ مـساـوـمـةـ عـلـىـ بـيـعـةـ أـوـ عـلـىـ خـلـافـةـ أـوـ عـلـىـ مـالـ.ـ إـذـاـ كـلـ خـطـوـاتـ هـذـاـ الـإـمـامـ،ـ وـكـلـ اـيـجـابـ أـوـ سـلـبـ فـىـ سـيـاستـهـ -ـ مـخـفـقاـ أـوـ مـنـتـصـراـ -ـ آـيـةـ مـنـ آـيـاتـ عـظـمـتـهـ الـتـىـ جـهـلـهـاـ النـاسـ وـظـلـمـهـاـ الـمـؤـرـخـونـ.

وـكـانـ مـنـ أـفـظـعـ الـكـفـارـ لـمـوـاهـبـ الـعـظـمـاءـ،ـ اـنـ يـتـحـكـمـ فـىـ تـارـيخـهـمـ وـتـنـسـيقـ مـرـاتـبـهـمـ،ـ نـاسـ مـنـ هـؤـلـاءـ النـاسـ الـمـأـخـوذـينـ بـسـوـءـ الـذـوقـ،ـ أـوـ الـمـغـلـوـيـنـ بـسـوـءـ الـطـوـيـةـ،ـ يـتـظـاهـرـونـ بـالـمـعـرـفـةـ وـيـرـتـجـزـونـ بـحـسـنـ الـتـفـكـيرـ،ـ ثـمـ يـتـحـذـلـقـونـ

(١٨)

مفـاتـيحـ الـبـحـثـ:ـ الـإـمـامـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ (١)،ـ الرـسـولـ الـأـكـرمـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ (١)،ـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ لـعـنـهـمـاـ اللـهـ (١)،ـ كـتـابـ الـعـقـائـدـ الـإـسـلـامـيـةـ لـمـرـكـزـ الـمـصـطـفـىـ (صـ)ـ (١)،ـ صـلـحـ (يـوـمـ)ـ الـحـدـيـبـيـةـ (١)،ـ الـوـفـاءـ (١)

صفـحـهـ ١٨

صلـحـ الـحـسـنـ (عـ)ـ -ـ السـيـدـ شـرـفـ الدـيـنـ -ـ الصـفـحـةـ ١٩

بالتطاول على الكرامات المجيدة، دون رؤية ولا تدقيق ولا اكتراث، فلا يدلون بتفريطهم في احكامهم الا على فرط الضعف في نفوسهم.

وليس يضر الحسن بن علي أن تظلمه الصمائر البليدة ثم ينصفه التميز. وان لهذا الامام من مواقفه ومن مواهبه ومن عمقه ومن أهدافه ما يضعه بالمكان الأدنى من صفة "العظماء" الخالدين.

وحسينا من هذه السطور، أن تجلو عن طريق المنطق الصحيح الذي لا ينبغي أن يختلف عليه الناس، عظمة هذا الامام، خالصة من كل شوب، سالمه من كل عيب، نقية من كل نقد.

وكانت النقوذ التي جرح بها وقاد الرأي سياسة الحسن عليه السلام، أبعد ما يمكنون - في تجريحهم - عن النصف والعمق والإحاطة بالظرف الخاص، هي التي نسجت كيان المشكلة التاريخية في قضية هذا الامام عليه السلام، وكان للشهوة الحزبية من بعض، ولمسايرة السياسة الحاكمة من آخر، وللجهل بالواقع من ثالث، أثره فيما أسف به المتسرون إلى أحکامهم.

ونظروا اليه نظرتهم إلى زعيم أخفق في زعامته، وفاتها أن ينظروا إلى دوافع هذا الاخفاق المزعوم، الذي كان - في حقيقته - انعكاساً للحالة القائمة في الجيل الذي قدر للحسن أن يتزعمه في خلافته، بما كان قد طغى على هذا الجبل من المغريات التي طلت بها الفتوح الجديدة على الناس، وأى غضاضة على "الزعيم" إذا فسد جيله، أو خانت جنوده، أو فقد مجتمعه وجданه الاجتماعي. وفاتها - بعد ذلك - أن ينظروا اليه كألمع سياسي يدرس نفسيات خصومه ونوازع مجتمعه وعوامل زمنه، فيضع الخطط ويقرر التتائج، ويحفظ بخططه مستقبل أمّة بكمالها، ويحفر - بنتائجها - قبور خصومه قبراً قبراً، ويمزق بزوابع الزمن من حوله رسول السلام المضمون النجاح، المرفوع الرأس بالدعوة إلى الاصلاح. ثم يموت ولا يرضي أن يهرق في أمره محجّمه دم (١٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الممجتبى عليهما السلام (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعتش الكوفي (١)، الحسن بن علي (١)، القبر (١)، الموت (١)، الكرم، الكرامة (١)

صفحة ١٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٠

ترى، فأى عظمة أجل من هذه العظمة لو أنصف الناقدون المتحذلقون؟.

وان كتابنا هذا ليضع نقاط هذه الحروف كلها، مملأة عن دراسة دقيقة سيجدها المطالع - كما قلنا - أقرب شيء من الواقع، أو هي الواقع نفسه، مدلولاً عليه بالمقاييس المنطقية، وبالدراسات النفسية، وبالشواهد الشوارد من هنا وهناك. كل ذلك هو عماد البحث في الكتاب، والقاعدة التي خرج منها إلى أحکامه بسهولة ويسر، في سائر ما تناوله من موضوعات أو حاوله من آراء..

* * وسيجد القارئ أن الكتاب ليس كتاباً في أحوال الامام الحسن (ع)، بوجه عام، وإنما هو كتاب مواقفه السياسية فحسب. وكان من التوفّر على استيعاب هذا الموضوع أن نتقدم بفصل خاص عن الترجمة له، وأن نستطرد في أطوافه ما يضطرنا البحث إليه.

وان موضوعاً من العمق والعسر كموضوعنا، وبحثاً فقير المادة قصير المدد كبحثنا - ونحن نطلع اليه بعد ١٣٢٨ من السنين - لحرى بأن لا يدر على كاتبه بأكثر مما درت به هذه الفصول، احرص ما تكون توفرنا على استقصاء المواد، وتنسيق عناصر الموضوع، وتهذيبها من الزائف والدخيل. ونحن إذ نومئ إلى "فقر المادة" وأثره على البحث، لا نعني بالمادة الا - هذه "الموسوعات" التي كان بإمكاننا التعاون معها على تجليّة موضوعنا بما هي عليه من تشويش للتناسق أو تشويه للحقائق. أما المؤلفات الكثيرة العدد التي وردت أسماؤها في معاجم المؤلفين الأولين، مما كتب عن قضية الحسن (ع) فقد حيل بيننا وبين الوقوف عليها. وكانت مع الكثير من ترااثنا القديم قيد المؤثرات الزمنية، وطعمه الضياع والانقراض أخيراً. وكان ذلك عصب النكبة في الصحيح الصحيح من تاريخ الإسلام، وفي المهم

المهم من قضايا الحساسة أمثال قضيتنا - موضوع البحث -.

فلم نجد - على هذا - من مصادر الموضوع: كتاب صلح الحسن ومعاوية، لأحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن السبعيني الهمданى المتوفى سنة ٣٣٣ هجري، ولا كتاب صلح الحسن عليه السلام، (٢٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (٣)، صلح (يوم) الحدبى (٢)، أحمد بن محمد بن سعيد (١)، التاريخ الإسلامى (١)، الوفاة (١)

صفحه ۲۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢١

عبد الرحمن بن كثير الهاشمي (مولاهم)، ولا كتاب قيام الحسن عليه السلام، لهشام بن محمد بن السائب، ولا كتاب قيام الحسن عليه السلام، لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣ هجري ولا كتاب عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري في أمر الحسن عليه السلام، ولا كتاب أخبار الحسن عليه السلام ووفاته، للهيثم بن عدی الثعلبي المتوفى سنة ٢٠٧ هجري، ولا كتاب أخبار الحسن بن علي عليه السلام، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الأصفهاني الثقفي (١)، ولا نظائرها.
اما هذه المصادر التي قدر لنا ان لا نجد غيرها سندًا، فيما احتاجت به هذه البحوث إلى سند ما، فقد كان أتعجب ما فيها انها تتفق جميعها في قضية الحسن عليه السلام على ان لا تتفق في عرض حادثة، أو رواية خطبة، أو نقل تصريح، أو الحكم على احصاء، بل لا يتفق سندان منها - على الأكثـر - في تاريخ وقت الحادث أو الخطبة من تقديم أو تأخير، ولا في تعين اسم القائد مثلا، أو ترتيب القيادة بين الاثنين أو الثلاثة، ولا في رواية طرق النكـاية التي أريـدت بالحسن (ع) في ميـادـينـه، أو في التـعبـيرـ عنـ صـلحـهـ، أو في قـتـلهـ أـخـيرـاـ، ولا في كلـ صـغـيرـةـ أوـ كـبـيرـةـ منـ أـخـارـ الملـحـمةـ، منـ أـفـهـاـ إـلـيـ يـائـهـ.

وإذا كان من أصعب مراحل هذا التأليف، ارجاع هذه الحقائق إلى تسلسلها الصحيح الذي يجب أن يكون هو واقعها الأول، فقد كان لل المؤثرات التي تحكمت في رقبة هذه المصادر، عند نقاطها الحساسة اثراً لها المحسوس في الكثير الكثير من عروضها.

(١) تجد ذكر هذه المؤلفات ضمن ترجم مؤلفيها في كتب الرجال، كفهرست ابن النديم والنجاشي وغيرها. وستجد معها أسماء كتب أخرى تخص موضوع الحسن عليه السلام في صلحه وفي مقتله، لا نزيد الإطالة باستقصائهما بعد أن أصبحت أسماء بلا مسميات.

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٧)، إبراهيم بن محمد بن سعيد (١)، عبد العزيز بن يحيى (١)، إبراهيم بن محمد (١)، هشام بن محمد (١)، سعد بن مسعود (١)، الشعبي (١)، القتل (٢)، الوفاة (٢)، الهلال (١)، ابن النديم (١) (٢١)

صفحه ۲۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢

وكان من حسن الصدف، ان لا نخرج في اختيار النسق المطلوب عن الشاهد الصريح، الذي بعثرته هذه المصادر نفسها، في اطواء روایاتها الكثيرة المضطربة، فكانت - بمجموعها - وعلى نقص كل منها، أدلتنا الكاملة على ما اخترناه من تنسيق أو تحقق، وذلك

أروع ما نعترى به من التوفيق.

ووقفنا في فلسفة الموقف - عند مختلف مراحله - وقفنا المتأينة المستقرة الصبور، التي لا تستسلم للنقل أكثر مما تحكم للعقل.
ورجعنا في كثير مما التمسنا تدقيقه، إلى التصريحات الشخصية التي جاءت أدل على الغرض من روايات كثير من المؤرخين.
* * وهى - بعد - بضاعتها المزاجة التي لا أريد منها الا ان تكون مفتاح بحوث جديدة، من شأنها ان تكشف كثيرا من الغموض
الذى دار مع قضية الحسن فى التاريخ.

فإن هي وفقت إلى ذلك، فقد أوتيت خيرا كثيرا.

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

المؤلف **القسم الأول الإمام الحسن "ع"**

(٢٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الإختيار، الخيار (١)

صفحة ٢٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥

أبوه أمير المؤمنين على بن أبي طالب. وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله. صلى الله عليه وعليهم.
ولا أقصر من هذا النسب في التاريخ، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب.
مولده:

ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلث للهجرة.
وهو بكر أبويه.

وأخذه النبي صلى الله عليه وآله فور ولادته. فأذن في اذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم عق عنه. وحلق رأسه. وتصدق بزنة شعره فضة
فكان وزنه درهما وشيئا. وأمر فطلي رأسه طيبا، وسنت بذلك العقيقة والتصدق بوزن الشعر.

وسماه "حسنا". ولم يعرف هذا الاسم في الجاهلية.
وكانه "أبا محمد". ولا كنية له غيرها.

ألقابه:

البسيط. السيد. الزكي. المجتبى. التقى.

زوجاته:

تزوج "أم اسحق" بنت طلحه بن عبيد الله. و "حفصة" بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. و "هند" بنت سهيل بن عمرو. و "جعدة"
بنت الأشعث بن قيس، وهي التي أغراها معاوية بقتله فقتلته بالسم.

ولما نعهد أنه اختص من الزوجات - على العاقب - بأكثر من ثمان أو عشر.. على اختلاف الروايتين.. بما فيهن أمهات أولاده.

(٢٥)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، شهر رمضان المبارك (١)، طلحه بن عبيد الله (١)، الزوج، الزواج (١)، الجهل (١)، القتل
(١)

صفحة ٢٣

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦

ونسب الناس اليه زوجات كثیرات، صعدوا في أعدادهن ما شأوا.. وخفى عليهم ان زواجه الكثیر الذى أشاروا اليه بهذه الاعداد وأشار اليه آخرون بالغمز والانتقاد، لا- يعني الزواج الذى يختص به الرجل لمشاركـة حياته، وانما كانت حوادث استدعتها ظروف شرعية محضـة. من شأنها ان يكثر فيها الزواج والطلاق معا، وذلك هو دليل سمتها الخاصة.

ولا غضاضـة في كثرة زواج تقتضـيه المناسبات الشرعـية، بل هو - بالنظر إلى ظروف هذه المناسبات - دليل قوـة الامام في عقـيدة الناس - كما أشير اليـه -. ولكن المتسرعين إلى النقد، جهـلـوا الحقيقة وجـهـلـوا انـهـمـ جـاهـلـونـ. ولو فطنـوا إلى جوابـ الـامـامـ الحـسـنـ عـلـيـهـ السـلاـمـ لـعـبـدـ اللهـ بنـ عـاـمـرـ بـنـ كـرـيزـ، وـقـدـ بـنـىـ بـزـوـجـتـهـ، لـكـانـواـ غـيرـهـمـ إـذـ يـنـقـدـونـ.

أولاده:

كان له خمسة عشر ولدا بين ذكر وأنثى، هم زيد والحسن وعمرو والقاسم وعبد الرحمن والحسن الأثرم وطلحة، وأم الحسن وأم الحسين وفاطمة وأم سلمة ورقية وأم عبد الله وفاطمة. وجاء عقبـهـ من ولـديـهـ الحـسـنـ وـزـيـدـ، وـلـاـ يـصـحـ الـانـتـسـابـ اليـهـ منـ غـيرـهـماـ.

أوصافـهـ:

"لم يكن أحد أشبـهـ بـرسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ مـنـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلاـمـ خـلـقاـ وـخـلـقاـ وـهـيـأـ وـهـدـيـاـ وـسـؤـدـداـ." بهذا وصفـهـ واصـفوـهـ. وـقـالـواـ:

كان ابيض اللون مشربا بحمرة، أدعـعـ العـيـنـينـ، سـهـلـ الـخـدـينـ، كـثـ اللـحـيـةـ، جـعـدـ الشـعـرـ ذـاـ وـفـرـةـ، كـأـنـ عـنـقـهـ إـبـرـيقـ فـضـةـ، حـسـنـ الـبـدـنـ، بـعـيدـ ماـ بـيـنـ الـمـنـكـبـيـنـ، عـظـيمـ الـكـرـادـيـسـ، دـقـيقـ الـمـسـرـبـةـ، رـبـعـةـ لـيـسـ بـالـطـوـيلـ وـلـاـ بـالـقـصـيرـ، مـلـيـحـاـ مـنـ أـحـسـنـ النـاسـ وـجـهـاـ.

(٢٦)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـهـ (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجـةـ الرسـولـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ (١)، عبد الله بن عامر (١)، الزوج، الزواج (٤)

صفحة ٢٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧

أو كما قال الشاعـرـ:

ما دبـ فيـ فـطـنـ الـأـوـهـامـ مـنـ حـسـنـ * * الاـ وـكـانـ لـهـ الـحـظـ الـخـصـوـصـىـ كـأـنـ جـبـهـتـهـ مـنـ تـحـ طـرـتـهـ * * * بـدرـ يـتـوـجـهـ الـلـلـيـلـ الـبـهـيـمـيـ قـدـ جـلـ عـنـ طـيـبـ أـهـلـ الـأـرـضـ عـنـبـرـهـ * * * وـمـسـكـهـ فـهـوـ الطـيـبـ السـمـاـوـيـ وـقـالـ اـبـنـ سـعـدـ " كانـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ يـخـضـبـانـ بـالـسـوـادـ ".

وقـالـ واـصـلـ بـنـ عـطـاءـ " كانـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ عـلـيـهـمـاـ السـلاـمـ، عـلـيـهـ سـيـماءـ الـأـنـبـيـاءـ وـبـهـاءـ الـمـلـوـكـ ".

عبادـهـ:

حجـ خـمـسـاـ وـعـشـرـيـنـ حـجـةـ ماـشـيـاـ، وـالـنـجـاـبـ لـتـقـادـ معـهـ، وـإـذـ ذـكـرـ الـمـوـتـ بـكـىـ، وـإـذـ ذـكـرـ الـقـبـرـ بـكـىـ، وـإـذـ ذـكـرـ الـعـمـرـ عـلـىـ الـصـرـاطـ بـكـىـ، وـإـذـ ذـكـرـ الـعـرـضـ عـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ ذـكـرـهـ شـهـقـ شـهـقـ يـغـشـيـ عـلـيـهـ مـنـهـاـ، وـإـذـ ذـكـرـ الـجـنـهـ وـالـنـارـ اـضـطـرـابـ السـلـيمـ، وـسـأـلـ اللهـ الـجـنـهـ وـتـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ النـارـ.

وكان إذا توضأ، أو إذا صلى ارتعدت فرائصه واصفر لونه.
وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات. وخرج من ماله الله تعالى مرتين. ثم هو لا يمر في شيء من أحواله إلا ذكر الله عز وجل.
قالوا: " وكان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا."

* * * أخلاقه:

كان في شمائله آية الإنسانية الفضلى، ما رأاه أحد إلا هابه، ولا خالطه إنسان إلا أحبه، ولا سمعه صديق أو عدو وهو يتحدث أو يخطب
فهان عليه أن ينهى حديثه أو يسكت.

(٢٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، البعث، الإنبعث (١)، الموت (١)، الحج (١)، القبر (١)

صفحة ٤٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨

قال ابن الزبير فيما رواه ابن كثير (ج ٨ ص ٣٧): والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي.
وقال محمد بن اسحق: " ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما بلغ الحسن بن علي. كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمر أحد من خلق الله أجاللا له، فإذا علم قام ودخل بيته فيمر الناس."
ونزل عن راحلته في طريق مكة فمشي، فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشي حتى سعد بن أبي وقاص، فقد نزل ومشي إلى جنبه.
وقال مدرك بن زياد لابن عباس، وقد امسك للحسن والحسين بالركاب وسوى عليهما ثيابهما: " أنت أسن منهما تمسكت لهما بالركاب.؟ فقال: يا لك! وما تدري من هذان، هذان ابنا رسول الله، أوليس مما أنعم الله على به ان امسكت لهما وأسوى عليهما!"
وكان من تواضعه على عظيم مكانته انه من بقراء وضعوا كسيرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: " هل يا ابن رسول الله إلى الغداء؟ فنزل وقال: " إن الله لا يحب المتكبرين. " وجعل يأكل معهم. ثم دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم.
وكان من كرمه انه اتاه رجل في حاجة، فقال له: " اكتب حاجتك في رقعة وارفعها علينا. " قال: فرفعها اليه فأضعفها له، فقال له بعض جلسائه: " ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله. " فقال: " بركتها علينا أعظم، حين جعلنا للمعروف أهلا. أما علمت ان المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة، فاما من أعطيته بعد مسألة، فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه. وعسى ان يكون بات ليلته متملماً أرقا، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته أبكابه الرد، أم بسرور النجح، ف يأتيك وفراصه ترعد وقلبه خائف يتحقق، فان قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه، فان ذلك أعظم مما نال من معروفك. "

(٢٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)، عمر بن سعد لعنة الله (١)، عبد الله بن عباس (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، الحسن بن علي (٢)، الخوف (١)، الكرم، الكرامة (١)، الأكل (١)، اليأس (١)

صفحة ٤٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩

وأعطى شاعراً فقال له رجل من جلسائه: " سبحان الله أتعطى شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان. " فقال: " يا عبد الله ان خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وان من ابتغاء الخير اتقاء الشر. "
وسأله رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال له: " أئت بحمل، فأعطيه طيسانه، وقال: "

هذا كرى الحمال."

وجاءه بعض الاعراب. فقال : "أعطوه ما في الخزانة." ! فوجد فيها عشرون الف درهم. فدفعت إليه، فقال الاعرابي : "يا مولاي، إلا تركتني أبوح بحاجتي، ونشر مدحتي." ؟ فأنشأ الحسن يقول :

نحن أناس نوالنا خضل * * * يرتع فيه الرجاء والأمل تجود قبل السؤال أنفسنا * * * خوفا على ماء وجه من يسل وروى المدائني قال : "خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا، فرأوا عجوزا في خباء فاستسقونها فقالت: هذه الشويهة أحلوها، وامتدوا لبنتها، ففعلوا. واستطعموها، فقالت: ليس إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم. فذبحها أحدهم، وكشطها. ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا. وقالوا عندها، فلما نهضوا، قالوا: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا عدنا فألمى بنا، فانا صانعون بك خيرا. ثم رحلوا فلما جاء زوجها، أخبرته فقال: ويحك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم، ثم تقولين: نفر من قريش. ثم مضت الأيام، فأضررت بها الحال، فرحلت حتى اجتازت بالمدينة، فرأها الحسن (ع) فعرفها، فقال لها: أتعرفيني؟ قالت: لا. قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا، فأمر لها بألف شاة والف دينار، وبعث بها إلى الحسين (ع) فأعطتها مثل ذلك، ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطتها مثل ذلك.

وتنافر رجالان، هاشمي وأموي. قال هذا : "قومي اسمح." وقال (٢٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى (عليهما السلام) (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (٢)، ماء الوجه (١)، الزوج، الزواج (١)

صفحة ٤٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠

هذا : "قومي اسمح." قال : "فسل أنت عشرة من قومك، وانا اسأل عشرة من قومي." فانطلق صاحب بنى أمية فسأل عشرة، فأعطيه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم. وانطلق صاحب بنى هاشم إلى الحسن بن علي، فأمر له بمائة وخمسين الف درهم، ثم أتى الحسين فقال : "هل بدأت بأحد قبلى." ؟ قال : "بدأت بالحسن" قال : "ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدى شيئاً" فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدر衙م. فجاء صاحب بنى أمية يحمل مائة الف درهم من عشر أنفس، وجاء صاحب بنى هاشم يحمل ثلاثة الف درهم من نفسيين. فغضب صاحب بنى أمية، فردها عليهم، فقبلوها. وجاء صاحب بنى هاشم فردها عليهم، فأيّاً ان يقبلها، و قالا : "ما كنا نبالي. أخذتها أم القيتها في الطريق."

ورأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة فقال له : "ما حملك على هذا" ؟ قال : "إني استحي منه إن أكل ولا أطعمه." فقال له الحسن : "لا تربح مكانك حتى آتنيك." فذهب إلى سيده، فاشتراه واحتوى الحافظ (البستان) الذي هو فيه، فأعتقه، وملكه الحافظ.

واخبار كرمه كثيرة لستا بسبيل استقصائها.

وكان من حلمه ما يوازن به الجبال - على حد تعبير مروان عنه. وكان من زهده ما خصص له محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٨١ هجري كتاباً لأسماء (كتاب زهد الحسن عليه السلام). وناهيك بمن زهد بالدنيا كلها في سبيل الدين.

* * * مناقبه:

انه سيد شباب أهل الجنة، وأحد الاثنين انحصرت ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما، وأحد الأربعه الذين باهل بهم النبي (٣٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (١)، بنو أمية (٣)، بنو هاشم (٣)، الحسن بن علي (١)، الزهد (٢)، الكرم، الكرامة (١)، الأكل (١)، الوفاة (١)

٠٢٨ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١

نصارى نجران، وأحد الخمسة (أصحاب الكساء)، وأحد الاثنين عشر الذين فرض الله طاعتهم على العباد، وهو أحد المطهرين من الرجس في الكتاب، وأحد الذين جعل الله مودتهم أجراً للرسالة، وجعلهم رسول الله أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما. وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه الذي يحبه ويدعوه أن يحب من أحبه.

وله من المناقب ما يطول بيانه، ثم لا يحيط به البيان وإن طال.

وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عليهما السلام، فقام بالأمر - على قصر عهده - أحسن قيام، وصالح معاویة في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٤١ - على أصح الروايات - فحفظ الدين، وحقن دماء المؤمنين، وجرى في ذلك وفق التعاليم الخاصة التي رواها عن أبيه عن جده صلى الله عليهما. فكانت خلافته "الظاهره" سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.

ورفع بعد توقيع الصلح إلى المدينة، فأقام فيها، وبنته حرمها الثاني لأهلها ولزائرتها.

والحسن من هذين الحرميين، مشرق الهدایة، ومعقل العلم وممثل المسلمين. ومن حوله الطوائف التي نفرت من كل فرقه لتفقهه في الدين ولتندر قومها إذا رجعت إليهم. فكانوا تلامذته وحملة العلم والرواية عنه. وكان بما أتاح الله له من العلم، وبما مكن له في قلوب المسلمين من المقام الرفيع، أقدر انسان على توجيه الأمة وقيادتها الروحية، وتصحيح العقيدة، وتوحيد أهل التوحيد.

وكان إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جلس في مجلسه، يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يحدثهم. قال ابن الصباغ (الفصول المهمة ص ١٥٩): ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفى غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين.

(٣١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكي (١)، أهل الكساء (١)، شهر جمادى الأولى (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الضلال (١)، السجود (١)، الوفاة (١)

٠٢٩ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢

وكان إذا حج وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه مما يزدحمون للسلام عليه. (عليه السلام).

* * * وفاته:

وسقى السم مراراً - كما سئلتى على تفصيله عند البحث على الوفاء بشروط الصلح -. وأحس بالخطر في المرء الأخيرة، فقال لأن أخي الحسين عليه السلام: "أنا مفارقك ولاحق بربي، وقد سقيت السم، ورميت بكبدي في الطست، واني لعارف بمن سقاني السم ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل". ثم قال: "ثم وادفني مع رسول الله (ص) فاني أحق به وببيته (١). فان أبوا عليك، فأنشدك الله بالقرابة التي قرب الله عز وجل منك، والرحم الماسة من رسول الله ان لا- تهريق في أمرى محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم اليه، ونخبره بما كان من الناس اينا".

(١) اما كونه أحق به، فلانه ابنه وبضعته، بل هو بعضه، ولا أحق من الابن بالأب، ولا من البعض بالكل.

واما كونه أحق بيته، فلأنه وارثه الشرعي من أمه الصديقة الطاهرة عليها السلام الوراثة الوحيدة من أبيها (صلى الله عليه وآله). وانها لترثه كما ورث سليمان داود. وما من مخصص لعمومات الميراث..

وكانت صيغة التفضيل هنا تعنى المفضولين أبا بكر وعمر فيما استأثر به من الدفن فى حجرة رسول الله (ص) بما لا ينكر كل منهما من الحق فى هذه الحجرة. ودل ذلك على رأيهما فى صحة ارث الزوجة من العقار. والمسألة لا تزال محل الخلاف بين فقهاء الاسلام إلى يوم الناس. وكان لكل من عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر فى حجرة رسول الله التى دفن فيها - بناء على صحة ارثهما كزوجتين - سبعم واحد من اثنين وسبعين سهما لأنهما شتنان من تسع. وللتسع كلهن الثمن يتتقاسمنه على هذه النسبة. اما سعة الحجرة المقدسة، فمما لا نعلمه الآن على التحقيق، فلتكن واسعة بحيث تكفى لاثنين وسبعين قبرا، والا فليكن ورثة الصديقة الطاهرة قد أذنوا لأبي بكر وعمر بالدفن فيها. والا فماذا غير ذلك. علينا ان نعرف للحسن (ع) بأنه كان الأحق برسول الله وببيته.

(٣٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الطواف، الطائف، الطائف (١)، الحج (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، عائشة بنت أبي بكر زوجة النبي (ص) (١)، الوسعة (٢)، الزوجة (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الدفن (٢)

صفحة ٣٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣

وأوصى إليه باهله وبولده وتركتاه وبما كان أووصى به إليه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام. ودل شيعته على استخلافه للإمامية من بعده. وتوفي في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٤٩ هجري.

قال أبو الفرج الأصفهاني " وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شئ أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس اليهما سما فماتا منه ".

وللدواهي النكر من هذا النوع، صدماتها التي تهز الشعور وتتوظف الألم، وتجاوיב الأقطار الاسلامية أسى المصيبة الفاجعة، فكان لها في كل كورة مناحة تنذر بثورة، وفي كل عقد من السنين ثورة تنذر بانقلاب.

والله سبحانه وتعالى يقول " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون".

مدفنه:

روى سبط ابن الجوزي بسنده إلى ابن سعد عن الواقدي " انه لما احتضر الحسن قال: ادفوني عند أبي - يعني رسول الله (ص) - فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان واليا على المدينة فمنعوه!! قال ابن سعد: ومنهم عائشة وقالت: لا يدفن مع رسول الله أحد".

وروى أبو الفرج الأموي الأصفهاني عن يحيى بن الحسن انه قال " سمعت على بن طاهر بن زيد يقول: لما أرادوا دفنه - يعني الحسن بن على - ركبت بغلة واستعونت بنى أمية ومروان ومن كان هناك منهم ومن حشmem، وهو قول القائل: فيوم ما على بغل ويوم ما على جمل".

وذكر المسعودي ركوب عائشة البغلة الشهباء وقيادتها الأمويين ليومها الثاني من أهل البيت عليهم السلام. قال " فأطاحتها القاسم بن محمد بن أبي

(٣٣)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، الدولة الأموية (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، مروان بن الحكم (١)، شهر صفر الظفر (١)، السبط ابن الجوزي (١)، يحيى بن الحسن (١)، بنو أمية (٢)، القاسم بن محمد (١)، طاهر بن زيد (١)، الحسن بن علي (٢)، الفرج (١)، الدفن (١)، الوصيّة (٢)

صفحة ٣١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤

بكر فقال: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر (١). أتريدين أن يقال يوم البغة الشهباء؟ فرجعت. " واجتمع مع الحسين بن علي خلق من الناس فقالوا له " : دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا الا كأكلة رأس. " فقال " : ان أخي أو صبي لا أريق فيه محجمة دم.. ولو لا عهد الحسن هذا، لعلمت كيف تأخذ سيوف الله منهم مأخذها. وقد نقضوا العهد بيننا وبينهم، وأبطلوا ما اشترطنا عليهم لأنفسنا. - " يشير بهذا إلى شروط الصلح -. ومضوا بالحسن فدفونه بالبيعع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

قال في الإصابة " : قال الواقدي: حدثنا داود بن سنان حدثنا ثعلبة بن أبي مالك: شهدت الحسن يوم مات ودفن بالبيعع، فلقد رأيت البيعع ولو طرحت فيه إبرة ما وقعت الا على رأس انسان. "

(١) وعلى مثل هذا الوتر من التبكيت المؤدب ما رواه البيهقي في المحسن والمساوي (ج ١ ص ٣٥) قال " : وعن الحسن البصري ان الأحنف بن قيس قال لعائشة يوم الجمل: يا أم المؤمنين. هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. قال: فهل وجدتني في شيء من كتاب الله جل ذكره. قالت: ما نقرأ الا ما تقرأون. قال: فهل رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام استعن بشيء من نسائه إذا كان في قلة والمشركون في كثرة. قالت: اللهم لا. قال الأحنف: فإذا ما هو ذنبنا؟ "

القسم الثاني: في الموقف السياسي قبل البيعة

(٣٤)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليهما السلام (١)، مقبرة بقيع الغرقد (٣)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الحسين بن علي (١)، الموت (١)، الوصيّة (١)، أمهات المؤمنين، ازواج النبي (ص) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الأحنف بن قيس (١)، الحسن البصري (١)، الصلاة (١)

صفحة ٣٢

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٧

يكفيانا الآن، ونحن بصدد موضوع لا ندرى على التحقيق، مدى تأثره بسابقه ومقارنته، ان نرجع - ولو قليلا - إلى استعراض بعض الأوضاع الاجتماعية التي ثاب إليها المسلمون لأول مرة بعد عهد النبوة، بما كان للنبيه من اثر عميق في النفوس، وسلطان قوى على تكوين المجتمع، ويد صناع في بناء عناصر الحيوية في الاتباع.

يكفيانا ونحن نستوحى الذكريات لوضع الصورة العابرة هنا، ان نأخذ من كل مناسبة صلتها بموضوعنا، او نأخذ بالمناسبات ذات الصلة من دون غيرها، لتتعرف - على ضوء هذا الأسلوب - مدى تأثير موضوعنا ب الماضي.

* * * وكان الحدث الأكبر في تاريخ الإسلام هو وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانقطاع ذلك الإشعاع السماوي الذي كان يفرض على الدنيا كلها بالخير، فإذا الدنيا كلها مظلمة تستعد للشر. وانقطعت الأرض بموت رسول الله (ص) عن السماء، إذ كان الوحي

هو بريدها إلى الأرض وأدأه صلتها بها. وهل للأرض غنى عن السماء، وفي السماء رزقها ومنها خيرها وحياتها ونورها ودينها. وما كان أشد من هذه الوحشة على الدنيا، ولا أفح من هذه الخسارة على المسلمين، لو انه كان - ونعود بالله - (٣٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، التاريخ الإسلامي (١)، الغني (١)، الوفاة (١)

صفحة ٣٣

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٨

انقطاعاً باتاً وانفصلاً - نهائياً. ولكن رسول الله (ص) أدرك ما سيمتحن به المؤمنون بعده من عظيم الرزية بانقطاع الوحي من بينهم، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيمًا، فأخبرهم بان حبلاً واحداً سيجيئ متصلًا بينهم وبين السماء. وهل حبل أولى بالتمسك من حبل السماء وقد انقطع الوحي، قال:

"انى تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تصلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تختلفون فيهما" (١).

* * * ومن حق البحث الذي بين أيدينا ان يستقرئ في هذه المناسبة موقف المجتمع من عترة النبي (ص)، أو موقف الجماعات التي كانت تدعى لنفسها حق التمثيل للمجتمع، لينظر فيما خلفوا رسول الله في عترته - استغفر الله - بل لينظر فيما يتصل من ذلك بموضوعنا من هذه المناسبة العابرة. وإذا كانت العترة عشيرة الرجل، فعلى أبرز رجالها بعد رسول الله، وإذا كانت ذريته، فالحسن كبير عترة النبي من بعده. وتجيئ اللغة اطلاق العترة على الصنفين - العشيرة والذرية - معاً.

نعم انه قدر لهذا المجتمع، ان ينقسم إنقسامه التاريخي الذي وقعت فور الفاجعة العظمى بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حين تأول قوم فانساحوا إلى تأولاً - لهم، وتبعد آخرون فثبتوا على الصريح من قول نبيهم، وللنبي تصريحات كثيرة في موضوع الترشيح للخلافة ليس هنا

(١) اخرجه الترمذى وهو الحديث ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال (ص ٤٤ ج ١) وعلى نسق هذا الحديث أحاديث كثيرة أخرى روتها الصاحح والمسانيد، وجاء في بعضها "انى تارك فيكم خليفتين كتاب الله ممدود بين السماء والأرض أو ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض - ("الامام احمد والطبراني في الكبير").

(٣٨)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (١)، الطبراني (١)

صفحة ٣٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٩

مكان استعراضها. ولسنا الآن بقصد مناقشة المتأولين أو مساجلة المتبادرين، لأن كل شيء مما نتفق عليه معهم جمیعاً، أو مع فريق واحد منهم، أو مما نختلف فيه قد تم في حينه على صورته. وليس فيما تتناوله بحوثنا الآن ما يستطيع ان يغير الواقع عن واقعه.

ولكننا - ولنلتمس المعاذير للمتأولين - على مخالفتهم لنصوص نبيهم نقول: انهم نظروا إلى هذه الزيادة عن الوحي التي جعلها رسول الله (ص) للكتاب وللعتبرة من بعده، في حديثه هذا وفي نظائره الكثيرة من الأحاديث الأخرى، نظرتهم السياسية التي لا تعنى الانكار على رسول الله، ولكنها تهدف - قبل كل شيء - إلى "المصلحة" فيما يرون، ورأوا ان وجوب إطاعة الأوامر النبوية في الموضوعات

السياسية، منوط بذوى التجارب من الشيوخ المتقدمين بالسن. فان صادقوا على ما أراده النبي فذاك، والا فليكن ما أرادوا هم. وهكذا زويت الخلافة عن العترة. وهكذا صار من الممكن وربما من المستحسن لدى فريق عظيم من مسلمة محمد (صلى الله عليه وآلـه)، ان يصبح معاویة أيضاً ممن ينماز على خلافة الاسلام ويطلبها لنفسه، ويحتاج عليها بالسن (١) أيضاً، ويصادق عليها الشیوخ المسنون أيضاً كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبی هریرة الدوسی. ولم تكن حملة معاویة هذه بما فيها من استخفاف بقدسیة الاسلام، الأولى من نوعها، ولكنها كانت تمتد بجذورها إلى عهد أقدم، والى تصالح وتعاون أسبق، ومن طراز أسمى (٢). ولم يبق مخفياً ان الحجر الأساسي لهذا التدهور غير المتضرر، كان هو الذي بني هناك في المدينة المنورة، وقامت عليه سقيفة بنى ساعدة بما

(١) يلاحظ هنا كتاب معاویة إلى الحسن عليه السلام شرح النهج (ج ٤ ص ١٣).

(٢) ويراجع للتأكد تصريح معاویة نفسه فيما رواه المسعودي (ج ٦ ص ٧٨ - ٧٩ هامش ابن الأثير). وبنى على ذلك كثير من شعرائنا القدامي قصائدتهم العامرة. وهو ما عناه مهيار الديلمي في لاميته بقوله:

وما الخبيثان ابن هند وابنه * * وان طفى خطبهما بعد وجل بمبدعين في الذي جاء به * * * وانما تقفيا تلك السبل وهو ما عناه قبله أستاذه الشريف الرضي رحمه الله بقوله:

الا ليس فعل الآخرين وان علا * * على قبح فعل الأولين بزائد وهو ما عناه قبلهما الكميٰت بقوله:
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم * * في آخر أسدى له الشر أول إلى أمثال كثيرة أخرى.

(٣٩)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (٢)، أبو هریرة العجلی (١)، المدينة المنورة (١)، المغيرة بن شعبة (١)، عمرو بن العاص (١)، السقيفة (١)، الوجوب (١)، الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، ابن الأثير (١)، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (١)

صفحة ٣٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٠

ابرم فيها من جبل جديد هو غير الجبل الممدود - عموديا - من السماء إلى الأرض الذي عناه رسول الله (ص) في حدیثه الآنف الذکر. ولكن جبل آخر أريد ليتمد مع التاريخ - أفقيا - .

وتولت تحت السقيفة أحدا * * * ث أثارت كواننا ومويلا نزعات تفرقت كغضون ال * * - عوسيج الغض شائكاً مدخولاً (١) * * * ووقف صاحب الحق بالخلافة من اخوانه المتأولين، موقفه المشرف الذي دل بذاته، وبما حفظ الاسلام من الانهيار، على انه وحده كان الوسيط بين الناس وجل السماء. وتلكأ عن بيعتهم بمقدار ما نبه الذهنية الاسلامية إلى الحق المغلوب على امره، واخذ إلى البيعة - بعد ذلك - أخذنا (٢). وسأله بعض أصحابه: "كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟" فقال: "انها كانت أثرة، شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله والمعود اليه القيامة. ودع عنك نها صبح في حجراته (٣..)"

(١) لبولس سلامه.

(٢) قال معاویة فيما كتبه اليه مع أبى امامه الباهلى:

"وتلکأت فى بيته - يعني بيته أبى بكر - حتى حملت اليه قهراً تساق بخزائم الاقتصار كما يساق الفحل المخشوش !!! اه.

(٣) نهج البلاغة (ج ١ ص ٢٩٩)، شرح محمد عبده.

(٤٠)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، السقيفة (١)، كتاب نهج البلاغة (١)

صفحة ٣٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤١

لغة تنبئك عما تكرزمه في دخيلتها من غيظ، وعما تحمله في ظاهرتها من تسليم.

وعشا عن أنواره مناونوه، وعلى أبصارهم غشاوة الذحول. فغفلوا عنه غير منكري سبقه وجهاده وقرباته وصهره وآخوته وعلمه وعبادته، وتصریحات رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنه، التي كانوا يستوعبونها يومئذ أكثر مما نستوعبها نحن. ولكنهم نعموا عليه كثرة فضائله هذه، ونقموه عليه شدته في احقاق الحق، ونقموه عليه سيفه الذي خلق منهم أعداء متورين، منذ كان يصنع الاسلام بهذا السيف في سوح الجهاد المقدس.

ونعموا عليه سنه لأنه كان في العقد الرابع. ولا عجب إذا رأى ذوو الحنكه المنسون، ان لا يكون الخليفة بعد رسول الله مباشرة، الا وهو في العقد السابع مثلا.

وخفى عليهم ان الإمامة في الاسلام دين كالنبوة نفسها، ويجوز فيها ما يجوز في النبوة، ولا- يجوز عليها ما لا يجوز على النبوة في عظمتها. فما شأن الاجتهد بالسن في مقابل النص على التعين. وما شأن الملاحظات السياسية في مقابل كلمات الله وتصريحات نبيه (ص). وكانت سن على يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، سن عيسى بن مرريم يوم رفعه الله عز وجل، أفيجوز لعيسى ان يتنهى بقصارى نبوته في الأرض إلى هذه السن، ولا- يجوز على أن يتندئ خلافته في ثلاثة وثلاثين، وهي السن التي اختارها الله لسكان جنانه يوم القيمة! ولو لم تكن خير سنى الانسان لما اختارها الله للمصطفين من عباده في الجنان.

ونعموا عليه قرباه "فكروا اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد" ولا نعرف كيف انقلب الفضيلة - على هذا المنطق - سببا لنقمة. ولا نفهم كيف كانت "القرابة" بموجتها القصيرة، وبما هي أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله حائل دون الخلافة، ثم هي بموجتها الطويلة، وبما هي

(٤١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، يوم القيمة (١)، الجواز (٤)، الوفاة (١)

صفحة ٣٧

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٢

أبعد عن النبي، دليل الخلافة والحججة الوحيدة في ما دلفوا به من حجاج خصومهم.

وحسبوا انهم أحسنوا صنعا للإسلام وللمصلحة العامة بفضلهم الخلافة عن بيت النبوة، وبما فسحوا المجال لبيوتات أخرى، تعاون - بدورها - على غزو المنصب الديني الأعلى، أبعد ما يمكن بطبيعته عن مجالات الغزو والغلبة والاستيلاء بالقوة والعنف.

وخفى عليهم ما كان يحتاط به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامته ولعترته، حين سجل الخلافة في بيته.

* * وجاءت الاحداث - بعد ذلك - فنبهت العقول الواقعية إلى أخطاء القوم وصواب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكان "عملية الفصل" هذه، هي مثار الخلافات التاريخية الحمر، بين عشاق الخلافة في مختلف الأجيال، ومبعد ما أس فظيعة في المسلمين، ومصدر انعكاسات مزرية في مثالية الاسلام، كان المسلمون في غنى عنها لو قدر للخلافة - من يومها الأول - ان تأخذ طريقها اللاحب الذي لا يجوز فيه اجتهد، ولا تمسه سياسة، ولا يتصرف فيه أحد غير الله ورسوله.

"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً إن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً."

وهل كان التناحر والتطاحن المدید العمر المتواتر مع الأجيال فيما بين الأسر البارزة في المسلمين، الا نتيجة فسح المجال لهذا او ذاك في الطماح إلى غزو المقام الرفيع.

وهل كانت المجازر الفظيعة التي جابها المسلمون في الفترات المختلفة من تاريخ الاسلام: بين بنى هاشم وبين بنى أمية؟ وبين بنى الزبير وبين بنى أمية؟ وبين بنى العباس وبين بنى أمية؟ وبين بنى العباس ... الا النتيجة (٤٢)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، بنو عباس (٢)، التاريخ الإسلامي (١)، بنو أمية (٣)، بنو هاشم (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الغنى (١)، الجواز (١)

صفحه ۳۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٣

المباشرة لفصم ذلك التقليد الدينى الذى احتاط به رسول الله صلى الله عليه وآلـه، ليكون حائلا دون أمثال هذه المأسى والاحاداث المؤسفة في الإسلام.

وهل كانت "فجائع العترة" الفريدة من نوعها - بالقتل والصلب والسب والتشريد - الا اثر الخطأة الأولى، التي خولفت بها سياسة النبي (ص) فيما اراده لامته ولعترته، وفيما حفظ به أمته وعترته جميعاً، لو انهم أطاعوه فيما أراد.

ولكنهم جهلو مغري هذه السياسة البعيدة النظر، فكرهوا اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، انصهاراً بسياسة أخرى.

وكانـت هـى المـعذـرـة الظـاهـرـة التـى لم يـجـدـوا غـيرـها مـعـذـرـة يـبـوحـون بـهـا لـلـنـاسـ. اـمـا مـعـذـرـتـهم الـبـاطـنـةـ، فـلا يـعـلـمـ بـهـا الا العـالـمـ بـيوـاطـنـ الـأـمـورـ وـهـى عـلـى الـأـكـثـرـ لـا تـعـدـوـ الـذـكـرـيـاتـ الدـامـيـةـ فـى حـرـوبـ الدـعـوـةـ الـاسـلـامـيـةـ، اوـ الحـسـدـ الـذـىـ "يـأـكـلـ الدـينـ كـمـ تـأـكـلـ النـارـ الـحـطـبـ" كـمـاـ فـيـ الـحـدـثـ الشـرـيفـ.-

وكان حب الرياسة وشهوة الحكم، شر أدوات الناس وبالا على الناس، وأشدّها استفحala في طباع الأقوياء من زعماء ومتزعمين. وما النبوة ولا الإمامة بما هما - منصب إلهي - من مجالات السياسة بمعناها المعروف، وكل سياسة في النبوة أو في شيء من ذيولها الإدارية، فهو دين والى الدين. والمرجع الوحيد في كل ذلك، هو صاحب الدين نفسه، وكلمته هي الفصل في الموضوع.

* * ولکی تتفق معی علی مسیس اتصال هذه المناسبة بموضوعنا اتصالاً وشیجاً، عليك ان تتطلع إلى اللغة المتظلمة الناقمة التي ينكشف عنها الحسن بن علي عليهما السلام في هذا الشأن، بما كتبه إلى معاویة، ابان البيعة له في الكوفة. قال:

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)،
١- نهر الأكاذيب (١)، المتن (١)، الأكاذيب (١)

WA 1-3

٤٣ - (٢) الـ شـفـقـ الـ كـلـ وـ الـ فـيـ الـ كـلـ

"فِلَمَا تُوفِيَ - يَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - تَنَازَعَتْ سُلْطَانَةُ الْعَرَبِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَحْنُ قَبْلَتِهِ وَأَسْرَتِهِ وَأَوْلَائِهِ، وَلَا يَحْلُّ لَكُمْ أَنْ تَنَازَعُونَا سُلْطَانَ مُحَمَّدَ وَحْقَهُ. فَرَأَتِ الْعَرَبُ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ قُرَيْشٌ وَأَنَّ الْحِجَّةَ فِي ذَلِكَ لَهُمْ عَلَى مَنْ نَازَعَهُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ. فَأَنْعَمْتُ لَهُمْ وَسَلَّمْتُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ حَاجَجْنَا (١) نَحْنُ قُرَيْشًا بِمِثْلِ مَا حَاجَجْتُ بِهِ الْعَرَبَ، فَلَمْ تَنْصُفْنَا قُرَيْشٌ انصافَ الْعَرَبِ لَهَا. إِنَّهُمْ أَخْذُوا هَذَا الْأَمْرِ دُونَ الْعَرَبِ بِالْأَنْصَافِ وَالْاحْتِجاجِ، فَلَمَّا صَرَّ نَا أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَائِهِ إِلَيْهِ، مَحَاجَجْتُهُمْ، وَطَلَبْتُ النَّصْفَ مِنْهُمْ، بِأَعْوَنَا وَاسْتَوْلَوْا

بالمجتمع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا. فالموعد الله وهو الولي النصير.

"ولقد كنا تعجبنا لتوثب الموثقين علينا في حقنا، وسلطان بيتنا. وإذا كانوا ذوي فضيله وسابقه في الإسلام، أمسكنا عن منازعتهم، مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغماً يلهمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من افساده. "فاليوم فليتعجب المعجب من توثبك يا معاویة على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكتابه. والله حسيبكم فستر علىه وتعلم لمن عقبى الدار (!!) ٢.

وهكذا نجد الحسن عليه السلام، يعطف - بالفاء - عجبه من توثب معاویة على تعجبه لتوثب الأولين عليهم في حقهم وسلطان بيته. ومن هنا تتبثق مناسبة اتصال قضيته بقضايا الخلافيين السابقين، وتتبثق معها مناسبات أخرى. بعضها للأخوين. وبعضها للحق العام.

(١) وكان من أفعط النكبات بقضية أهل البيت عليهم السلام، ان تخفي كل هاتيك المحاججات في التاريخ. ثم لا نقف منها الا على التنف الشاردءة التي أغفلتها الرقابة العدوة عن غير قصد.. وهنا الذكر قول الشاعر المجدد الحاج عبد الحسين الآزري:
اقرأ بعصرك ما الأهواء تكتبه * * ينبعك عما جرى في سالف الحق (٢) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٢).
(٤٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، أهل بيته النبي صلى الله عليه وآله (١)، ابن أبي الحديد المعترلى (١)، الحج (١)

صفحة ٤٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٥

وما نحن بالذاكرين شيئاً منها هنا، لأننا لا نريد أن نتصل بهذه البحوث، في سطورنا هذه، إلا بمقدار ما تتصل هي بالصيم من موضوعنا. ** * وعلمنا ان الرشاقة السياسية البارعة التي ربحت الموقف بعد وفاة رسول الله (ص) في لحظات، والتي سماها كبير من أقطابها " بالفلة " وسمها معاویة " بالابتزاز للحق والمخالفه على الامر (١، ") كانت بنجاحها الخاطف دليلاً على سبق تصميم في الجماعات التي وليت الحل والعقد هناك. فكان من السهل ان نفهم من هذا التصميم " اتجاهها خاصاً " نحو العترة من آل محمد (ص) له اثره في حينه، وله آثاره بعد ذلك.

فكانوا المغلوبين على امرهم، والمقصيين - عن عمد - في سائر التطورات البارزة التي شهدتها التاريخ يومئذ (٢). فلا الذي عهد بالخلافة قد هم. ولا الذي حصر الخليفة في الثلاثة من الستة أنصفهم. ولو لا رجوع الاختيار إلى الشعب نفسه مباشرة، بعد حادثة الدار، لما كان للعترة نصيب من هذا الامر على مختلف الأدوار.

(١) تجد ذلك صريحاً فيما كتبه معاویة لمحمد بن أبي بكر. قال : " كان أبوك وفاروقة أول من ابته - يعني علياً عليه السلام - حقه وخالفه على امره. على ذلك اتفقاً واتسقاً، ثم انهما دعواه إلى بيعتهما فأبطنَا عنهما وتلكلأَ عليهما، فهما به الهموم وأرادوا به العظيم. ثم انه بایع لهما وسلم لهم. وأقاما لا يشرکانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله .. - ثم أردف قائلاً : فان يك ما نحن فيه صواباً، فأبوك استبد به ونحن شركاؤه، ولو لا ما فعل أبوك من قبل، ما خالفنَا ابن أبي طالب وسلمتنا اليه، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا واخذنا بمثله .. " اه المسعودي على هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٨ - ٧٩).

(٢) ونجد في كلمات أمير المؤمنين (ع) شواهد كثيرة على ذلك. قال : " فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقٍّ مستأثراً على منْذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا. " وقال: اللهم اني أستعديك على قريش ومن أعنائهم، فإنهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على

منازعتي أمرا هو لى..

(٤٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآلها (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلها (١)، الوفاة (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، ابن الأثير (١)، محمد بن أبي بكر (١)

صفحة ٤١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٦

ثم كان لهذا "الاتجاه الخاص" أثره في خلق معارضه قوية للعهدين اللذين رجعا بأمرهما إلى العترة من آل محمد صلى الله عليه وآلها.

وفي حروب البصرة وصفين فمسكن شواهد كثيرة على ما نقول.

وفي موقف ابن عمر (١) وسعد بن أبي وقاص وأسامه بن زيد ومحمد بن مسلم وقادمة بن مظعون وعبد الله بن سلام وحسان بن ثابت وأبي سعيد الخدري وزيد بن ثابت والنعمان بن بشير.. وهم "القعاد" الذين آثروا الحياد، واستنكفوا من البيعة لعلى ولابنه الحسن عليهما السلام شواهد أخرى.

ولهذه المعارضة ميادينها المختلفة وألوانها المتعددة. ومنها المواقف السلبية النابية التي جوبه بها زعماء العترة عليهم السلام، في المدينة أولاً، وفي الكوفة أخيراً.

والاً ما الذي كان يحدو عليا عليه السلام، ليقول من على منبره في الكوفة:

"يا أشداء الرجال ولا رجال، ويَا أحَلَامَ الْأَطْفَالِ وَعُقُولَ رِبَاتِ الْحَجَالِ، أَمَا وَاللهُ لَوْدَدَتْ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، وَقَبضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَوَدَدَتْ أَنِّي لَمْ أَرْكِمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ، فَقَدْ وَاللهِ مَلَأْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا. وَجَرَعْتُمُونِي الْأَمْرَيْنِ أَنْفَاسًا. وَأَفْسَدْتُمْ عَلَى رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخَذْلَانِ" .. إلى كثير مما يشبه هذا القول، مما أثر عنه في خطبه وكلماته.

أليست هي المعارضة التي زرعت نواتتها الخبيثة في كل مكان من حاضر على عليه السلام، فأخذت على الناس التقاус عن نصرته بشتى المعاذير.

(١) قال المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٥ ص ١٧٨ - ١٧٩): ولكن عبد الله بن عمر بايع يزيد بعد ذلك وبايع الحجاج لعبد الملك بن مروان !!. ورأى المسعودي ان يسمى هؤلاء "القعاد" بالعثمانية. ورأى أبو الفدا (ج ١ ص ١٧١) ان يسميهم "المعزلة" لاعتراضهم بيضة على (ع) - أقول: وما هم بالعثمانية ولا المعزلة ولكنهم الذين ماتوا ولم يعرفوا امام زمانهم.

(٤٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآلها (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، أبو سعيد الخدري (١)، مدينة الكوفة (٢)، عبد الله بن سلام (١)، أسامه بن زيد (١)، النعمان بن بشير (١)، مدينة البصرة (١)، قدامة بن مظعون (١)، حسان بن ثابت (١)، زيد بن ثابت (١)، محمد بن مسلم (١)، مدرسة المعزلة (٢)، ابن الأثير (١)، عبد الله بن عمر (١)

صفحة ٤٢

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٧

أقول هذا. ولا أريد أن أتناسى - معه - العوامل الأخرى التي شاركت "الاتجاه" - "الآنف الذكر" - في تكوين هذه المعارضة بمقفيها

- الإيجابي المسلح والسلبي الخاذهل - تجاه العترة النبوية في العهد الهاشمي الكريم.

ولا أشكك بان العدل الصارم، والمساواة الدقيقة في التوزيع التي كانت طابع هذا العهد، بل هي - دون ريب - طابع العهود الهاشمية مع القرن الأول، في نبوتها وفي خلافتها. - هي الآخرى التي تحسس منها الناس أو قسم من الناس، بشيء من الضيق لا يتسع للطاعة المطلقة ولا للخلاص الحر اللذين لن ينتفع بغيرهما في ميدان سلم أو ميدان حرب.

والظروف الطارئة بمقتضياتها الزمنية التي طلت بها على الناس خزائن المالك المهزوم في الفتوح، والطعوم الجديدة من الحياة التي لا عهد لهؤلاء الناس بمثلها من قبل - كل ذلك، كان له أثره في خلق الحسن المظلوم الذي من شأنه أن يظل دائماً في الجهة المعاكسة للنور.

وفي بحران هذا "الاتجاه الخاص" الذي تعامل على تكوينه ربع قرن من السنين، يتمثل عهد على عليه السلام في خلافه قبل بيعة الحسن في الكوفة.

والحسن من على (عليهما السلام) كبير ولده، وولي عهده، وشريك سرائه وضرائه، يحس بحسه ويألم بألمه. وهو - إذ ذاك - على صلة وثيقة بالدنيا التي أحاطت بأبيه من قومه ومن رعيته ومن أعدائه، فهو لا يجهلها ولا يغفل عنها، وكان ينطوي مما يدور حوله على شجي مكتوم، يشاركه فيه أخوه كما يشاركه في إخوته. وكان هذا الشجي المكتوم، هو الشيء الظاهر مما خلف به هؤلاء المسلمين - يومئذ - نبيهم في عترته، جواباً على قوله (ص) لهم : "فانتظروا كيف تختلفون فيهم".!!

* * *

(٤٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، كتاب الفتوح لأحمد بن أucher الكوفي (١)، مدينة الكوفة (١)، الكرم، الكرامة (١)، الظل، التضليل، الظلالة (١)، الحرب (١)

صفحة ٤٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٨

وكان الحسن عليه السلام، إذ ينطوي على هذا الشجي، لا يلبث أن يستروح الأمل - أحياناً - بما يجده في صحابة أبيه البهاليل من النجدة والحيوية والمفادة وشمائل الأخلاص الذي لا تشوبه شائبة طمع في دنيا، ولا شائبة هوى في سياسة.

ومن هؤلاء، القواد العسكريون، والخطباء المفوهون. والفقهاء والقراء والصفوة الباقيه من بناء الاسلام. كانوا - بجدارة - العدة التي يستند إليها أمير المؤمنين، في حربه وسلمه. وكانوا - بحق - دعامة العهد الهاشمي فيما تعرض له هذا العهد، من زلزال وزعزاع واحظار.

وكانوا المسلمين الذين وفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله، فيما واثقوه عليه في ذريته، بأن يمنعون بما يمنعون به أنفسهم وذرياتهم. فلم لا يستروح الحسن بهم رواح الأمل لقضية أبيه، بل لقضية نفسه.

وكانوا المؤمنين الذين آمنوا بكلمات الله في أهل بيته نبيهم وذوى قرباه وآمنوا بوصي نبيهم، وبمراتبه التي رتبها الله له أو رتبه لها. وفهموا علينا كما يجب أن يفهم. وعلى هو ذلك البطل الذي لم يحلم المسلمين بعد رسول الله (ص) بمثله، اخلاصاً في الحق، وتفادياً في الاسلام، ونصحاً للمسلمين، واستقامة على العدل، واتساعاً في العلم. ولن ينقص علينا في كبريات معانيه، جحود الآخرين فضائله ومميزاته، ولهؤلاء الآخرين من مطامعهم وأهوائهم شغل شاغل يملاً فراغ نفوسهم. وما في ملائكة على عليه السلام متسع للأهواء والمطامع. فليكن هؤلاء - دائماً - في الملائكة البعيدة عن على، ول يكنوا في المعسكر الذي يقوم على المساومة بالمال والولايات.. ول يكن مع على زمرة المنخلولة تلك، المسلمـة اسلامـها الصـحـيـحـ أمـثالـ عـمارـ بنـ يـاسـرـ، وـخـزـيمـةـ بنـ ثـابـتـ ذـيـ الشـهـادـتـينـ، وـحـذـيفـةـ بنـ

اليمان، وعبد الله وعبد الرحمن ابني بديل، ومالك بن الحارث الأشتر، وخباب بن الأرت، ومحمد بن أبي بكر، وأبي الهيثم بن التيهان، وهاشم بن عتبة (٤٨)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، حذيفة بن اليمان (١)، خباب بن الأرت (١)، خزيمة بن ثابت (١)، مالك بن الحارث (١)، محمد بن أبي بكر (١)، هاشم بن عتبة (١)، عمار بن ياسر (١)، الباطل، الإبطال (١)

صفحة ٤٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٤٩

ابن أبي وقاص (المرقال)، وسهل بن حنيف، وثبت بن قيس الأنباري، وعقبة بن عمرو، وسعد بن الحارث بن الصمة، وأبي فضالة الأنباري، وكعب بن عمرو الأنباري، وقرضة بن كعب الأنباري، وعوف بن الحارث بن عوف، وكلاط بن الأسكندر الكناني، وأبي ليلى بن بليل ... واصراب هؤلاء من قادة الحروب وأحلال المحاريب، الذين أنكروا الظلم، واستعظموا البدع، وأمرموا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتسابقوا إلى الموت في سبيل الله، استباقي غيرهم إلى المطامع في سبيل الدنيا.
ومن الخير، أن ننبه هنا، إلى أن جميع هذه الصفة المختارة كانت قد استشهدت في ميادين على عليه السلام، وان ثلاثة وستين بدرية استشهد معهم في صفين (١) وحدها، وان أضعاف هذه الأعداد كانت خسائر الحروب المتعاقبة مدى ثلاث سنوات.
فما ظنك الآن، بذلك الامل الذي كان يداعب الحسن عليه السلام بوجود الأنصار، وهل بقي للحسن - بعد هذا - الا الشجى المكتوم، مضاعفا على تضاعيف الأيام.

اما معسكر على عليه السلام، فقد نكب نكتبه الكبرى، حين أصحر من خيرة رجالاته، ومراكيز الثقل فيه.
واما دنيا على عليه السلام، فقد عادت لسقيا الغصص وشرب الرنق - على حد تعبيره هو فيما ندب به أصحابه عند مصارعهم -.
وتلفت على إلى آفاقه المترامية التي تخضع لامرها، فلم يجد بين جماهيرها المتدافعة، من ينبض بروح أولئك الشهداء، أو يتحلى بمثل مزاياهم، اللهم الا النفر الأقل الذي لا يناظر به أمل حرب ولا أمل سلم.
ولولا قوة تأثيره في خطبه، وعظيم مكانته في ساميته، لما تألف له - بعد هؤلاء - جيش، ولا قامت له بعدهم قائمة.

(١) اسم موضوع على شاطئ الفرات بين "عنة" و "دير الشعار." كان ميدان الحروب الطاحنة بين الكوفة والشام.

(٤٩)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، الحارث بن عوف (١)، ثابت بن قيس (١)، سهل بن حنيف (١)، عقبة بن عمرو (١)، سبيل الله (١)، كعب بن عمرو (١)، الظلم (١)، الموت (١)، الحرب (١)، الشهادة (٢)، الإبداع، البدعة (١)، مدينة الكوفة (١)، نهر الفرات (١)، الشام (١)

صفحة ٤٥

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٠

وهكذا أسلمته ظروفه لأن يكون هدف المقاطعة من بعض، وهدف العداء المسلح من آخرين، وهدف الخذلان الممقوت من الاتباع (فلا إخوان عند النجاء، ولا أحرار عند النداء).
وأى حياة هذه التي لا تحفل بأمل، ولا ترجى لنجاح عمل. وقد أزمع فيها الترحال عباد الله الآخيار، الذين باعوا قليلا من الدنيا لا يبقى،

بكثير من الآخرة لا يفني.

فسمع وهو يقول (اللهم عجل للمرادي شقاءه) وسمع وهو يقول (فما يحبس أشقاها ان يخضبها بدم أعلاها)، وسمع وهو يقول (أما والله لو ددت ان الله أخرجنى من بين أظهركم وقضنى إلى رحمته من بينكم).

وسلام عليه يوم ولد. ويوم سبق الناس إلى الاسلام. ويوم صنع الاسلام بسيفه. ويوم امتحن. ويوم مات. ويوم يبعث حيا.

* * * ترك من بعده لولي عهده، ظرفه الزمني النابي، القائم على اثنين من ثلاثة - فقر الانصار. والعداء المسلم. والمقاومة الخاذلة.

البيعة

(٥٠)

مفاهيم البحث: الموت (١)، البعث، الإنبعث (١)

صفحة ٤٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٢

إذا كان الدين في الاسلام، هو ما يبلغه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه الذي لا ينطق عن الهوى "ان هو الا وحي يوحى،" وإذا كان الخليفة في الاسلام هو من يعينه النبي للخلافة، لأن المرجع الأعلى في الأثبات والنفي، فالحسن بن علي، هو الخليفة الشرعي، بایعه الناس أو لم بیاعوه.

ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله باسمه في سلسلة أسماء خلفائه الاثنتي عشر، كما تضافر به الحديث عنه، فيما رواه علماء السنة (١)، وفيما أجمع على روايته علماء الشيعة، وفيما اتفق عليه الفريقان، من قوله له ولأخيه الحسين "أنتما الامامان والأئمكما الشفاعة (٢)." وقوله وهو يشير إلى الحسين "هذا امام ابن امام أخو امام أبو ائمئة تسعة (٣ -)" الحديث -

وأمره أبوه أمير المؤمنين - مند اعتل - أن يصلى (٤) بالناس، وأوصى إليه عند وفاته قائلاً "يا بني أنت ولی الامر ولو لی الدم، وأشهد على وصيتي الحسين ومحمدًا وجميع ولده ورؤسائه شيعته وأهل بيته، ودفع إليه الكتاب والسلاح، ثم قال له "يا بني أمرني رسول الله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلى رسول الله ودفع إلى

(١) تجد ذلك مفصلاً في ينابيع المودة (ج ٢ ص ٤٤٠) فيما يرويه عن الحموي في فرائد السقطين، وعن الموفق بن احمد الخوارزمي في مسنده. وروى ذلك ابن الحشاب في تاريخه وابن الصباغ في "الفصول المهمة"، والحافظ الكنجي في "البيان".

وأسعد بن إبراهيم بن الحسن بن على الحنبلي في "أربعينه". والحافظ البخاري (خاجه بارسا) في "فصل الخطاب."

(٢) الاتحاف بحب الأشراف، للشبراوي الشافعى (ص ١٢٩ ط مصر) ونزهة المجالس. للصفوري الشافعى (ج ٢ ص ١٨٤).

(٣) ابن تيمية في منهاجه (ج ٤ ص ٢١٠).

(٤) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٦١).

(٥٢)

مفاهيم البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الحسن بن علي (١)، الوصية (٢)، كتاب الفصول المهمة لأبن صباغ المالكي (١)، كتاب فصل الخطاب لسليمان أخ محمد بن عبد الوهاب (١)، إبراهيم الحموي الشافعى (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب فرائد السقطين (١)، ابن الأثير (١)، إبراهيم بن الحسن (١)، ابن تيمية (١)، الخوارزمي (١)

صفحة ٤٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٣

كتبه وسلامه. وأمرني أن آمرك، إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين. " ثم أقبل على الحسين فقال : " وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا. " ثم اخذ ييد على بن الحسين وقال : " وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد. فأقرئه من رسول الله ومني السلام (١)."

* * * صورة تحكيها كل كتب الحديث التي تعرض لهذه المواضيع، وترفعها مسندة بالطرق الصحيحة الموثقة، إلى مراجعها من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم. وهي الصورة التي تناست الوضع المنتظر لمثل ظرفها. والا فما الذي كان ينبغي غير ذلك؟ وهذه هي طريقة الامامية من الشيعة في ثبات الإمامة.

- نصوص نبوية متواترة من طرقيهم، ومرورية بوضوح من طرق غيرهم، تحصر الإمامة في اثنى عشر إماماً كلامهم من قريش (٢)، وتذكر - ضمناً - أو في مناسبة أخرى، أسماءهم إماماً إلى آخرهم، وهو المهدى المنتظر الذى يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن تكون قد امتلأت ظلماً وجوراً.

- ونصوص خاصة، من كل إمام على خلفه الذي يجب أن يرجع إليه الناس.

ثم يكون من تفوق الامام، في علمه وعمله ومكارمه وكراماته، أدلة وجدانية أخرى، هي بمثابة تأييد لتلك النصوص بنوعيها.

(١) أصول الكافي (ص ١٥١) وكشف الغمة (ص ١٥٩) وغيرهما.

(٢) ففي صحيح مسلم (ج ٢ ص ١١٩) في باب "الناس تبع لقريش" عن جابر بن سمرة قال : " سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. " وروى نحو منه البخاري (ج ٤ ص ١٦٤) وأبو داود والترمذى في جامعه والحميدى في جمعه بين الصحيحين. ورواه غيرهم. والحديث بحصره العدد في الاثنى عشر من قريش، وبما يفصله صحيح مسلم من كون هذا العدد هو عدد الخلفاء إلى أن تقوم الساعة، صريح بما يقوله الامامية في أئمتهم، دون ما وقع في التاريخ من أعداد الخلفاء ومختلف عناصرهم.

(٥٣)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، على بن الحسين (١)، الموت (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، حديث اثنى عشر خليفة (١)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب صحيح مسلم (٢)، جابر بن سمرة (١)

صفحة ٤٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٤

اما بيعة الناس فليست شرطاً في امامية الامام. وانما على الناس أن يبايعوا من أرادته النصوص النبوية. ولا تصح الامامية بيعة غيره. ولا تقع من أحدهم الا اضطراراً.

وقضت الظروف بدعافعها الزمنية، أن لا يبايع الناس من الأئمة المنصوص عليهم، الا الامامين علياً والحسن عليهما السلام.

* * * وابتداً بعد الحسن عهد "الخلافات" الاسمية، التي ترتكز في نفوذها على السلاح، وتقوم في بيعتها على شراء الضمائر بالمال. أو كما قال الغزالى " وأفضلت الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق (١).")

وكان الأولى بال المسلمين، أو بمورخة الاسلام على الأنصار، ان يغلقوا عهد "الخلافة" بنهائية عهد الحسن عليه السلام، ليشرعوا بعده عهد "الملك" بظواهره وسياسته وارتجالاته ولو فعلوا لحفظوا مثالية الاسلام مجلوبة بما ترسمه خلفاؤه المثاليون من سيرة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم ولصانوا الاسلام عن كثير مما وصمـه به هؤلاء الملوك الذين فرضوا على المسلمين خلافاتهم فرضاً، ثم جاء

التاريخ فرضى أن يسمىهم "الخلفاء" من دون استحقاق لهذا الاسم، وأساء إلى الإسلام من حيث أراد الاحسان.

ترى، أىصح لل الخليفة الذى يجب أن يكون أقرب الناس شبهها بصاحب الرسالة فى ورعيه وعلمه والتزامه بحرفية الإسلام، أن يصلى " الجمعة " يوم الأربعاء، أو يصلى لها مرة أخرى فى ضحى النهار، أو يتطلب محرما، أو يبيع الذهب بأكثر منه وزنا، أو يلحق العهار بالنسبة، أو يقتل المؤمن صبرا، أو يرد الكافر بالمال ليتجهز على اخوانه المسلمين بالحرب؟ إلى غير ذلك والى أنكى من ذلك من ظواهر الملك التى لا يجوز نسبتها إلى الدين. فلم لا يكون صاحبها رئيس دنيا و "ملكا" بدل أن نسميه رئيس دين و "خليفة؟".

وناهيك بمن جاء بعد معاویة من خلائق هذه الشجرة المنعوتة في القرآن - نعتها اللائق بها -. فماذا كان من يزيد وماذا كان من

(١) تراجع " دائرة المعارف " لفريد وجدى مادة " حسن " ج ٣ ص ٢٣١ .

(٥٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، القرآن الكريم (١)، البيع (١)، القتل (١)، الجواز (١)

صفحة ٤٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٥

عبد الملك ومن الولي، ومن آخرين وآخرين.

كل ذلك كان يجب أن يستحق المسلمين إلى الانتصار للإسلام، فلا يضيفون إلى مراكزه الدينية العليا، إلا الأكفاء المتوفرين بتربتهم على مثاليه والذين هم أقرب الناس شبهها بمصدر عظمته الأول (ص).

وعلمنا - مما تقدم - أن الحسن بن علي عليهما السلام، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخلقها وهيأة وسؤدداً (١). وانه كان عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك. وعلمنا أنه كان سيد شباب أهل الجنة في الآخرة. والسيد في الآخرة هو السيد في الدنيا غير منازع. و "السيد" المطلق لقبه الشخصي الذي لقبه به جده رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعلمنا أنه كان أشرف الناس نسباً، وخيرهم أباً وأماً وعما وعمة وخالاً وخالة وحاجاً وجدة. كما وصفه مالك بن العجلان في مجلس معاویة (٢).

فلم لا يكون - على هذا - هو المرشح بالتركيبة القطعية للبيعة العامة. كما كان - إلى ذلك - هو الإمام المقطوع على أمره بالنص. ولم لا يضاف اليه المركز الدينى الأعلى، وهو من عرف مقامه وسموه ومميزاته. وإذا تعذر علينا أن نفهم الإمامة والكفاءة للخلافة، من هذه القابليات الممتازة والمناقب الفضلى، فأى علامة أخرى تنوب عنها أو تكتفي فهمها.

* * * خرج عليه السلام إلى الناس، غير ناظر إلى ما يكون من أمرهم معه، ولكنه وقف على منبر أبيه، ليؤبن أباًه بعد الفاجعة الكبرى في مقتله صلوات الله وسلامه عليه.

فقال : " لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبق الأولون، ولا يدركه الآخرون. لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه. ولقد كان يوجهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وMicahiel عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه. ولقد توفي في الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران. ورفع بها عيسى بن مريم، ونزل القرآن. وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله (١).")

وتأمين الحسن هذا - بأسلوبه الخطابي - فريد لا - عهد لنا بمثله، لأنه - كما ترى - لم يعرض إلى ذكر المزايا المعروفة في الراحل العظيم، كما هي العادة المتبعة في أمثل هذه المواقف، ولا سيما في تأمين الرجال الذين احتوشاً الفضائل، فكان لهم أفضل درجاتها، ومنروا على المكارم فإذا هم في القمة من ذرواتها، علماً وحملماً وفضاحةً وشجاعةً وسماحةً ونسبةً وحبلاً ووفاءً وباءً، كعلى الذي

حير المادحين مدح علاه. فلماذا يعزف الحسن عليه السلام، فيما يؤبئنه به عن الطريقة المألوفة في تأيين العظام؟. ترى أكانت الصدمة القوية في مصيته به، هي التي سدت عليه - وهو الخطيب المقصع وابن أخطب العرب - أبواب القول فيما ينبغي أن يقول، أم أنه كان قد عمد إلى هذا الأسلوب قاصداً، فكان في اختيار

(١) اليعقوبي (ج ٢ ص ١٩٠) وابن الأثير (ج ٣ ص ١٦) ومقاتل الطالبين.

(٥٥)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، يوم عرفة (١)، موسى بن عمران (١)، القرآن الكريم (١)، الصلاة (١)، الإختيار، الخيار (١)، القتل (٢)، ابن الأثير (١)

صفحة ٥٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٧

الأسلوب الخاص، أبلغ الخطباء وابرعمهم إصابة للمناسبات، وأطولهم خطابة على اختصار الكلمات.

نعم انه يؤبئنه بما لا يسع أحداً في التاريخ أن يؤبئنه به غيره. وكل تأيين على غير هذا الأسلوب، كان بالامكان أن يؤبئنه على غراره غيره وغيره من عظاماء الناس. اما الأوصاف الفريدة التي ذكرها الحسن لأبيه في هذا التأيين، فكانت الخصائص العلوية التي لا تصح لغير على في التاريخ، ولا يشاركه فيها أحد من العظاماء ولا من الأولياء.

انه ينظر اليه من زاويته الربانية - نظر امام إلى امام - فإذا هو الراحل الذي لا يشبهه راحل ولا مقيم، ولا يضاهيه - في شتي مراحله - ولی ولا زعيم.

رجل ولكنه الذي لم يسبق الأولون ولا يدركه الآخرون. وانسان ولكنه بين جبرئيل وميكائيل، وهل هذا الا الانسان الملائكي. ترفع روحه يوم يرفع عيسى، ويموت يوم يموت موسى، ويتنزل إلى قبره يوم ينزل القرآن إلى الأرض! مراحل كلها بين ملك مقرب ونبي مرسلاً وكتاب منزل، ومع رسول الله يقيمه بنفسه. فما شأن مكارم الدنيا، إلى جنب هذه المكرمات الكرام، حتى يعرض إليها في تأييشه. ولعلك تتفق معى الآن إلى أن هذا الأسلوب الرائع "الفرید" فيما أبن به الحسن أباًه عليهما السلام، كان أبلغ تأييشه في ظرفه، وأليقه بهذا الفقيد.

وهذه احدى مواقفه الخطابية، التي دلت بموهبتها الممتازة على نسبتها القريب، من جده ومن أبيه (صلى الله عليهما وعلى آلهما). وسيكثر منذ اليوم أمثالها، من الحسن "الخليفة" عليه السلام، بحكم نزوله إلى قبول البيعة من الناس، وبما سيستقبله من طوارئ كثيرة، تستدعيه للكلام وللقول وللخطابة في مختلف المناسبات.

* * *

(٥٧)

مفاتيح البحث: القرآن الكريم (١)، الموت (١)، القبر (١)، الكرم، الكرامة (١)، الجنابة (١)

صفحة ٥١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٨

وقف بحذاء المنبر في المسجد الجامع - وقد غص بالناس - ابن عمّه "عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب". "ينتظر هدوء العاصفة الباكرة المرنة، التي اجتاحت الحفل، في أعقاب تأييشه الإمام الحسن لأبيه عليهما السلام.

ثم قال - بصوته الجھوری الموروث - الذى يدوی فی الأرض دوى أصوات السماء، وما كان عبید الله منذ اليوم، الا داعی السماء إلى الأرض:

"عاشر الناس هذا ابن نبیکم، ووصی امامکم فبایعوه " " يهدی به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه، ويهدیهم إلى صراط مستقیم."

وفی الناس إلى ذلك اليوم، كثیر ممن سمع نص رسول الله صلی الله علیه وآلہ، علی إمامته بعد أبيه. فقالوا " : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا وأحقه بالخلافة. " وبادروا إلى بیعته راغبين.

وكان ذلك يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان، يوم وفاة أبيه علیه السلام، سنة أربعين للهجرة (١).

وهكذا وفقت الكوفة لاذ تضع الثقة الاسلامية في نصابها المفروض لها، من الله عز وجل ومن العدل الاجتماعي، وبایعه - معها - البصرة والمدائین وبایعه العراق كافة، وبایعه الحجاز واليمن على يد القائد العظيم " جاریة بن قدامة، " وفارس على يد عاملها " زیاد بن عبید، " وبایعه - إلى ذلك - من بقى في هذه الآفاق من فضلاء المهاجرين والأنصار، فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يرد، ولم يختلف عن بیعته - فيما نعلم - الا - معاویة ومن إلیه، واتبع بقومه غير سیل المؤمنین، وجرى مع الحسن مجرأه مع أبيه بالأمس. وتختلف أفراد آخرون عرّفوا بعد ذلك بالقعاد.

(١) يرجع فيما ذكرناه هنا إلى شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١١) وذكر غيره مكان عبید الله أخاه عبد الله. وسنشير في فصل "القيادة والنفیر" إلى أن عبد الله لم يكن في الكوفة أيام بیعة الحسن.

(٥٨)

مفاییح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآلہ (١)، المهاجرون والأنصار (١)، دولۃ العراق (١)، مدینۃ الكوفة

(٢)، شهر رمضان المبارک (١)، جاریة بن قدامة (١)، مدینۃ البصرة (١)، زیاد بن عبید (١)، السجود (١)، الوفاء (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعترلى (١)

صفحة ٥٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٥٩

اما الخلافة الشرعية. فقد تمت " على ظاهرتها العامة " من طريق البیعة الاختیاریة، للمرة الثانية في تاريخ آل محمد صلی الله علیه وعلى آل الطاھرین وطلعت على المسلمين من الزاوية المبارکة التي طلعت عليهم بالنبؤة قبل نصف قرن. فكانت من ناحیة صلتها برسول الله صلی الله علیه وآلہ، امتداداً لمادة النور النبوی، في المصباح الذي يستضیء به الناس. ومع الخليفة الجديد كل العناصر المادية والمعنویة التي تحملها الوراثة في کینونته ومثالیته.

فكان على ذلك الأولى بقول الشاعر:

نال الخلافة إذ كانت له قدرا * * كما أتى رب موسى على قدر * * ويعود الامام الحسن علیه السلام - بعد أن أخذت البیعة له - فيفتح عهده الجديد، بخطابه التاریخی البليغ، الذى يستعرض فيه مزايا أهل البيت وحقهم الصريح في الامر، ثم يصريح الناس فيه بما ينذر به الجو المتلبد بالغیوم من مفاجئات واخطرار..

فيقول. (وهو بعض خطابه):

"نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطیون الطاھرون، وأحد الثقلین اللذین خلفهما رسول الله في أمته، ثانی كتاب الله الذي فيه تفصیل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعمول علينا في تفسیره، لأنّ تأویله بل نتیقنه حقائقه، فأطیعونا فان طاعت مفروضه، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونه، قال الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا أطیعوا الله وأطیعوا

الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقال: ولو ردوه إلى الرسول وأولى الامر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم".

ثم يمضي في خطابه، ويردف أخيرا بقوله:

(٥٩)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، حزب الله (١)، الباطل، الإبطال، الموت (١)، الطهارة (١)

صفحة ٥٣

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٠

"أحذركم الاشقاء لهتف الشيطان فإنه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفتتان نكص على عقيبه وقال اني برىء منكم اني أرى ما لا ترون. فستلقون للرماح وردا، وللسیوف جزرا، وللعمد حطاما، وللسهام غرضا. ثم لا ينفع نفسا ايمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا .."

ثم نزل من على منبره، فرتب العمال، وأمر الامراء ونظر في الأمور (٢).

(١) روى هذه الخطبة هشام بن حسان. وقال: انها بعض خطبته بعد البيعة له بالامر البحار (ج ١٠ ص ٩٩) والمسعودي.
 (٢) وروى هذا النص أكثر المؤرخين.

* * * قبول الخلافة وتحذق بعض المترفين بالنقد، فرأى من "التسرع" قبول الحسن للخلافة، في مثل الظرف الذي بايعه فيه الناس، بما كان يؤذن به هذا الظرف من زعازع ونتائج، بعضها ألم، وبعضها خسارا.
 ولكن تبين مبلغ الإصابة في التسرع إلى هذا النقد. نقول:
 اما أولا:

فلما كان الواجب على الناس دينا، الانقياد إلى بيعة الإمام المنصوص عليه، كان الواجب على الإمام - مع قيام الحجة بوجود الناصر - قبول البيعة من الناس.

اما قيام الحجة - فيما نحن فيه - فقد كان من انتيا الناس طوعاً إلى البيعة في مختلف بلاد الإسلام، ما يكفي - بظاهر الحال - دليلاً عليه. ولا مجال للتخلص عن الواجب مع وجود شرطه.

اما ثانيا:

فإن بعث هذا الانعكاس البدائي، عن قضية الحسن عليه السلام هو
 (٦٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، البعث، الإنبعاث (١)

صفحة ٥٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦١

النظر إليها من ناحيتها الدنبوية فحسب. بينما الأنصب بقضية "امام" ان يستنبطها الباحث من ناحيتها الدينية على الأكثر. وكثير هو الفرق بين الدنيا والدين في نظر امام. والقضية من هذه الناحية ظفر لا خسارة - كما سئلتى على توضيحه في محله المناسب - وهي وان تكون معرض آلام، ولكنها آلام في سبيل الاسلام، ومن أولى من الحسن بالاسلام وتحمل آلامه. وانما هو نبت بيته.

واما ثالثا:

فلم يكن الحسن في رفعه مكانه من زعماء المسلمين، وفي نسبة الممتاز ومركته من العلم، بالذى يستطيع الفراغ وان أراده عن عمد، ولا بالذى يتركه الناس وان أراد هو ان يتركهم، وكان لابد للرجات العنيفة فى المجتمع الاسلامى، أن تتدافع اليه، تستدعى له للوثوب احقاقا للحق وانكارا للمنكر - كما وقع لأخيه الحسين عليه السلام فى ظرفه.

وأيضا. فلو ترك الناس وتجافى عن بيعتهم، أو تركه المتغلبون على الناس. وانهم لينظرون اليه - دائما - كشبع مخيف، بما يدور حوله من الدعوه إلى الاصلاح، أو النقمه الصارخه على الوضع، التي كان يتطلع لها مختلف الطبقات، من الساخطين والمعارضين والدعاة لله، ولن يجد هؤلاء يومئذ ملجاً يفيئون اليه، خيرا من ابن رسول الله الامام المحبوب. وهل كانت الوفود التي عرضت عليه استعدادها لمناؤه الحكماء الأمويين وإعاده الكره (١) لاسترجاع الحق المغصوب، الا- ظاهرة هذه النقمه الصارخه التي كان يعيش بها المجتمع الاسلامى يوم ذاك. وأنى لسلطان المتغلبين أن يستقر ما دام هذا المنار قائما ي指引 اليه الناس. وللتذكرة أنه قتل مسموما. ولماذا يقتلونه وقد صالحهم وترك لهم الدنيا برمتها، لو لا أنهم حافوه على سلطانهم، ورأوا من وجوده حاجزا (١) الإمامة والسياسة (ص ١٥١).

(٦١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الدولة الأموية (١)، القتل (١)

صفحة ٥٥

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٢

يمعنهم من النفوذ إلى قلوب الناس؟ وهل ذلك الا دليل انتقاد الناس - في عقيدتهم - اليه دونهم؟ وهذا كله بعد الصلح، وبعد ظهور جماعات من شيعته وغير شيعته ينكرون عليه موقفه من الصلح.

ترى فكيف كانت قوته في الناس لو انه أبي الخليفة من أول الامر، وبقى شغف المسلمين إلى بيته على حدته، فهل كان من المحتمل، أن يظل محور الامل ومفزع الناقمين والمعارضين، ثم تنام عنه العيون الحذرية على دنياه، فلا تعاجله بما ختمت به حياته المقدسة أخيرا؟ وهل كان الا طعمة الاغتيالات الكافرة في سنته الأولى بعد أبيه - على أغلب الظن -؟.

فأى منطق هذا الذي يرى من قبول الحسن للخلافة تسرعا!

والخلافة - في أصلها - مقام أبيه وميراث أخيه - على حد تعبير الامام على بن موسى بن جعفر عليهم السلام.

واما الزعزع التي لوح بها هذا النقد، فما كانت الا خطط المناوئين في الكوفة، وليس شيء منها بالذى يضير الحسن ابان نشاط الناس معه - كما هو في ابان بيته - وأى خليفة أو زعيم ليس له مناوئون؟

فلم لا يكون قبول البيعة هو الأرجح على مختلف الوجوه؟.

بل هو الواجب لضرورة الوقت وللمصلحة العامة ولإحقاق الحق.

الكوفة أيام البيعة

(٦٢)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) (١)، مدينة الكوفة (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الظل، التظليل، الظلالة

(١)، الظل (١)

صفحة ٥٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٤

الكوفة كما يصفها صعصعة بن صوحان العبدى (١): قبة الاسلام وذروة الكلام، ومصان (٢) ذوى الاعلام، الا ان بها أجيالاً (٣) تمنع ذوى الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة."

نصرها المسلمين في السنة السابعة عشرة (٤) للهجرة بعد فتح العراق مباشرة.

وكان بناؤها الأول بالقصب، فأصابها حريق، فبنيت باللبن وكانت شوارعها العامة بعرض عشرين ذراعاً - بذراع اليد -، وأزقتها الفرعية بعرض سبعة أذرع. وما بين الشوارع أماكن البناء وهي بسعة أربعين ذراعاً، والفضاء وهي بسعة ستين ذراعاً.

وكان المسجد أول شيء خطوه فيها. فوقف في وسط الرقعة التي أريدت للمدينة. رجل شديد التزع، رمى إلى كل جهة بسهم، ثم أقيمت المباني فيما وراء السهام، وترك ما دونها للمسجد وساحته. وبنوا في مقدمة المسجد رواقاً، أقاموه على أساطين من رخام كان الأكاسرة قد جلبوها من خرائب الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقاً لثلا يقتحمه أحد ببنيان.

وزاد عمران الكوفة زيادة مفاجئة، حين هاجر إليها أمير المؤمنين عليه السلام، فاتخذها مقراً له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ للهجرة وكان دخوله إليها في الثاني عشر من شهر رجب.

(١) تجد ترجمته في "زعماء الشيعة المروعين" في الكتاب، وروى كلمته هذه المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ١١٨).

(٢) بفتح أوله غلاف القوس.

(٣) الجلف هو الغليظ الجاف.

(٤) البلاذري في فتوح البلدان والبراقى في تاريخ الكوفة، وذكره الحموى في المعجم ثم ناقض نفسه إذ قال في مادة "البصرة": " وكان تمصير البصرة في السنة الرابعة عشرة قبل الكوفة بستة أشهر."

(٦٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٤)، شهر رجب المرجب

(١)، صعصعة بن صوحان (١)، السجود (٣)، الجماعة (١)، ابن الأثير (١)، مدينة البصرة (٢)

صفحة ٥٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٥

وكان من بواعث هذه البدرة - هجرة على إلى الكوفة - ضعف موارد الحجاز، واعتماده في موارده على غيرها، وما من علة تتعرض لها دوله أضر من اعتمادها في الموارد على غيرها، وكانت الكوفة وببلاد السودان تكتفى نفسها وتفيض. وهذا عدا الأسباب العسكرية التي اضطرته لها الثورات المسلحة التي كانت تتخذ من بلاد الرافدين ميادين لإعمالها العدوانية.

وتقطار على الكوفة - إذ هي عاصمة الخلافة - كبار المسلمين من مختلف الأفاق. وسكنتها القبائل العربية من اليمن والحجاز، والجاليات الفارسية من المدائن وإيران. وعمرت فيها الأسواق التجارية. وزهرت فيها الدراسات العلمية. وأنشئت حولها الحدائق والبساتين والأرياض والقرى. وأغفت على ذراعها أمجاد التاريخ والآداب والعلوم زمناً طويلاً.

وغلب على الكوفة تحت ظل الحكم الهاشمي التشيع على وأولاده عليهم السلام، ثم لم يزل طابعها الثابت اللون. ووجد معه بحكم اختلاف العناصر التي يممـت المـصر الجـديـد أـهـوـاءـ مـنـاؤـهـ أـخـرىـ،ـ كـانـتـ بـعـدـ قـلـيلـ مـنـ الزـمـنـ أـدـأـهـ الفـتـنـ فـىـ أـكـثـرـ مـاـ عـصـفـ بـالـكـوـفـةـ الـزـاعـزـ التـارـيـخـيـةـ وـالـرجـاتـ العـنـيفـةـ لـهـ وـعـلـيـهـاـ.

* * وجاءت بيعة الحسن عليه السلام يوم بايته الكوفة، عند ملتقي الآراء من سائر العناصر الموجودة فيها يوم ذاك، على أنها كانت قل ما تلتقي على رأى.

وكان للحسن من أسلوب حياته في هذه الحاضرة، مدى اقامته فيها، ما جعله قبلة الانظار ومهوى القلوب ومناط الآمال، وملاً أجواء المدينة الجديدة "عاصمة أبيه" بكرات المكرمات التي تنتقل في آل محمد بالإرث: جود يد، وسجاحة خلق، ونبيل شعور، وظرف شمائل، وسعة حلم، ورجاحة عقل وعلم وزهاده وعبادة. وضحك منبر الخلافة - في بحران (٦٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، دولة ايران (١)، مدينة الكوفة (٦)، السلاح (١)، الجود (١)

صفحة ٥٨

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٦

حزنه على الامام الراحل - بما شاع في أ��افه من شيم الأنبياء الموروثة في خليفة الجديد، ولم يكن ثمة أعمل بالتقوى، ولا أزهد بالدنيا، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه، لذلك كان الشخصية الفذة التي تتفق عليها الآراء المختلفة عن رغبة وعمد، وتجمع فيها عناصر الرعامة كما يجب في قائد أمّة أو امام قوم.

وانتهت مهرجانات البيعة في الكوفة على خير ما كان يرجى لها من القوة والنشاط والتعبئة، لو لا ان للقدر أحکاما لا تجري على أقيسة العقول، ولا- تسير على رغائب الأنفس، فكان الجو السياسي في الحاضرة التي تحفل لأول مرة في تاريخها بتنصيب خليفة، لا يزال راكدا متلبدا مشوبا بشيء كثير من التبليل المريب، وذلك هو ما ورثه الكوفة من مخلفات الحروب الطاحنة التي كانت على مقربة منها في البصرة والنهروان وصفين. وفي الكوفة يومئذ أنصار كثيرون لشهداء هذه الحروب وضحاياها من الفريقيين يشاركونهم الرأي، ويتمون لهم اخذ الثار، ويعملون ما وسعهم العمل لتنفيذ أغراضهم.

ومن هذه الأغراض، الأغراض الصالحة المؤاتية، ومنها الفاسدة المبرقة الأهداف التي لا تفتّ تخلق ذرائع الخلاف في المجموع.
* * * اما الحسن - وهو في مستهل خلافته - فقد كانت القلوب كلها معه لأنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآلـه، ولأن من شرط الایمان موادته، ومن شرط البيعة طاعته.

قال ابن كثير : وأحبوه أشد من حبهم لأبيه (١).

وكان لا- يزال بمنجاه من هؤلاء وهؤلاء، ما دام لم يباشر عملا ايجابيا يصطدم بأهداف البعض، أو يمس الوتر الحساس من عصبيات البعض الآخر. ذلك لأن الوسائل التي أصبح يعيش بها الاسلام يومئذ، كانت

(١) البداية والنهاية (ج ٨ ص ٤١).

(٦٦)

مفاتيح البحث: ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآلـه (١)، مدينة الكوفة (٣)، مدينة البصرة (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

صفحة ٥٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٧

تخضع في أمثال هؤلاء المسلمين للأهداف الشخصية تارة، وللعصبيات أخرى.

وخيّل للكثيرين من أولئك الذين تحكم فيهم الأنانية والتفعية حتى تتجاوز بهم حدود العقيدة، أنهم إذ يبايعون الحسن بالخلافة، إنما يتذرون بهذه البيعة إلى استناد قضاياهم، وارضاء مطامعهم، عن طريق الخلق الشري الواسع، الذي ألفوه في الحسن بن علي منذ عرفوه بين ظهاريهم، والذى كان يذكرهم - دائما - بخلق جده الأعظم صلى الله عليه وآلـه وسلم، وكانوا يحفظون من صحابة الرسول أن الحسن أشبه آله به خلقا وخلقًا.

والواقع انهم فهموا هذا الخلق العظيم على غير حقيقته.

وتسبق على مثل هذا الظن كثيرون من ذوى المبادئ التى لا تتفق والحسن فى رأى ولا عقيدة، فباعوه راغبين، كما بيايعه المخلصون من المؤمنين. ثم كان هؤلاء - بعد قليل من الزمن - أسرع الناس إلى الهزيمة من ميادينه لا يلوفون على شيء، ذلك لأنهم حين عرّكوا مواطن طمعهم من ليونة الحسن عليه السلام، وجدوها بعد تسلمه الحكم واضطلاعه بالمسؤولية، أعنف من زبر الحديد، حتى إن كلًا من أخيه وابن عمّه وهما أقرب الناس إليه وأحظاهم منزلة عجز أن يعدل به عن رأى أراده، ثم مضى معتصماً برأيه في غير تكليف ولا اكترات.

ولهذا، فلم يكن عجيباً أن تدب روح المعارضة وئيدة في الجماعات القلقة من هؤلاء الرؤساء والمرتيسين في الكوفة، ولم يكن عجيباً أن يعودوا متدرجين إلى سابق سيرتهم مع الإمام الراحل الذي "ملأوا قلبه غيظاً وجرعواه نفب التهمام إنفاساً" وهكذا تنشأت - في هذا الوسط الموبوء - الحزبية الناقمة التي لا تبعد لها نصيراً قوياً في الخارج. وهكذا انبثقت مع هذه الحزبية المشاكل الداخلية بمختلف ألوانها.

واستغل هذه المرحلة الدقيقة فئات من النفعيين، تمكناً أن يخلقوا من

(٦٧)

مفاسيد البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (١)، الحسن بن علي (١)، الوسعة (١)، الظن (١)

صفحة ٦٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٨

أنفسهم همزة وصل بين الكوفة والشام، بما في ذلك من تمرد على الواجب. وخروج على الخلق، وخيانة للعهد الذي فرضته البيعة في أعقانهم.

وقد يدرك من هذا النمط من "أشباء الرجال" على الشغب والقطيعة والنفور، منذ انتقلت الخلافة الإسلامية إلى الحاضرة الجديدة في العراق بما تحمله معها من الصراحة في الحكم والصرامة في العدل. وكان قلق هؤلاء وترهم ونفورهم، نتيجة اليأس من دنيا هذه الخلافة، لأنها لم تكن خلافة دنيا ولكن خلافة دين. وعلموا أنها لن تقر لهم على ما هم عليه من سماحة التصرفات في الشؤون العامة والاستئثار بالدنيا، وأنها ستأخذ عليهم الطريق دون آمالهم واعمالهم ومختلف تصرفاتهم.

ووجد هؤلاء من نشوء الخلافة الجديدة في الكوفة، ومن استمرار معاوية على الخلاف لها في الشام، ظرفاً مناسباً لبعث النشاط واستئثار أعمال الشغب واستغلال الممكن من المنافع العاجلة، ولو من طريق اللعب على الجانيين، فاما أن يحتلوا من الإمارة الجديدة أمكنتهم التي ترضي طموحهم، واما أن يعملوا على الهدم ويتعاونوا على الفساد. وكانت خزائن الشام لا تفتّأ تلوح بالغربيات من الأموال والمواعيد، وكانت الأموال والمواعيد أمضى أسلحة الشام في مواجهتها من الكوفة على طول الخط.

وهكذا فت في أعضاد كوفة الحسن تقلب الهوى وتوزع الرأى وتدعى الخلق وتوقع الخصومه في الكثير الكثير من أهلها. وكان على هذه الشاكلة من عناصر الكوفة إبان بيعة الحسن عليه السلام أقسام من الناس.

لنا ان نصنفهم كما يلى:
الحزب الأموي:

وأكبر المنتسبين إليه عمرو بن حرث، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وحجر بن عمرو، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وإسماعيل واسحق ابن طلحه بن عبد الله، وأضرابهم.

(٦٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٥)، طلحة بن عبيد الله (١)، الوليد بن عقبة (١)، عمرو بن حرث (١)، الشام (٤)، اليأس (١)

صفحة ٦١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٦٩

وفي هذاحزب عناصر قوية من ذوى الاتباع والنفوذ، كان لها أثرها فيما نكتب به قضية الحسن من دعاوات ومؤامرات وشقاق.
”فكتباوا إلى معاویة بالسمع والطاعة في السر، واستحوذوا على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتک به (١.”)

وفيما يحدثنا المسعودي في تاريخه (٢): أن أكثرهم أخذوا يكتابونه - يعني معاویة - سراً، ويترعون له بالمواعيد، ويتخذون عنده الآيادي.

”ودس معاویة إلى عمرو بن حرث والأشعث بن قيس وحجر بن أبيجر وشیث بن ربیع دسیس، وآثر كل واحد منهم بعین من عيونه، انك إذا قتلت الحسن، فلك مائة الف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي. بلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلام (لبس اللامة) وليس درعاً وكفرها، وكان يحتزز ولا يتقدم للصلوة بهم الا كذلك، فرمأ أحدهم في الصلاة بسهم، فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة (٣.”)

ومثل واحد من هذه النصوص يغني عن أمثال كثيرة.
وهكذا كان يعمل هؤلاء عامدين، شر ما يعمله خائن يتحين الفرص، وكانت محاولاتهم اللئيمة، لا تكاد تختفى تحت غمام الدجل والنفاق، حتى

(١) المفید فی الارشاد (ص ١٧٠) - والطبرسی فی اعلام الوری.

(٢) هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٤٢). أقول: وما يدرينا أن يكون كثير من أهل الشام كتابوا الحسن يومئذ، بمثل ما كاتب به الكوفيون معاویة. وقد علمنا ان الفريقين - أهل الشام وأهل الكوفة - كانوا سواء في إفلاتهم الخلقي الذي ينزع إلى الخيانة كلما أغرتهم المظاهر. وعليك ان ترجع إلى البيهقي في المحسن والمتساوی (ج ٢ ص ٢٠٠) لتشهد مکاتبة أصحاب معاویة عليا عليه السلام، وتراجع إلى العیقوبی (ج ٣ ص ١٢) لتشهد مکاتبة عامة أصحاب عبد الملك بن مروان لمصعب بن الزبیر وطلبهما الأمان والجوائز منه. فعلل مکاتبة الشاميين للحسن إنما خفيت علينا لأن الحسن كان آمن من صاحبه على السر فلم يبح بما وصله منهم، أو لأن المؤرخين شاءوا إغفالها ككثير من أمثالها.

(٣) علل الشرائع (ص ٨٤).

(٦٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، حجار بن أبيجر (١)، شیث بن ربیع الیربوعی (١)، عمرو بن حرث (١)، الشام (٣)، الصلاة (١)، النفاق (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفید (١)، كتاب علل الشرائع للصادق (١)، كتاب إعلام الوری بأعلام الهدی (١)، مدينة الكوفة (١)، ابن الأثير (١)، الإخفاء (١)، الشهادة (٢)

صفحة ٦٢

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٠

تبدو عاریة سافرة في ساعه نداء الواجب.

وهكذا كانوا - على طول الخط - قادة السخط، وأعوان الثورة، وأصابع العدو في البلد. وأ بالإضم "الخوارج" على حياكة المؤامرات الخطرة، بحكم ازدواج خطأ الفتين، على مناهضة الخلافة الهاشمية في عهديها الكريمين. ودل على ذلك اشتراك كل من الأشعث بن قيس وثبت بن ربى فيما يرويه النص الأخير من هذه الأمثلة الثلاث، وكان هذان من رؤوس الخوارج في الكوفة.

٢ - الخوارج:

وهم أعداء على عليه السلام منذ حداثة التحكيم، كما هم أعداء معاوية. وأقطاب هؤلاء في الكوفة: عبد الله بن وهب الراسبي، وثبت بن ربى، وعبد الله بن الكواه، والأشعث بن قيس، وشمر بن ذى الجوش. وكان الخوارج أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب، منذ يوم البيعة، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحالين الصالين - أهل الشام -، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادوها (على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم)، فأتوا الحسين أخاه، وقالوا له: "ابسط يدك نبايتك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناء، وعلى حرب الحالين الصالين أهل الشام". فقال الحسين: "معاذ الله أن أبايتك ما دام الحسن حيا". فانصرفوا إلى الحسن ولم يجدوا بدا من بيعته على شرطه (١).^(١)

أقول: وما من ظاهرة عداء للحسن عليه السلام، فيما اقترحه هؤلاء

(١) يراجع كتاب الإمامة والسياسة (ص ١٥٠).

(٧٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٣)، عبد الله بن وهب الراسبي (١)، ثبت بن ربى اليربوعي (٢)، شمر بن ذى الجوش لعنه الله (١)، الشام (٢)، الخوارج (٤)، الحرب (٣)

صفحة ٦٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧١

الخوارج ليعتم إياه، ولا- في اصرارهم على الحرب، وقد كان في شيعة الحسن من يشارطهم الالحاح على الحرب، ولكنك ستري فيما تستعرضه من مراحل قضية الحسن عليه السلام، أن الخوارج كانوا أداء الكارثة في أخرج ظروفها. ورأيت فيما مر عليك - قريبا - أن زعيدين من زعمائهم ساهموا في أفعى مؤامرة أموية في الكوفة.

وللخوارج في دعواتهم إلى "الخروج" أساليبهم المؤثرة المخيفة، التي كانت تزعزع إيمان كثير من الناس بالشكوك. وكان هذا هو سر انتشارهم بعد نكتبهم الحاسمة على شواطئ النهر والنهر.

وكان زياد بن أبيه يصف دعوة الخوارج بقوله: "لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع (١)." وكان المغيرة بن شعبة يقول فيهم: "انهم لم يقيموا بيلد يومين الا أفسدوا كل من خالطهم (٢)".

والخارجي يقول الزور ويعتقد الحق، ويفعل المنكر ويظنه المعروف، ويعتمد على الله ولا يتصل إليه بسبب مشروع. وسنعود إلى ذكرهم في مناسبة أخرى عند الكلام على "عناصر الجيش".

٣ - الشراكون:

ورأينا ذكر هؤلاء فيما عرضه المفيد (رحمه الله) من عناصر جيش الحسن عليه السلام. والذي يغلب على الظن، أن تسميتهم بالشراكين ترجع إلى تأثيرهم بدعوة الخوارج من دون أن يكونوا منهم، فهم المذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ورأيت المرتضى في أماليه (ج ٣ ص ٩٣) يذكر "الشراك" استطراها ويلوح بكفرهم، وكأنه فهم عنهم التشكيك بأصل الدين.

(١) اليراع: القصب.

(٢) الطبرى (ج ٦ ص ١٠٩).

(٧١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (١)، المغيرة بن شعبة (١)، الخوارج (٥)، الظنّ (١)،

الحرب (٢)

٦٤ صفحه

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٢

وكانوا طائفه من سكان الكوفة ومن رعاياها المهزومين، الذين لا نية لهم في خير ولا قدرة لهم على شر، ولكن وجودهم لنفسه كان شرًا مستطيراً وعوناً على الفساد وآلًا "مسخرة" في أيدي المفسدين.

٤ - الحمراء:

وهم عشرون ألفاً من مسلحة الكوفة (كما يحصيهم الطبرى في تاريخه). كانوا عند تقسيم الكوفة في السبع الذي وضع فيه أحلافهم من بنى عبد القيس، وليسوا منهم، بل ليسوا عرباً، وإنما هم المهجون من موالي وعيده، ولعل أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيات اللاثئي أخذن في "عين التمر" و "جلولاء" من سنة ١٢ - ١٧ فهم حملة السلاح سنة ٤١ وسنة ٦١ في أزمات الحسن والحسين (عليهما السلام) في الكوفة (فتاًمل).

والحمراء شرطة زياد الدين فعلوا الأفعال بالشيعة سنة ٥١ وحواليها، وكانوا من أولئك الذين يحسنون الخدمة حين يغريهم السوم، فهم على الأكثر أجند المتعلّبين وسيوف الجباره المنتصررين.

وقويت شوكتهم بما استجابوا له من وقائع وفتن في مختلف الميادين التي مر عليها تاريخ الكوفة مع القرن الأول. وبلغ من استفحال أمرهم في الكوفة أن نسبوها إليهم فقالوا "كوفة الحمراء".

وكان في البصرة مثل ما في الكوفة من هؤلاء المهجونين الحمر. وخشى زياد (وكان والي البصرة إذ ذاك) قوتهم فحاول استئصالهم، ولكن الأحنف بن قيس منعه عمًا أراد.

ووهم بعض كتاب العصر، إذ نسب هؤلاء إلى التشيع، وبعد ما يكونون عنه آثاراً ونكاياً بالشيعين وأئمتهم. ولا ننكر أن يكون فيهم أفراد رأوا التشيع، ولكن القليل لا يقاد عليه.

* * *

(٧٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، مدينة الكوفة (٨)، مدينة البصرة (٢)، الأحنف بن قيس (١)، التمر (١)، العصر (بعد الظهر) (١)

٦٥ صفحه

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٣

وكان إلى جنوب هذه العناصر العدوة في الكوفة "شيعة الحسن" وهم الأكثر عدداً في عاصمة على عليه السلام، وفي هؤلاء جمهرة من بقایا المهاجرين والأنصار، لحقوا علينا إلى الكوفة، وكان لهم من صحبتهم الرسول صلى الله عليه وآله ما يفرض لهم المكانة الرفيعة

فى الناس.

وبرهن رجالات الشيعة فى الكوفة على اخلاصهم لأهل البيت عليهم السلام، منذ نودى بالحسن للخلافة، ومنذ نادى - بعد خلافته - بالجهاد، وفي سائر ما استقبله من مراحل. ولو قدر لهؤلاء الشيعة أن يكونوا - يومئذ - بمنجاة من دسائس المواطنين الآخرين، لكانوا العدة الكافية لدرء الاخطار التى تعرضت لها الكوفة من الشام، وكان فى هذه المجموعة المباركة من الحيوية والقابلية ما لا يستطيع أحد نكرانه، ومعنى بالحيوية القابليات التى تهمس المشاكل وتفهمها، وتعطيها الأهمية المطلوبة فى حلولها.

وما ظنك بقيس بن سعد بن عبادة الأنصارى وحجر بن عدى الكندى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، وسعيد بن قيس الهمدانى، وحبيب بن مظاهر الأسى، وعدى بن حاتم الطائى، والمسىب بن نجية، وزياد بن صعصعة، وآخرين من هذا الطراز.

اما الطوارئ المستعجلة المعاكسة، والأصابع الماجورة الهدامه، فقد كانت تعمل دائماً، لتغلب هذه القابليات، ولتغير من هذا التقدير.

* * * ولم يخف على الحسن عليه السلام ما كانت تتمخض عن لياليه الحالى فى الجو المسحور بشتى التزعات، والمتكهرب بشوارع الفتنة وألوان الدعوات. وكان لا بد له - وهو فى مطلع خلافته - أن يعالن الناس بخطبه وأن يصارحهم عن موقفه، وأن يستمللى خطته من صميم ظروفه وملابساتها فى الداخل والخارج معاً.

وكان معاویة هو العدو "الخارج" الذى يشغل بال الكوفة بما يكيده

(٧٣)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآلها (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلها (١)، المهاجرون والأنصار (١)، كتاب الكافئة للشيخ المفید (١)، مدينة الكوفة (٥)، حبيب بن مظاهر الأسى رضوان الله عليه (١)، حجر بن عدى الكندى (١)، عدى بن حاتم (١)، عمرو بن الحمق (١)، سعد بن عبادة (١)، سعيد بن قيس (١)، الشام (١)، الجنابة (١)

صفحة ٦٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٤

لها من أنواع الكيد، وبما يتمتع به من وسائل القوة والاستقرار فى رقعته من بلاد الشام. وما كان معاویة بالعدو الرخيص الذى يجوز للحسن عليه السلام، أن يتغاضى عن أمره، ولا بالذى يأمن غواهله لو تغاضى عنه، وكان الحسن - فى حقيقة الواقع - أحقر بشر على سحق معاویة والكيل له بما يستحق، لو أنه وجد إلى ذلك سبيلاً من ظروفه.

واما فى "الداخل" فقد كان أشد ما يسترعى اهتمام الامام عليه السلام موقف المعارضة المركزية، القريبة منه مكاناً، والبعيدة عنه روحًا ومعنى وأهدافاً.

ولقد عز عليه أن يكون بين ظهراني عاصمته، ناس من هؤلاء الناس، الذين استأسدت فيهم الغرائز، وأسرفت عليهم المطامع، وتفرقوا بهم المذاهب، وأصبحوا لا- يعرفون للوفاء معنى، ولا للدين ذمة، ولا للجوار حقاً. نشروا بأخلاقهم، فإذا بهم آلة مسخرة للانتقاض والغدر والفساد، ينعقدون مع كل ناعق ويهميون فى كل واد. ولا يكاد يلشم معهم ميدان سياسة ولا ميدان حرب. وحسبك من هذا مثار قلق ومظنة شغب وباعت مخاوف مختلفات.

وهكذا كان للعراق - منذ القديم - قابلية غير عادية لهضم المبادئ المختلفة والانتفاضات الشورية العاتية باختلاف المناسبات. وللحسن فى موقفه الممتحن من هذه الظروف، عبرياته التى كانت على الدوام بشائر ظفر لامع، لو لا ما فوجئ به من نكسات مروعتات كانت تنزل على موقفه كما ينزل القضاء من السماء.

وتبدأ لكثير من الحوادث قبل وقوعها، وكان يمنعه الاحتياط للوضع، من الاصحار بنبوءته، فيلمح إليها الماحا. وعلى هذا النسق جاءت

كلمته البقة الغامضة، التي اقتبسها من الآى الكريم، والتي قصد لها الغموض عن إرادة وعمد، وهى قوله فى خطبته الأولى - يوم البيعة ":- انى أرى ما لا ترون."

(٧٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، الشام (١)، الكرم، الكرامة (١)، الحرب (١)، الجواز (١)

صفحة ٦٧

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٥

ترى، هل كان بين يديه يومئذ، الا المهرجانات النشيطة التي دلت قبل كل شيء، على عظيم اخلاص المجتمع لخليفة الجديد؟ فما بال الخليفة الجديد لا يرى منهم الا دون ما يرون؟.

انها النظرة البعيدة التي كانت من خصائص الحسن في سلمه وفي حربه وفي صلحه وفي سائر خطواته مع أعدائه ومع أصدقائه.

* * * وعلى أن الموسوعات التاريخية لم تعن بذكر الأمثلة الكثيرة التي يصح اقتباسها كعرض تاريخي عن سياسة الحسن، ولا سيما في الدور الأول من عهده التقصير، وهو الدور الذي سبق اعلانه jihad في الكوفة، فقد كان لنا من النتف الشوارد التي تسقطناها من سيرته، ما زادنا وثقا ببراعته السياسية التي لا مجال للريب فيها. فقد اقتاد الوضع المترنح الذي صحب عهده من أوله إلى آخره، قيادته الحكيمه التي لا يمكن أن تفضلها قيادة أخرى لمثل هذا الوضع.

ول يكن من أمثلة سياساته في قيادة ظروفه قبل الحرب ما يلى:

١ - أنه وضع ليعته صيغة خاصة، وبقى يده عما أريد معها من قيود، وأرادها هو على السمع والطاعة وال الحرب لمن حارب والسلم لمن سالم. فكان عند ظن المعجبين ببلاغته الإدارية، بما ذكر الحرب ولوح بالسلم فأرضى الفريقيين من أحزاب الكوفة - دعاة الحرب، والمعارضين - . وكان لديه من الوضع العام (في كوفته) ما يكفيه نذيرا لاتخاذ مثل هذه الحيطه الحكيمه لوقت ما.

٢ - أنه زاد المقاتلة مائة مائة، وكان ذلك أول شيء أحدثه حين الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده عليه (١).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٤: ص ١٢).

(٧٥)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٢)، القتل (١)، الحرب (٣)، البول (١)، الظن (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعترى (١)

صفحة ٦٨

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٦

وللإعاش في ترفيع مخصصات الجيش سلطانه المحب على النفوس، وله أثره في تأليف العدد الأكبر من الناس للخدمة في jihad. وكانت ظاهرة تحتمل الاستعداد للحرب، ولكنها - مع ذلك - غير صريحة بالتصميم عليه، ما دامت ظاهرة إنشاع في عهد جديد. وهي على هذا الأسلوب، من التصرفات التي تجمع الكلمة ولا تثير خلافا، في حين أنها استعداد حكيم للمستقبل الذي قد يضطره إلى حرب قريبة.

٣ - أنه أمر بقتل رجلين كانوا يتتجسان لعدوه عليه. وهدد بتنفيذ هذا الحكم روح الشغب التي كان يستجيب لها عناصر كثيرة في المصرىن (الكوفة والبصرة).

قال المفید رحمة الله " : فلما بلغ معاویة وفاه أمیر المؤمنین وبيعه الناس ابنه الحسن ، دس رجلا من حمیر إلى الكوفة ، ورجلان من بنى القین إلى البصرة ، ليكتبوا اليه بالاخبار ، ويفسدا على الحسن الأمور . فعرف بذلك الحسن ، فأمر باستخراج الحميري من عند لحام بالكوفة ، فأخرج ، وأمر بضرب عنقه . وكتب إلى البصرة باستخراج القیني من بنى سليم ، فأخرج وضرب عنقه (١).")

وروى أبو الفرج الأصفهانی نحو ما ذكره المفید ، ثم قال " : وكتب الحسن إلى معاویة : أما بعد فأنتم دسست إلى الرجال ، كأنک تحب اللقاء ، لا أشك في ذلك ، فتوقعه ان شاء الله ، وبلغنى انک شمت بما لم يشمت به ذوو الحجی (يشير إلى ما تظاهر به معاویة من الفرح بوفاة أمیر المؤمنین عليه السلام) ، وانما مثلک في ذلك كما قال الأول :

فأنا ومن قد مات منا لکالذی * * * يروح ويمسى في المیت لیغتدى فقل للذی یبغی الخلاف الذی مضی * * * تجهز لأخری مثلها فکأن قد ٤ - تمهله عن الحرب رغم الحاج الأکثرين من حوله على البدار إليها ،

(١) الارشاد (ص ١٦٨) والبحار وكشف الغمة .

(٧٦)

مفایع البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهمما السلام (١)، أبو الفرج الإصفهانی (الإصفهانی) (١)، مدینة الكوفة (٣)، مدینة البصرة (٢)، القتل (١)، الموت (١)، الحرب (٢)، كتاب کشف الغمة للإربلی (١)

٦٩ صفحه

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٧
منذ تسنمھ الحكم في الكوفة .

وسأتأتی في "الفصل ٥" الذي ستقرؤه قریبا، على تحلیل الموقف السياسي يوم ذاك، وسنرى هناک، أن هذا التمهل المقصود كان هو التدبر الوحید في ظرفه.

٥ - استدراجه معاویة من طريق التبادل بالرسائل، إلى نسيان موقفه المتأرجح الذي لم تقو على دعمه الدعاوى الفارغة الكثيرة، فإذا باضمامة من الغلطات هي أجویة معاویة للحسن وهي التي کشفت للناس معاویة المجهول، ومهدت للحسن معدرته تجاه الرأی العام في حربه لمعاویة، وإذا بمعاویة الفريق المغلوب في منطق العقلاء، وان يكن الغالب بعد ذلك في منطق القوّة.

ومثل واحد من هذه التدابیر اللبقة التي أملی فيها الحسن خطته السياسية في العهد القصير، بين وفاة أبيه عليه السلام وبين تصميمه على الحرب، کاف عن کثير.

التصمیم على الحرب

(٧٧)

مفایع البحث: مدینة الكوفة (١)، الحرب (٢)، النسيان (١)، الوفاة (١)

٧٠ صفحه

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٠

ودل التتبع في مختلف الفترات التاريخية، على أن لانتصار الدين في المجتمع شأنًا كبيراً في تدرج الأخلاق. ذلك لأن الشعوب تنطبع على غرار قادتها، وتکيف بأهداف قوانينها. ولو لم يكن للدين إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتنزيه النفس عن الطمع بالمادة، لکفى.

أما هذا النفر من بقايا الجاهلية، فقد كانوا - كغيرهم من دعاء الطبيعة - مطبوعين على المحافظة والتمسك بعادات الآباء والجدود

والنظم البالية والأوضاع الظالمة. وكانوا من الدين الجديد خصومه الألداء في إثبات دعوته، ثم نظروا إليه كوسيلة إلى الدنيا، إثبات اعتقاهم له.

وضاعت تحت ظل هذه النوازع أهداف الدين، وخسر المجتمع تدرجه إلى الصلاح المنشود، فإذا بالناس عند مطامع الدنيا "والدين لعل على المستهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محسوا بالبلاء قل الديانون."

* * * ولآل محمد (صلى الله عليه وآله) رسالتهم التي لا يتراجعون عنها، لأنقاد الناس لا لنفع أنفسهم، ولا إقامة حامية الدين لا إقامة عروشهم، وصيانة المعنيات لا صيانة ذاتياتهم.

إذا كان معاوية لا يزال يعاني هذه الأهداف ويحارب المنادين بها، ثم يظل منفرداً عن المسلمين ببغية وعدوانه، مأخذوا بشهوة الحكم مأسوراً بحب الاستئثار في مشاعره ومذاهبه، فليس الرحمان اليه بال المسلمين، وليرحكمه إلى الله، وكفى بالله حكما.

قال أبو الفرج الأصفهاني " : و كان أول شيء أحدثه الحسن عليه السلام أنه زاد المقاتلة مائة مائة. وقد كان على عليه السلام فعل ذلك

يوم

(٨٠)

مفاتيح البحث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)، أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، أبو الفرج الإصفهاني (الإصفهاني) (١)، الظل، التظليل، الظلالة (١)، الهدف (١)، الجهل (١)، القتل (١)

صفحة ٧١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨١

الجمل. وفعله الحسن حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده في ذلك " قال " : وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي: من الحسن بن على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. سلام عليك، فاني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو. أما بعد، فان الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين ومنه للمؤمنين، وكافة للناس أجمعين، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. بلغ رسالات الله، وقام بأمر الله، حتى توفاه الله غير مقصرا ولا وان، وبعد أن اظهر الله به الحق، ومحق به الشرك.

وخصص به قريشاً خاصة، فقال له: وانه لذكر لك ولقومك. فلما توفي، تنازعوا سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطاناً ملائلاً وحقداً. فرأى العرب أن القول ما قالت قريش، وأن الحجة في ذلك لهم، على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم وسلمت إليهم.

ثم حاججنا نحن قريشاً، بمثل ما حاججت به العرب، فلم تتصفنا قريش بانصاف العرب لها. انهم أخذوا هذا الامر دون العرب بالانصاف والاحتجاج، فلما صرنا - أهل بيته محمد وأولياءه - إلى محاجتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمينا ومراجعتنا والعن特 منهم لنا. فالموعد الله، وهو الولي النصير.

ولقد كنا تعجبنا لتوثيق المتأثرين علينا في حقنا وسلطانيتنا. وإذا كانوا ذوى فضيلة وسابقة في الإسلام، أمسكنا عن منازعاتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغماً يثملون به، أو يكون لهم بذلك سبباً إلى ما أرادوا من افساده.

فالليوم فليتعجب المتعجب من توثيقي يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا اثر في الإسلام محمود. وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه.

(٨١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، معاوية بن

أبي سفيان لعنهم الله (١)، الحسن بن علي (١)، الحرب (١)، النفاق (١)

صفحة ٧٢

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٢

والله حسيبك فسترد عليه وتعلم لمن عقبى الدار. وبالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك. وما الله بظلام للعبيد.
ان عليا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم من الله عليه بالاسلام ويوم يبعث حيا، ولاني المسلمين الامر من بعده. فأسائل الله ان لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة. وانما حملني على الكتابة إليك، الاعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في امرك، ولكن في ذلك ان فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين.

"فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من يعتن، فإنك تعلم أنى أحق بهذا الامر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به. وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الامر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله الناثرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات الابن.

"وان أنت أبى الا تمادي في غيرك سرت إليك بال المسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحكمين (١.)."

* * * ولقد ترى ما ينكشـف عنه كتاب الحسن عليه السلام في خواتيمه، من التهـيد الصـريح بالـحرب. وكان لا مناص للحسن من اتـبع هذه الطـريـقة فيما يفضـي به إلى معاوـية، حين يطلبـ اليـه "أن يـدع التـمـادي فيـ البـاطـل، وأن يـدخل فيـ ما دـخلـ فيـهـ الناسـ منـ يـعـتنـهـ" وهي الطـريـقة السـيـاسـيةـ الحـكـيمـةـ التـيـ يـقـصـدـ بـهـ اـضـعـافـ الـخـصـمـ عـنـ الـمـقاـوـمـةـ بـاـضـعـافـ عـزـمـهـ. ثمـ هوـ لاـ يـقـولـ لهـ ذـلـكـ الاـ بـعـدـ أـنـ يـقـيمـ عـلـيـ الـحـجـةـ بـمـاـ سـبـقـ مـنـ حـجـاجـهـ لـقـرـيـشـ.

فدعاهـ مرـشاـداـ، وـتـوعـدـهـ مـهـدـداـ، ثـمـ أـنـذـرـهـ الـحـربـ صـرـيـحاـ.

(١) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٢).

(٨٢)

مفـاتـيـحـ الـبـحـثـ: الإمامـ الحـسـنـ بـنـ عـلـيـ الـمـجـبـيـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ (١)، الـخـصـوـمـةـ (١)، الـبـاطـلـ، الـإـبـاطـلـ (٢)، الـبـعـثـ، الـإـبـعـاثـ (١)، الـحـربـ (١)، إـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ الـمـعـتـرـلـ (١)

صفحة ٧٣

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٣

وابـعـ خـطـةـ أـيـهـ معـهـ. وـماـ كـانـ الـحـسـنـ فـيـ ماـ أـحـيـطـ بـهـ مـنـ ظـرـوفـ، وـفـيـ مـاـ مـنـ بـهـ مـنـ أـعـدـاءـ، إـلاـ مـمـثـلـ أـيـهـ حـقـاـ، حتـىـ لـكـانـ قـطـعـةـ مـنـ الـزـمـنـ كـانـتـ مـنـ عـهـدـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ، تـأـخـرـتـ عـنـ حـيـاتـهـ إـذـاـ هـىـ عـهـدـ اـبـنـ الـحـسـنـ فـيـ الـكـوـفـةـ. وـكـمـ كـانـ الـحـربـ ضـرـورـةـ لـأـمـرـ مـفـرـمـهـ، فـىـ عـهـدـ الـأـبـ الـراـحلـ عـلـيـهـ السـلـامـ، كـانـ ذـلـكـ ضـرـورـةـ لـاـ يـغـنـىـ عـنـهـ شـىـءـ فـىـ عـهـدـ الـابـنـ الـقـائـمـ عـلـىـ الـأـمـرـ.

وـكـانـ مـاـ يـزـينـ الـخـلـافـةـ الـجـديـدـةـ، أـنـ تـرـهـوـ فـيـ فـتوـتـهـ بـمـاـ تـمـلـكـهـ مـنـ قـوـةـ وـسـلـطـانـ، وـلـنـ يـتـمـ ذـلـكـ إـلاـ بـأـنـ تـضـرـبـ عـلـىـ أـيـدـىـ الـعـابـشـينـ، لـتـبـعـ الـهـيـبةـ فـيـ الـنـفـوسـ، وـتـشـقـ طـرـيقـهـ إـلـىـ الـاسـتـقـرـارـ لـتـقـبـضـ عـلـىـ نـوـاصـىـ الـأـمـرـ. فـلـاـ عـجـبـ إـذـاـ جـاءـ كـتـابـ الـحـسـنـ هـذـاـ صـرـيـحاـ فـيـ تـهـدـيـدـهـ، شـدـيـداـ فـيـ وـعـظـهـ، قـوـيـاـ فـيـ لـغـتـهـ الـآـمـرـةـ النـاهـيـةـ "ـ وـاتـقـ اللـهـ وـدـعـ الـبـغـىـ وـاحـقـنـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ، فـوـالـلـهـ مـاـ لـكـ خـيرـ فـيـ أـنـ تـلـقـىـ اللـهـ مـنـ دـمـائـهـ بـأـكـثـرـ مـاـ أـنـتـ لـاقـيـهـ بـهـ، وـادـخـلـ فـيـ السـلـمـ وـالـطـاعـةـ وـلـاـ تـنـازـعـ الـأـمـرـ أـهـلـهـ وـمـنـ هـوـ أـحـقـ بـهـ مـنـكـ".

* * * أـمـاـ الشـعـارـ الـأـمـوـيـ فـيـ الشـامـ، فـقـدـ ظـلـ مـغـاضـبـاـ لـلـخـلـافـةـ الـهـاشـمـيـةـ فـيـ الـكـوـفـةـ، مـتـنـمـراـ عـلـىـ بـيـعـةـ الـحـسـنـ تـنـمـرـهـ عـلـىـ بـيـعـةـ أـيـهـ مـنـ قـبـلـ.

ولم تجد معه الرسائل المناصحة المصارحة، ولا كبحت من جموحه أسلاليها الحكيم وحججها الواضحة. ونحن إذا تصفحنا ما وصل إلينا من رسائل الحسن عليه السلام إلى معاویة، لم نجد فيها كلمة تستغرب من مثله، أو تتجاوز حد الحجة التي تنهض بحقه فيما فرضه الله من موعدة أهل البيت عليهم السلام، وفيما سجله "الكتاب" من الحكم بظهورهم من الرجس، أو لوح إليه من لا يفهم على الناس، وبما صح عن رسول الله صلى الله عليه واله في نصوص الإمامة وتعيين الإمام، وبالدعوة - أخيراً - إلى الطاعة وحقن الدماء واطفاء الناثرة واصلاح ذات البين.

(٨٣)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (٢)، الشام (١)، الحرب (١)

صفحة ٧٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٤
اما رسائل معاویة إلى الحسن، فقد رأيناها تأخذ - على الغالب - بأعراض الموضوع دون جوهرياته، وتفرغ في الكثير من مضامينها إلى نبش الدفائن وتأريث النعرات الخطرة بين الأخوان المسلمين.
ومن الحق ان نعترف لمعاویة بسبقه استفزاز "الشعور الطائفى" لأول مرة في تاريخ الاسلام. بما كان يقصد اليه من طريق نبش هذه الدفائن، وتأريث هذه النعرات. فكان بذلك أول داع إلى فصم الوحدة التي بنى عليها دين التوحيد، والتي هي - بحق - جوهر اصلاحه وسر نجاحه بين الأديان.

وكأن معاویة حين عجز عن اصطياد المغفلين من الناس، عن طريق نفسه أو عن طريق أبيه "أبي سفيان بن حرب - "ولهذين الطريقين سوابقهما المعروفة لدى المسلمين بأرقامها وتواريختها - رفع عقيرته في رسائله إلى الحسن، باسم أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ولوح فيها بخلاف أهل بيته (عليهم السلام) على بيعة أبي بكر..

وكان [رسائل معاویة] بجملتها لا ينقصها في الموضوع الذي ابردت لأجله الا الحجة لاثبات الحق الشرعي - عبر العرش المقدس -
وحتى الشبهة المتخاذلة التي كان يصطنعها لمقارعته على عليه السلام، في حربه الطويلة الأمد، باسم الثأر لعثمان، قد طويت صفحتها بممات الإمام الأول، وهذا هو ذا تجاه الإمام الثاني، الذي كان قد جثم بنفسه على باب دار عثمان يوم مقتله، يدافع الناس عنه، حتى لقد "خضب بالدماء" كما يحدثنا به عامه المؤرخين، ويقول الطقطقى في تاريخه (١): ان الحسن قاتل عن عثمان قتالاً شديداً، حتى كان يستكتئف وهو يقاتل عنه، ويذل نفسه دونه. ..

كل ذلك وعثمان بالموقف الدقيق الذي كان لا يفتؤ يُؤلب عليه فيه الآخرون، ويخذله الأقربون (٢).

(١) الفخرى (ص ٧٤).

(٢) لعل من الخير لمن أراد شرح هذا الاجمال، أن يرجع إلى ما صوره الأستاذ عبد الله العلايلي حفظه الله، من أحوال المجتمع على عهد عثمان، في (٨٤)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، التاريخ الإسلامي (١)، القتل (٣)، الحرب (١)

صفحة ٧٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٥

كتابه " أيام الحسن " (١٢٨ إلى ١١٢ من صفحة) ولعل من الأفضل أن نختزل هنا الخطوط الرئيسية من تلك الصورة المفصلة، اتاماً للفائدة قال:

" وَهُؤُلَاءِ الْأَمْوَيُونَ لَمْ يَكْتُفُوا بِأَنْ يَفْرُضُوا أَنفُسَهُمْ وَوُجُودَهُمُ الْخَالِي مِنَ الْحَيَاةِ وَالْجَهَدِ، بَلْ تَجاوزُوهُمْ هَذَا، إِلَى تَعْبُئَةِ الْمُجَمَّعِ فِي طَبَقَاتِهِ.. وَإِذَا بِالثَّرَوَاتِ الْفَاحِشَةِ تَصْيِيرُ وَتَجْتَمِعُ فِي أَيْدِي الْأَمْوَيِّينَ وَأَنْصَارِهِمْ، وَإِذَا بِمَرْوَانَ يَسْتَبِدُ بِالْمُقَدَّرَاتِ الْعُلَيَا عَلَى هَوَاهُ، وَإِذَا بِأَكْثَرِ الْأَقْالِيمِ تَذَهَّبُ إِقْطَاعَاتٍ بَيْنَ فَلَانٍ وَفَلَانٍ.. فَيَعْلَى بْنُ أُمِيَّةَ يَمْلُكُ مَا قِيمَتُهُ مَائَةُ الْفِ دِينَارٍ، عَدَا عَقَارَاتِهِ الْكَثِيرَةِ.. وَعَبْدُ الرَّحْمَنُ بْنُ عَوْفَ يَمْلُكُ مَا قِيمَتُهُ خَمْسَمَائَةُ الْفِ دِينَارٍ.. وَزَيْدُ بْنُ ثَابَتَ يَمْلُكُ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ مَا كَانَ يَكْسِرُ بِالْفَوْسِ.. فَلَا بَدْعَ إِنْ اسْتَنْكَرَتِ الْكُثُرَةُ خَطْهَهُ هَذَا الْجَدِيدِ، وَلَا بَدْعَ إِنْ تَحْدُوا أَنْصَارَهُ وَاتَّهَمُوهُمْ بِالْمُرْوَقِ، وَلَا بَدْعَ إِنْ دَخَلُوا مَعَهُمْ فِي صَرَاعٍ بَدْءَ خَفْيَا ثُمَّ امْتَدَ حَمِيَا..

" وَلَقَدْ بَاتَتِ الْحَالَةُ الْعَامَّةُ تَجْرِيَ فِي كَلْمَتَيْنِ: حُكْمَةُ تَآمِرٍ بِالشَّعْبِ وَشَعْبُ يَتَآمِرُ بِالْحُكْمَةِ.. وَلَكِنَّ لِلشَّعْبِ الْكَلْمَةُ الْأُخْرَى وَالْعُلَيَا دَائِمًا.. وَمِنَ الْاِنْصَافِ وَالْخَيْرِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ الْجَمْهُورَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَرْعَنْ فِي ثُورَتِهِ، فَقَدْ اتَّصَلَ بِأَوْلَيَاءِ الْأَمْوَرِ وَالسُّلْطَةِ، وَطَالَ بِوَاسِطَةِ مَمْتَلِيهِ مَرَارًا وَتَكَرَّارًا وَلَكِنَّ مَطَالِيهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ تَبُوءُ بِالْفَشَلِ وَكَانَ فَشَلا ذَرِيعًا مَتَوَاصِلًا، وَمِنَ النَّوْعِ الْمُثِيرِ.

" وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فِي هَذِهِ الْأَنْتَاءِ يَحْرُضُ النَّاسَ عَلَى عُثْمَانَ وَيَجْبَهُ سِيَاسَتَهُ عَلَانِيَةً وَيَتَجَسِّسُ عَلَيْهِ وَيَفْضُحُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَجْرِي دَارِهِ، وَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ فِي رُوعِهِ كُراهِيَّتِهِ.. وَيَقَابِلُهُ حِينَما خَطَبَ عُثْمَانَ عَلَى مَلَأِ الْمُصَاحِّينَ الْمُتَمَرِّدِينَ بِقَوْلِهِ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ نَهَارِيْرَ وَرَكِبْنَاهَا مَعَكَ فَتَبْ قَتْبَ نَتْبِ.. " وَهَذِهِ عَائِشَةُ تَجْتَرِي وَهُوَ يَخْطُبُ فَتَقُولُ وَقَدْ نَشَرَتْ قَمِيصُ النَّبِيِّ: " هَذَا قَمِيصُ النَّبِيِّ لَمْ يَبْلُ وَقَدْ أَبْلَيْتَ سَنَتَهُ.. " وَهَذَا طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ يَعْيَنُ الثَّائِرِيْنَ بِالْمَالِ.. وَلَكِنَّ عَلَيَا مَعَ كُلِّ مَا هُوَ عَاتِبٌ وَوَاجِدٌ.. بَادَرَ إِلَى تَقْدِيمِ وَلَدِيهِ لِاعتِبَارِهِمَا التَّقْدِيرِيَّةِ وَمَوَالِيهِ لَكِي يَنْهَا عَوَادِي الْاِحْدَادِ..

" وَحِينَ بَلَغَهُ أَنَّ النَّاسَ حَصَرُوا دَارَهُ وَمَنْعَهُ الْمَاءَ بَعْثَ إِلَيْهِ بِثَلَاثَ قُرْبٍ وَقَالَ لِلْحَسَنِ وَالْحَسِينِ اذْهَبَا بِسِيفِكُمَا حَتَّى تَقُومَا عَلَى بَابِهِ وَلَا تَدْعَا أَحَدًا يَصِلَّ إِلَيْهِ بِمَكْرُوهٍ.. وَكَانَ أَنَّ خَضْبَ الْحَسَنِ بِالدَّمَاءِ وَشَجَ قَبْرُ مُولَاهِ..

" هَذَا مَا عَرَفَ التَّارِيخُ عَنْ عَلَى وَبْنِيِّ إِزَاءِ الْمَصْرَعِ، بَيْنَمَا عَرَفَ مِنْ نَاحِيَّةِ ثَانِيَّةٍ، أَنَّ عُثْمَانَ وَهُوَ مُحاَصِّرٌ كَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَهُوَ بِالشَّامِ: " أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَدْ كَفَرُوا وَأَخْلَفُوا الطَّاعَةَ وَنَكْثُوا الْبِيَعَةَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ مَقَاوِلَةِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ.. " إِذَا بِمَعَاوِيَةِ حِينَما جَاءَهُ كَتَابَهُ يَتَرَبَّصُ بِهِ، فَقَدْ كَرِهَ - عَلَى حَدِّ دُعْوَاهُ - مَخَالِفَهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ، وَقَدْ عَلِمَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.. وَمِنْ تَهْكِمَاتِ الْقَدْرِ أَنْ يَحْرُضَ عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ وَنَجْبَهُ عَائِشَةَ عَلَانِيَةً وَيَتَخَلَّى مَعَاوِيَةَ عَنْ نِجَادَتِهِ وَيَعْيَنُ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ كَلَاهِمَا، ثُمَّ يَنْفِرُ هُؤُلَاءِ أَنفُسَهُمْ هُنَا وَهُنَّاكَ يَطَالُبُونَ بِدَمِهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَخْلَصَ لَهُ النَّصِيَّةَ وَحَذَرَهُ مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ وَكَانَ مجْنَهُ دُونَ روَاكْضَ الْخَطُوبِ.. اه.."

(٨٥)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (٢)، عبد الرحمن بن عوف (١)، على بن أبي طالب (١)، يعلى بن أمية (١)، عمرو بن العاص (٢)، زيد بن ثابت (١)، الشام (٢)، التعباء، العباء (١)، القتل (١)

صفحة ٠٧٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٦

نعم كانت حجة معاوية الوحيدة في رسائله إلى الحسن، ادعاؤه " أني أطول منك ولاية واقدم منك بهذا الأمر تجربة وأكبر منك سنًا! (١)" ولا شيء غير ذلك.

ولو كان لدى معاوية من وراء هذه الجمل المتعاطفة، حجة حرية بالقول أو عصية بالقبول، لأفضى بها، ولترك النزوع إلى نبش الدفائن

وتأريث النعرات.

وليت شعرى، أى تجاربك تعنى أبا يزيد؟!..

أيوم ضجت الشام منك إلى عمر حتى قام لشكاوتها وقعد، واستقدمك - مع البريد - و كنت أخوف منه من غلامه "يرفأ؟" أم يوم ضربك بالدرة على رأسك حين دخلت عليه معجبًا بملابسك الخضر؟

أم يوم كنت تقاطع الأمور من دون عثمان، ثم تقول : "هذا أمر عثمان" كذبا حتى لقد كنت أحد أسباب نكبته؟
أم يوم سعيت برجلك وجيشك تحارب امام زمانك بالسلاح باغيا - غير متخرج ولا متأثر - ؟

وهل في هذا القديم "من تجاربك" ما يشعر بالحجج على استحقاقك الولاية أو الاستمرار على مثلها؟. فأين إذا استحقاق الخلافة يا ترى؟..

وهل في ولایة تقادم على مثل هذا النسق المجلوب عليه، والقائم على الكذب والبهتان وإراقة الدماء، ما يدل على أهلية المقام الديني الرفيع؟.

(١) شرح النهج (٤ - ١٣).

(٨٦)

مفاهيم البحث: الشام (١)، الكذب، التكذيب (١)، الحج (٢)

صفحة ٧٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٧

جمل تتعاطف كما تتعاطف الحجج النواصع، ثم هي لا ترجع في خلاصتها إلا إلى معنى واحد، هو التماس الحجة (بطول المدة!).
ولا نعرف في منطق الحق مقاييسا يثبت الخلافة بطول المدة أو بكبر السن!!

وقد يكون الرجل أبصار الرجال في شراء ضمائر الناس، أو في تأريث الفتن في الناس، ولكن ذلك لا يعني استحقاق هذا الرجل لنيابة النبوة في الإسلام.

وقد يكون الرجل أقوم الرجال في ضبط أعصابه وفي كبت عواطفه، حتى ليعد الناس من كبار الحلماء، ولكن ذلك ليس دليلا الإمامية الدينية في الناس، لأن الحلم العظيم كما يكون في الإمام، يكون في المتراعمين المنافقين.

وقد يكون الرجل في حنكته أقدر الناس على ترتيب العقائد وتوجيه الرأي العام إلى الأخذ برأيه الخاص - سواء كان رأيه من رأى الله أو من رأى العاطفة - ولكن ذلك لا يبعدها الرجل أن يكون المبتدع في الدين، لا الخليفة على المسلمين. لأن الخليفة لا رأى له رأى القرآن، ولا سند له إلا من الحديث، ولا مرجع له إلا إلى الله عز وجل.

إذا، فليس الرجل الصالح لملكوت الخلافة الإسلامية، والنيابة عن النبوة في الدين، إلا مخلوق من نوادر الخلق، يختاره الله من عباده ويصطفيه من جميع خلقه، لمزايا ينفرد بها عن العباد، وفضائل يتميز بها عن الخلق. والله سبحانه الذي برأ العباد أعرف بذلك العبد الصالح الذي انفرد بهذه المزايا، وإنماز بها تيك الفضائل. وهو الذي يوحى باسمه إلى نبيه فيختاره من دون غيره. وليس لأحد - بعد ذلك - أن يختار.

اما معاوية فلم يكن له من سوابقه وسابق أبيه، ولا من كيفية إسلامه واسلام أبيه، ولا من موافقه مع عمر وعثمان ومع على عليه السلام ما يزعه عن التطاول إلى ادعاء أعظم المراتب في الإسلام، حتى جاء يقول

(٨٧)

مفاهيم البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، القرآن الكريم (١)، النفاق (١)

صفحة ٧٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٨

للحسن ابن رسول الله (ص) وقد بايده المسلمون في آفاق الأرض بما فيهم صحابة الرسول وأهل بيته وخاصته وجميع المعنين بسلامتهم "انى اكبر منك سنا واقدم منك وأطول منك."!!

وهل تجد في دنيا الحجاج، أبلغ من هذا المنطق في اعلان العجز عن الحجّة؟.

وكاتبة ثانية، ولكنها حاول في هذه المرّة، التهديد بالاغتيال والاغراء بالأقوال، وكأنه عرف الحسن على غير حقيقته، فأسف إلى مثل هذا الأسلوب المبتذل الذي لا يخاطب به مثله، قال:

"اما بعد، فان الله يفعل في عباده ما يشاء. لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، فاحذر ان تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس، وايأس من أن تجد فيما غميزة!! ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها والسلام (١.)"

وكان جوابه الأخير الذي جبه رسولى الحسن اليه، وهما جندب بن عبد الله الأزدي والحرث بن سويد التميمي أنه قال لهم "ارجعوا فليس بيني وبينكم الا السيف! (٢.)"

* * * وهكذا ابتدأ معاوية العدوان، وخرج عامدا على طاعة الخليفة المفروضة طاعته عليه، الخليفة الذي لم يخالف على بيته أحد من المسلمين غيره وغير جماعته من جند الشام الذين صقل قرائحهم على الخلاف، ورباهم على رأيه، وحبسهم عن الاختلاط بغيرهم، فكانوا حقا، كما وصفهم صعصعة بن صوحان العبدى حين سأله معاوية عنهم فقال "أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار وحلفاء الأشرار (٣.)"

(١) و (٢) شرح النهج (ج ٤ ص ١٣ و ١٠).

(٣) المسعودي هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ١١٩).

(٨٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، جندب بن عبد الله الأزدي (١)، صعصعة بن صوحان (١)، الشام (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٧٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٨٩

ودارت الكوفة دورتها، وهي تستمع إلى تهديد معاوية وتتلقي الخبر عن زحفه إلى العراق. وارتजت للحرب على لسان شيعتها البهاليل.

وهكذا جد الجد ولا مندوحة لولي الامر على الاستجابة للظرف المفاجئ والتزول على حكم الامر الواقع.

وكان حرب البغاء واجبه الذي يستمدّه من عقيدته ويستميله من أعماق مبدئه، ولا استقرار للخلافة دون القضاء على هذا الانقسام الذي يفرضه معاوية على صفوف المسلمين، بثوراته المسلحة في وجه الخلافة الإسلامية قرابة ثلاثة ثلث سنوات متاليات، أحوج ما يكون المسلمين فيها إلى الاستقرار والاستعداد.

وكانت حروب الشام منذ تجند لها معاوية، أشأم الحروب على الإسلام، وأكثرها دماً مهراقاً، وحقاً مضاععاً، واجتراء على الحقائق، وانتصاراً للتزق الطائش، والأهواء الدنيوية الرخيصة.

وان الإسلام بمبادئه الإنسانية السامية لم يشرع الحرب إلا في سبيل الله وإيتاء الخير الناس وذidiada عن حياضه، أما نهب الثغور وإخافه

الآمنين، ومحاربة الشعوب المؤمنة بالله وبرسوله (أنه يريد أن يتأمر عليهم) فذلك ما لا تعرفه المبادئ الإسلامية، ولا تعرف بمثله إلا الجاهلية الهوجاء. وذلك هو مصدر الصدمات التي مزقت الكلمة وفرقت الدين، وفرضت العداوات بين قيادات المسلمين. واستجاب لمعاوية في هذه الحروب "سفهاء طغام" على حد تعبير شبث بن ربعي التميمي حين واجهه في أحد سنتي ٣٦، فاستغل تفسخ أخلاقهم، وأتجر بفساد أذواقهم، وقدف بهم في لهوات الموت، وكلهم راض مطين.

* * * وكانت الشنشنة الموروثة في هاشم، أنهم لا يبدأون أحداً قط بقتل. وتجد فيما عهد به الحسن إلى قائدته "عبد الله بن عباس" تأييداً صريحاً

(٨٩)

مفاتيح البحث: دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (١)، شبث بن ربعي اليربوعي (١)، سبيل الله (١)، الشام (١)، القتل (١)، السلاح (١)، الموت (١)، الجهل (١)، الحرب (٢)

٨٠ صفحه

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٠

لهذا الخلق الهاشمي الأفضل. وكان للحسن على الخصوص، مواريث شخصية كثيرة من وصايا ودستير، أثره بها سيد العرب أبوه أمير المؤمنين عليه السلام. وكان أبوه كما يحدثنا التاريخ شديد العناية بابنه الحسن "وكان يكرمه أكراماً زائداً ويعظمه ويجله (١)." وكانت هذه الوصايا، المثل التي لا يقربها الباطل ولا تزيغ عن الصواب على اختلاف موضوعاتها في الدين والدنيا وفي التربية والأخلاق. وكان فيما أوصى به على الحسن قوله "لا تدعون إلى مبارزة، فإن دعوت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باع. والباغي مصروع".

لذلك كنا نرى الحسن في إبان بيته، وفي قوّة اندفاع أصحابه للهتاف بالحرب، لا يجib إلّيها صريحاً، ولا يعمل لها جاداً، لأنّه كان ينظر إلى الحرب نظره إلى ضرورة بغيضة، يلجأ إليها حين لا حيلة له في اجتنابها، وكان يتّظر تنظيم حرب يضمن لها القوّة، أو قوّة تضمن له الحرب، وقد حالت الظروف المتّازمة - يومئذ - والذاهبة صعداً في أزماتها بينه وبين ما يريد.

وقد أتينا في الفصل السابق على استكشاف الأوّلkar التي كان ينتمي إليها المترizzون المتمحمسون في الكوفة، من أمويّة، ومحكمة، وشكاكين، وحرماء. وأشارنا هنا إلى ما كانت تعج به هذه المجتمعات من روح الهدم والتخرّب، والوقوف في وجه السياسة القائمة بشتى الأساليب.

وكان كل ذلك - وبعضه كاف - سبب التمّهل في الحرب، الامر الذي عورض به الحسن عليه السلام من قبل قيادات من أصحابه المناصرين له. وكان للنشاط المؤقت المحدود، الذي غمر الكوفة في أيام البيعة، أثره في إغراء هذه الفئات من الأصحاب، ليظنو كل شيء ميسراً لخليفتهم الجديد. ولكنها كانت النّظرة القصيرة التي لا تمتد إلى ما وراء الستار. ولا تزن في حسابها ما تهدّفه هاتيك "الأوّلkar".

(١) ابن كثير (ج ٨ ص ٣٦ - ٣٧).

(٩٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٢)، الباطل، الإبطال (١)، الحرب (٤)، الوقوف (١)، الوصيّة (١)

٨١ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩١

اما الحسن فقد كان ينظر بال بصيرة الوعية إلى أبعد مما ينظرون، ويعرف بالعقل اليقظان من مشاكلهم أكثر مما يعرفون، ويغار - بدينه - على الصالح العام أعنف مما يحسبون.

انه يدرك جيداً دقة الموقف، بما يسيطر عليه من ميوعة الأخلاق، في قسم عظيم ممن معه في جيشه، وممن حوله في كوفته وكان يتظر لها التفسخ الأخلاقي الذي باع الدنيا بالدين، أثره السيئ في ظروف الحرب، لو أنه استبق إلى الحرب قبل أن يضطرب الموقف إليها.

ورأى أن تحمل قليل من مفاسد هؤلاء كثيراً من الصلاح لسياسته الحاضرة مع ظرفه الخاص.

ورأى أن يعالج الموقف من وجهه الثاني، فترفق بالناس، ولم يتنكر لأحد من رعيته ولم يبد له أمراً، وأخذ بسياسة التهدئة وإسدال الستار، لثلا يتسع الفتنة، وأرجأ التصفية إلى وقتها المناسب لها، ليضع الندى في موضعه والسيف على أهله.

* * * وهنا يسبق إلى الذهن استفهام لا يجوز للباحث أن يتجاوزه من دون أن يقف على سره. انه كان الأولى برئيس الدولة إذ جوبه من ظروفه بمثل هذا الجو المتلب بالغيوم، أن يعمد إلى الحزم في استصال الشعب، فيستعمل الشدة ويكشف المؤامرات وينكل بالخونة ويكيل لهم الجزاء الذي يستحقون. فما الذي حدا بالحسن عليه السلام، إلى العزوف عن طريقة الشدة إلى الرفق أحوج ما يكون موقفه إلى الأول منهمما تعجلا للاستقرار واستعداداً لمستقبله المهدد بالحروب؟.

وللجواب على هذا الاستفهام، وجوهه الثلاث التي ستقرؤها في خاتمة الفصل الثامن. ونقول هنا: ان الحسن لو أراد الاخذ بسياسة الشدة - وكانت من أوضح الأساليب التي تتخد لمثل هذه الظروف - لتعجل الفتنة عن عمد، ولفتح ميدانه للثورات الداخلية التي لن تكون أقل خطراً على

(٩١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، الحرب (٢)، الجواز (١)

صفحة ٠٨٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٢

مقدراته من حروب الشام. وكان معاوية العدو الذي لا يفتأّ يمد فكرة الثورة في الكوفة بكل ما أوتي من ثراء أو دهاء. لذلك كان ما اختاره الحسن هو الأحسن لموقفه الدقيق.

ونقول في الجواب على مقترح بعض نصائحه من أصحابه في تعجيل الحرب حين طلب إليه "أن يبدأ معاويه بالمسير حتى يقاتلهم في أرضه وبلاذه وعمله (١)" انه لو فعل ذلك لفتح للمعارضين من زعماء الأحزاب في الكوفة وللمتفاهمين من القراء و(أهل الهيئة والقناعه) فيها، منفذًا للخلاف عليه لا يعدم الحجة، إذا أريد الاحتجاج به من ناحية "الابتداء بالعدوان" وهي الحجة التي لا يجد كثير من الناس أو من بسطاء الناس الجواب عليها، والتي قد يؤول بها النقاش إلى مجاهرة هذه الجماعات بنكث البيعة علينا، والتخلّي عن الحسن جهاراً، ومعنى ذلك التعرض إلى أفعى انشقاق داخلي، له عواقبه ومخاوفه. ولهذا وذاك آثر الحسن التهدئة متمهلاً بالحرب بادئ ذي بدء. ثم ارتجل الأمر بالجهاد.

وما كان إذ أمر بالجهاد الا- مستجيناً للظرف الطارئ الذي لم يكن يتحمل - في نظر الجميع - الا- الأمر بالجهاد، وذلك حين بادر معاويه إلى العدوان مبتدئاً، وتحلبت أشداقه بالمطامع الإقليمية ولكن في صميم بلاد الإسلام!، فزحف إلى "جسر منج (٢)" باتجاه العراق، وذلك بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، بقليل من الزمن اختصره اليعقوبي (٣) كثيراً

- (١) ابن أبي الحديد (ج ٤: ص ١٣).
- (٢) منبج "بلد قديم كبير، بينه وبين جسره على الفرات ثلاثة فراسخ، وبينه وبين "حلب" عشرة فراسخ، وفي المعجم": بينهما يومان، قال: "ومنها إلى (ملطية) أربعة أيام وإلى الفرات يوم واحد، وخرج منها جماعة منهم البحترى وأبو فراس الحمدانى..".
- (٣) (ج ٢: ص ١٩١).
- (٩٢)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٢)، الشام (١)، القتل (١)، الحرب (١)، الوفاة (١)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)، أبو فراس الحمدانى (١)، نهر الفرات (٢)

صفحة ٨٣

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٣
فحدهه بثمانية عشر يوما.

ومن هناك حيث بلغ أعلى الفرات، رفع صوته "بالعلاء" الذي حاول أن يجعل منه زيراً وجلجلة، ليخفف الثبور الآمنة المطمئنة، ولبنبه مرابض الأسود في كوفة الجندي فيستدرجه إلى التزال.
ونظر معاوية إلى مصرع على (عليه السلام)، كأحسن فرصة للاجراءات الحاسمة بين الكوفة والشام. وكان ذلك هو القرار الأخير الذي تم عليه الاتفاق بينه وبين مشاوريه، الذين كانوا يتحلقون حوله ليل نهار، وينظمون معه حركة المعارض للخلافة الهاشمية، بحركة تشبه الدهاء، أمثال المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عتبة، ويزين بن الحر العبسي، ومسلم بن عقبة، والضحاك بن قيس الفهري.

ونجح معاوية في اختيار الظرف المناسب.

ونجح في خلق الشغب المزعج في كوفة الحسن، بما أولاه من عناء بالغ بشراء الصمائر الرخيصة فيها، وبما به من جوايس يتأبطون في رواحهم ألوان الأكاذيب، ويتوذرون في غدوهم الاخبار والمعلومات، مما يجد في الكوفة من تصاميم، وعما يوجد لديها من امكانيات. وكان سلاح معاوية من هذا النوع، أقوى من سلاحه بالرجال وال الحديد وأشد منها مضاء وأبعد أثرا.

" واستنفر عشائره وجيشه، فكتب إلى عماله على النواحي التابعة له، بنسخة واحدة، يقول فيها: "فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي هذا بجدكم وجدهكم وحسن عدتكم (١)." ..

* * * ومضى الحسن (عليه السلام) - بدوره - على تصميمه في الاستعداد

(١) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٣).

(٩٣)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٤)، نهر الفرات (١)، مرwan بن الحكم (١)، مسلم بن عقبة المرى (١)، المغيرة بن شعبة (١)، الضحاك بن قيس (١)، عمرو بن العاص (١)، الشام (١)، الإختيار، الخيار (١)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)

صفحة ٨٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٤

للجواب على هذا العدوان. فدعا إلى الجهاد، وتائب معه المخلصون من حملة القرآن وقاده الحروب وزهاد الإسلام، أمثال حجر بن

عدي الكندي وأبي أيوب الأنباري، وعمرو بن قرصة الأنباري، ويزيد بن قيس الأرجبي، وعدى بن حاتم الطائي، وحبيب بن مظاهر الأسدى، وضرار بن الخطاب، ومعقل بن سنان الأشجعى، ووائل بن حجر الحضرمى [سيد الأقىال]، وهانئ بن عروة المرادى، ورشيد الهمجرى، وميثم التمار، وبرير بن خضير الهمدانى، وجبة العرنى، وحذيفة بن أسيد، وسهل بن سعد، والأصبغ بن نباتة، وصعصعة بن صوحان، وأبى حجأ عمرو بن محسن، وهانئ بن أوس، وقيس بن عبادة، وسعيد بن قيس، وعباس بن شبيب، وعبد الله بن يحيى الحضرمى، وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعى، ومسلم بن عوسجء، وعمرو بن الحمق الخزاعى، وبشير الهمدانى، والمسىب بن نجية، وعامر بن وائلة الكنانى، وجويرية بن مشهر، وعبد الله بن مسمع الهمدانى، وقيس بن مسهر الصيداوى، وعبد الرحمن بن عبد الله بن شداد الأرجبي، وعمارة بن عبد الله السلولى، وهانئ بن هانئ السبىعى، وسعيد بن عبد الله الحنفى، وكثير بن شهاب، وعبد الرحمن بن جندب الأزدى، وعبد الله بن عزيز الكندى، وأبى ثامامة الصائدى، وعباس بن جعدة الجدلى، وعبد الرحمن بن شريح الشيبانى، والقعقان بن عمر، وقيس بن ورقاء، وجندب بن عبد الله الأزدى، والحرث بن سويد التىمى، وزيد بن صعصعة التىمى، وعبد الله بن وال، ومعقل بن قيس الرياحى.

وهؤلاء هم الجناح القوى فى جبهة الحسن عليه السلام. وهم السادة الذين وصفهم الحسن فيما عهد به إلى "عبد الله بن عباس" بأن الرجل منهم يزيد الكتيبة، ووصفهم معاویة فى حروب صفين بأن قلوبهم جميعاً كقلب رجل واحد، وقال عنهم : "انهم لا يقتلون حتى يقتلوا أعدادهم". **"وهم الذين عناهم يومئذ بقوله : ما ذكرت عيوبهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى."** وشهادة العدو وأصدق (٩٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهمما السلام (١)، ميثم بن يحيى التمار النهروانى (١)، أبو أيوب الأنباري (١)، قيس بن مسهر الصيداوى سفير الحسين (ع) (١)، إبراهيم بن مالك الأشتر النخعى (١)، عبد الله بن يحيى الحضرمى (١)، هانى بن هانى السبىعى (١)، عبد الله بن شداد الأرجبي (١)، جندب بن عبد الله الأزدى (١)، حبيب بن مظاهر الأسدى رضوان الله عليه (١)، هانى بن عروة (١)، يزيد بن قيس الأرجبي (١)، حجر بن عدى الكندى (١)، الأصبغ بن نباتة (١)، عبد الله بن وال (١)، سعيد بن عبد الله (١)، حذيفة بن أسيد (١)، عامر بن وائلة (١)، صعصعة بن صوحان (١)، كثير بن شهاب (١)، القعقان بن عمر (١)، عدى بن حاتم (١)، قيس بن ورقاء (١)، رشيد الهمجرى (١)، وايل بن حجر (١)، عمرو بن الحمق (١)، سعد بن عبادة (١)، عباس بن شبيب (١)، مسلم بن عوسجء (١)، سعيد بن قيس (١)، عمرو بن محسن (١)، معقل بن قيس (١)، سهل بن سعد (١)، القرآن الكريم (١)، القتل (١)، الحج (١)، الشهادة (١)

صفحة ٠٨٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٥
الشهادات مجدداً.

وهو أعناب الكوفة فى فورة الدعوة إلى الجهاد، تفاؤل عنيف غالب الناس على منازعها، فإذا بالناس يتسابقون إلى صفوفهم بما فيهم العناصر المختلفة التي لا يعهد منها الشاطئ للدعوات الخيرة والأعمال الصالحة والمساعي الخالصة لله عز وجل.

فجمع المعسكر إلى جنب أولئك المخلصين من أنصار الحسن سواداً من الناس غير معروفين، وجماعة من أبناء البيوت المرaines، وجمهوراً من مدخولى النيء الذين لا يتفقون معه فى رأى، وربما لا يكونون الا عين عدوه عليه وعلى أصحابه، وآخرين من الضعفاء الرعاديـ الذين إذا أكروا على القتال اتقوا بالفرار، وربما لم يكن لهم من الامل الا أمل الغنائم "وليس أحد منهم يوافق أحداً فى رأى ولا هوى، مختلفون لاـ نيء لهم فى خير ولا شر (١. - ") وفيهم إلى ذلك، المشاجرات الحزينة التي ستكون في غدها القريب

شجرة الشوك في طريق التجهيزات التي تستدعيها ظروف الحرب.

* * * وتحفظ الحسن - منذ اليوم الأول - نتائج هذا اللون المؤسف الذي انتشر في صفوفه، والذي لا يؤمن في عواقبه من الخذلان، وهو ما تشير إليه بعض المصادر (٢) صريحاً.

فكان ينظر إلى الجماهير المرتجزة بين يديه للحرب، غير واثق بثباتهم معه، ولا مؤمن بأخلاقهم لأهدافه. وتراءت له من وراء هؤلاء (في الكوفة)، الرؤوس ذوات الوجهين التي يئس من اصلاحها الهدى، أمثال الأشعث بن قيس، وعمرو بن حرث

(١) كلمة الحسن نفسه فيما وصف به أهل الكوفة كما يرويها ابن الأثير (ج ٣: ص ٦٢).

(٢) يراجع شرح النهج (ج ٤: ص ١٤).

(٩٥)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٣)، عمرو بن حرث (١)، الشهادة (١)، الغل (١)، القتل (١)، الحرب (١)، الغيمة (١)، الجنابة (١)، الجماعة (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٨٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٦

ومعاویة بن خديج، وأبی بردة الأشعري، والمنذر بن الزیر، واسحق بن طلحة، وحجر بن عمرو، ويزید بن الحارث بن رؤيم، وشیث بن ربیعی، وعمارة بن الولید، وحیب بن مسلم، وعمر بن سعد، ويزید بن عمیر، وحجار بن أبجر، وعروة بن قیس، ومحمد بن عمیر، وعبد الله بن مسلم بن سعید، وأسماء بن خارجة، والقعقاع بن الشور الذهلي، وشمر بن ذی الجوش الصبابی. وعلم أن له من هؤلاء ليوماً.

وهوئلاء هم الكوفيون الناشزون، الذين كانوا يشرعون الأخلاق لأنفسهم وللناس الذين يماطلونهم - رغم ادعائهم الإسلام! وكان الإسلام الذي عمر الأخلاق في النفوس وذرر به النعيم على المسلمين، قد هزمته المادة بين أوساط هذا المجتمع المأفون، فباعتده بينهم وبينه القربي، وعجزوا عن مسايرته بتعاليمه وتربيته وتنقيفه، فما بايعوا الحسن على السمع والطاعة حتى كانوا عملاء أعدائه على الشعب والعصيان، يرقبون الحوادث، ويترصّدون الدوائر، وينتهزون الفرص، ويتأمرون على أخطر الموبقات غير حافلین بعواقبها ولا عارها ولا نارها.

وكان الخطير المتوقع من انخراط هؤلاء في الجيش، أكبر من الخطير المنتظر من أعدائه الذين يصارحونه العداء وجهها لوجه. فلم لا يتخوف عاهل الكوفة من الخذلان، ولم لا يتمهل بالحرب ما وسعه التمهل، وللتنتائج الغامضة حكمها الذي يفرض الأنأة ويدرك بالصبر، ويلوح بالخسران.

ولكنه - وقد دعى الآذن إلى المبارزة - خلائق أن يرجع إلى الميراث النفيس الذي يشيع في نفسه من ملكات أبيه العظيم (وكان لا بد للشبل أن ينتهي إلى طبيعة الأسد).

فليرجع إلى وصيَّة أبيه له، وكان مما أوصاه به أبوه "لا تدعون

(٩٦)

مفاتيح البحث: عمر بن سعد لعنه الله (١)، مدينة الكوفة (١)، عروة بن قيس (١)، حجار بن أبجر (١)، شبث بن ربیعی اليربوعی (١)، شمر بن ذی الجوش لعنه الله (١)، مسلم بن سعید (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الوصيَّة (١)

صفحة ٨٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٧
إلى مبارزة، فان دعيت لها فأجب، فان الداعي لها باع." ..

وليرجع إلى واجبه الشرعي بما له من ولایة أمر المسلمين، وليس للامام الذى قلده الناس بيعتهم، أن يغضى على الجهر بالمنكر والبغى على الاسلام ما وجد إلى ذلك سبيلا.

"والله تعالى شأنه يقول : فقاتلوا التي تبغى حتى تفني إلى أمر الله."

ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : "من دعا إلى نفسه، أو إلى أحد، وعلى الناس امام، فعليه لعنة الله فاقتلوه."

* * * اما السبيل إلى ذلك، ولا نعني به الا القوة على انكار المنكر، فقد كان للكوفة من القوى العسكرية في مختلف التغور الخاضعة لها، ما يؤكّد لظنّ بوجود الكفاية للحرب، رغم الأوضاع الشاذة التي نزع إليها كثير من خونه الكوفيين المواطنين.

وكان للدولة الإسلامية في أواسط القرن الأول، أعظم جيش تحفل بمثله تلك القطعة من الزمن، لو لا أن الالتزام بقاعدة "المرابطة" التي تفرضها حماية التغور والتي كان من لوازمه توزيع القسم الأكبر من الجيوش الإسلامية على مختلف المواقع بعيدة عن المركز، كان يحول دائما دون استقدام العدد الكبير من تلك الوحدات للاستعانة به في الحروب القريبة من المركز، ولا سيما مع صعوبة العمليات السوقية بنظامها السابق ووسائلها القديمة المعروفة.

وكان الجيش المقدر على الكوفة وحدها. تسعمين الفا أو مائة الف - على اختلاف الروايتين (١) -. وكان الجيش المقدر على البصرة ثمانين الفا (٢). وهؤلاء هم أهل العطاء في المصريين، أعني الجنود الذين يتقاضون

(١) يرجع إلى اليعقوبي (ج ٢: ص ٩٤)، والى الإمامة والسياسة (ص ١٥١).

(٢) حضارة الإسلام في دار السلام لجميل مدور.

(٩٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الجهر والإخفاف (١)، مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (١)، القتل (١)، الطلاق (١)

صفحة ٨٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٩٨

الرواتب من خزينة الدولة. وفي المصريين العسكريين - الكوفة والبصرة - مثل هؤلاء عددا من اتباعهم ومواليهم ومن متطوعة الجهاد غالبا.

فهذه زهاء ثلاثة وخمسين الفا، هي مقاتلة العراق، فيما يحسب على العراق من القدرة العسكرية، عدا جيوش فارس واليمن والحجاز والمعسكرات الأخرى.

وكان من تحمّس الشيعة للحرب (يوم الحسن)، ومن الحاج الخوارج على حرب الحالين الصالين أهل الشام - على حد تعبيرهم - ومن انسياخ الناس إلى صفوفهم يوم نجحت دعاؤه الدعاء إلى الجهاد في الكوفة. ما يكفي وحده رصيدا للظن بوجود الكفاية بل اليقين بوجودها، لو انهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يوم التقت الفئتان وحميت الصدور واحمرت الحدق.

النفير والقيادة

(٩٨)

مفاتيح البحث: دولة العراق (٢)، مدينة الكوفة (٢)، الشام (١)، الخوارج (١)، الحرب (١)

صفحة ٠٨٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٠

ونادى منادي الكوفة - الصلاة جامعه -، واجتمع الناس فخرج الحسن عليه السلام، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد، فإن الله كتب للجهاد على خلقه وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا أن الله مع الصابرين. فلستم أهلاً للناس ناثلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون. انه بلغنى أن معاویة بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير اليه فتحرک. لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم في النخلة (١) حتى ننظر ونتظرون، ونرى وترون."

قال مؤرخو الحادثة " : وسكت الناس فلم يتكلم أحد منهم ولا أجابه بحرف."

- ورأى ذلك " عدى بن حاتم " وكان سيد طيء والزعيم المرموق بسوابقه المجيدة في صحبته للنبي والوصي معاً (صلى الله عليهما فانتفاض انتفاضته المؤمنة الغضبي، ودوى بصوته الرزين الذي هز الجموع، فاستدارت إليه الوجوه تستوعب مقالته وتعني بشأنه - وفي الناس كثير من عرف لابن حاتم الطائي، تاريخه وسُودده وثباته على القول الحق - واندفع الزعيم محموم اللهجة قاسي التقرير، يستنكر على الناس سكوتهم، ويستهجن عليهم ظاهرة التخاذل البغيض.

وقال:

"أنا عدى بن حاتم، ما أقيح هذا المقام! لا تجيرون إمامكم وابن

(١) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشام، أقول: ويوجد اليوم على سمت كربلاء بناءً تعرف بخان النخلة، بينها وبين الكوفةاثنا عشر ميلاً.

(١٠٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهم السلام (١)، مدينة الكوفة (٣)، عدى بن حاتم (٢)، الصبر (١)، الصلاة (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، الشام (١)

صفحة ٠٩٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠١

بنت نبيكم؟ أين خطباء مصر الذين أستهموا بالمخارق في الدعوة، فإذا جد الجد، راوغوا كالغالب؟. أما تخافون مقت الله ولا عيدها وعارضها؟"

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال:

"أصاب الله بك المراسد، وجنبك المكاره، ووقفك لما يحمد ورده وصدره. وقد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك، وأطعنا فيما قلت ورأيت."

قال " : وهذا وجهي إلى معسكرينا، فمن أحب أن يوافي فليواف."

ثم خرج من المسجد، ودابتة بالباب، فركبها ومضى إلى النخلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه. وكان المثل الأول للمجاهد المطعم، وهو إذ ذاك أول الناس عسكراً (١). وفي طيء الف مقاتل لا يعصون لعدي أمراً (٢).

ونشط - بعده - خطباء آخرون، فكلموا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم، فقال لهم الحسن عليه السلام " : رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء، والمواء. فجزاكم الله خيراً."

واستخلف الحسن على الكوفة - ابن عمه - المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس للشخص الذي في النخيلة.

وخرج هو ومن معه، وكان خروجه لأول يوم من اعلانه الجهاد أبلغ حجة على الناس في سبيل استئثارهم. وانتظمت كتائب النخيلة خيار الأصحاب من شيعته وشيعة أبيه وآخرين من غيرهم. ونشط المغيرة بن نوفل لاستحثاث الناس إلى الجهاد وكان من المنتظر للعهد الجديد - الذي قوبل بالمهرجانات القوية في أسبوع البيعة، أن لا يتأخر أحد بالكوفة عن النشاط المتحمس لإنجاح دعوة الإمام. ولكن شيئاً من ذلك لم يقع! وحتى السرايا الجاهزة التي كان أمير المؤمنين

(١) شرح النهج (ج ٤ ص ١٤).

(٢) اليعقوبي (ج ٢ ص ١٧١).

(١٠١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٢)، المغيرة بن نوفل (٢)، عدى بن حاتم (١)، الحج

(١)، القتل (١)، السجود (١)، الإختيار، الخيار (١)

٥٩١ صفحه

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٢

(عليه السلام) قد أعدها للكرّة على جنود الشام قبل وفاته - وكانت تعد أربعين ألف مقاتل - قد انفرط عقدها وتمرد أكثرها، وتناقل معها أكثر حملة السلاح في الكوفة عن الانصياع للأمر.

وكان المذبذبون من رؤساء الكوفة، أشدتهم نشاطاً في اللحظة الدقيقة التي أزفت فيها ساعة الجد.

قالت النصوص التاريخية فيما ترفعه إلى الحارث الهمданى كشاهد عيان " : وركب معه - أى مع الحسن - من أراد الخروج وتختلف عنه حقل كثير لم يفوا بما قالوا وبما وعدوا، وغروه كما غروا أمير المؤمنين من قبله.. وعسكر في النخيلة عشرة أيام فلم يحضره إلا أربعة آلاف. فرجع إلى الكوفة، ليستقر الناس، وخطب خطبه التي يقول فيها: قد غررتمنى كما غررتمنى من كان قبلى.. (١.١)"

أقول: ثم لا ندرى على التحقيق عدد من انضوى إليه - بعد ذلك - ولكننا علمنا أنه " سار من الكوفة في عسكر عظيم " على حد تعبير ابن أبي الحديد في شرح النهج.

وسنأتي في فصل " عدد الجيش " على غربلة أقوال المؤرخين لاختيار القول الفصل في عدد جنود الحسن عليه السلام.

وغادر النخيلة وبلغ " دير الرحمن " فأقام ثلاثة، والتحق به عند هذا الموضع مجاهدون آخرون لا نعلم عددهم.

وكان دير الرحمن هذا مفرق الطريق بين معسكري الإمام في المداين (٢).

(١) الخرياج والجرياح (ص ٢٢٨ - طبع إيران).

(٢) وهي العاصمة الساسانية التي بلغت من العمر الف سنة. وكانت وريثة بابل في عظمتها ولم يبق من آثارها اليوم إلا طاق كسرى، ومرقد الصحابي العظيم (سلمان الفارسي) رضى الله تعالى عنه. وكانت سبع مدن متقاربة تتقابل على ضفاف دجلة. فتحها المسلمون

سنة ١٥ هجرى وكانت إذ ذاك عاصمة الشرق الفارسي كلها، ففي الجانب الغربي سلوقياً، ودرزجان وبهرسیر، وجند يسابور " كوكه " في ناحية (مظلم سبات) المتصلة بنهر الملك. وفي الجانب الشرقي اسفنبر، وروميه، وطيسفون (وهي أم الطاق).

وكان لابد من مرور أكثر من مائة عام قبل أن تنتشر المداين نتيجة لانشاء بغداد سنة ١٥٠ هجرى. وفي خلال تلك الفترة كانت تغذي الكوفة بصناعاتها وكونزها ومحصولاتها، وذلك بارسالها المولى من الفرس إليها وقد صاروا مسلمين.

وكانت المداين منذ العهد الذي ولد فيها سلمان الفارسي تتشريع لآل محمد (ص) وكانت لا تزال في القرن السابع الهجرى قرية لا

يسكناها الا شيعة متهمسون.
وذكرها المسعودي عند ذكره العراق فقال " : ومدنه: المدائن وما والاها وأهلها أعدل الألوان وأنقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح وفيهم جوامع الفضائل وفرائد المبرات. " ..
(١٠٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، ابن أبي الحديد المعتزلى (١)، مدينة الكوفة (٥)، الحارت الهمданى (١)، الشام (١)، القتل (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الخرائج والجرائم للقطب الرواوى (١)، دولة ايران (١)، دولة العراق (١)، سلمان المحمدى (الفارسى) رضوان الله عليه (٢)، مدينة بغداد (١)، بابل (١)

٠٩٢ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٣
ومسكن (١).

وللامام الحسن خطته من هذين المعسكرين.

- اما "المدائن" فكانت رأس الجسر صوب فارس والبلاد المتاخمة لها. وهى بموقعها الجغرافى، النقطة الوحيدة التى تحمى الخطوط الثلاث التى تصل كلا من الكوفة والبصرة وفارس، بالأخرى. وتقف بقيمتها العسكرية درءا فى وجه الاحداث التى تنذر بها ظروف الحرب. وكانت

(١) بفتح أوله وكسر ثالثه، اسم الطسوج الذى منه "أوانا" على نهر دجل - القرية الكثيرة البساتين والشجر - التى عناها أبو الفرج السوادى (من شعراء القرن السادس) بقوله.

واجتلوها بكرنا نشت " بأوانا * * " حجبت عن خطابها بالأوانى كان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.

وفى "مسكن" هذه، كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبیر سنة ٧٢ هجري وفيها قتل مصعب، وقتل معه إبراهيم بن مالك "الأشر" النخعى، ودفنا حيث قتلا. ولا يزال القبران ظاهرين وعليهما قبة متواضعة تعرف عند أعراب سميكه "بقر الشيخ إبراهيم" وبينه وبين بغداد نحو من ستين كيلو مترا. وبينه وبين دجلة عشرة كيلو مترات، فمسكن هي المنطقة التى تترامى حوالى هذا القبر بما فى ذلك نهر دجل وهنالك كانت "أوانا" أيضا.

(١٠٣)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، الحرب (١)، إبراهيم بن مالك الأشر النخعى (١)، مدينة بغداد (٢)، الفرج (١)، القبر (١)

٠٩٣ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٤

فارس معرض الانتفاضات الخطيرة على الدولة. وكان عليها من قبل الامام " زياد بن عبيد " ولما يطبع - بعد - على صفحاته المقلوبة التي غيرت منه كل شيء.

واما "مسكن" فقد كانت النقطة الحساسة فى تاريخ جهاد الحسن (ع) لأنها الميدان الذى قدر له ان يقابل العدو وجها لوجه. وهى إذ ذاك أقصى الحدود الشمالية للعراق الهاشمى، أو المناطق الخاضعة لحكومة الكوفة من هذه الجهة. وكان فى أراضى مسكن مواطن معمورة بالمزارع والسكان وقرى كثيرة مشهورة - منها "أوانا" و "عكبرا" و منها "العلث" وهى آخر (١) قراها الشمالية، وكان بإزائها قرية "الجنوبية" وهى التى انحدر إليها معاوية بجيشه منذ غادر "جسر منيج" والتى عندها الجماعان.

والمفهوم ان موقع مسكن اليوم لا يعدو هذه السهول الواسعة الواقعه بين قرية " سميكة " وقرية " بلد " دون سامراء . ولمسكن طبيعتها الغنية بخيراتها الكثيرة ومشاريعها القريبة وسهولها الواسعة، فكانت - على هذا - الموقع المفضل للتزال والحروب، وكانت لأول مرة في تاريخها ميدان الحسن ومعاوية في زحفهما هذا، ثم تبودلت فيها بعد ذلك وقائع كثيرة بين العراق والشام . * * * ورأى الحسن عليه السلام أن يتخد من المدائن - بما لموقعها من الأهمية العسكرية - مقراً لقيادته العليا. ليستقبل عندها نجدات جيشه من الأقطار الثلاث القريبة منه، ثم ليكون من وراء ميدانه الذي ينال به معاوية وأهل الشام في " مسكن ". وليس بين المعسكرين الهاشمين في - المدائن ومسكن - أكثر من خمسة عشر فرسخا .

(١) قال الماوردي في الأحكام السلطانية - على رواية الحموي " : والعلت هو أول العراق من هذه الجهة. " أقول: ويقع العلت بين عكيرا وسامراء . وعكيرا قرية من نواحي دجلة قرب " أوانا . " (١٠٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٢)، دوله العراق (٣)، مدينة سامراء المقدسة (٢)، مدينة الكوفة (١)، زياد بن عبيد (١)، الشام (٢)، الوسعة (٢)

صفحة ٩٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٥

وكانت الخطأ المثلى التي لا بدل عنها للوضع العربي الراهن. وهكذا انكشف الحسن في رسم خططه الحربية، عن القائد الملهم الذي يحسن فنون الحرب كما كان يصطلح عليها عصره أفضل احسان. ودللت خطواته المتدرجة في سبيل مقاومته لعدوه سواء في اختيار الوقت أو في اختيار المواقع أو في تسخير الجيوش، على موهب عسكرية ممتازة، كانت كفاء ما رزق من موهب في سياساته وفي اخلاصه وفي تضحياته.

* * * ونظر عن يمينه وعن شماله، وتصفح - مليا - الوجوه التي كانت تدور حوله من زعماء شيعته ومن سراؤه أهل بيته، ليختار منهم قائداً " مقدمته " التي صمم على ارسالها إلى مسكن، فلم ير في بقية السيوف من كرام العشيرة وخلافة الأنصار، أكثر اندفاعاً للنصرة ولا اشد تظاهراً بالأخلاص للموقف من ابن عمه (عبيد الله (١) بن عباس بن عبد المطلب) و (قيس بن سعد بن عبادة الأنباري) و (سعید بن قيس الهمданی) - رئيس

(١) الارشاد للشيخ المفيد (ص ١٧٠)، وابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٤) واليعقوبي (ج ٢ ص ١٩١).

وذكر مؤرخ آخر انه (عبد الله بن عباس اخوه) ولا يصح ذلك، لأن عبد الله لم يكن في الكوفة أيام خلافة الحسن، وإنما كان في مكة، وكتب إلى الحسن كتابه الذي يشير فيه بالحرب وتجد صورته في شرح النهج (ج ٤ ص ٨ - ٩) ولم يكن عبد الله بالذى يختفى ذكره في احداث هذا العهد لو أنه كان موجوداً في الكوفة. قال الطبرى في تاريخه (ج ٦ ص ٨١): " وفيها - يعني في سنة ٤٠ - خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق بمكة في قول عامة أهل السير. وقد انكر بعضهم وزعم انه لم ينزل في البصرة عاماً عليها من قبل أمير المؤمنين على عليه السلام حتى قتل وبعد مقتل على حتى صالح الحسن ثم خرج حيئناً إلى مكة. " أقول: ولا في البصرة والا لما تأخر جيش البصرة عن الحسن أحرج ما كان اليه في المدائن. وأيد ابن الأثير (ج ٣: ص ١٦٦) ان عبد الله بن عباس فارق علياً في حياته. والمظنوون ان اتحاد الأخوين أبا وتشابه اسميهما كتابة هو الذي اثار الخطأ في نسبة القيادة لعبد الله. ووهم آخر فذكر قيادة المقدمة لقيس بن سعد. وكان قيس على الطلاقع من هذه المقدمة، كما نص عليه ابن الأثير، ولعل ذلك هو سبب هذا الوهم فلا حظ.

(١٠٥)

مفاتيح البحث: سعد بن عبادة (١)، سعيد بن قيس (١)، الكرم، الكرامة (١)، الإختيار، الخيار (٢)، الحرب (٢)، الإمام أمير المؤمنين

على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المغيرة (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، عبد الله بن عباس (٣)، مدينة مكة المكرمة (٣)، مدينة الكوفة (٢)، ابن الأثير (٢)، مدينة البصرة (٤)، قيس بن سعد (١)، القتل (٢)

صفحة ٩٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٦

اليمانية في الكوفة - . فعهد إلى هؤلاء الثلاثة بالقيادة مرتين.

وكان عبيد الله بن عباس أحد أولئك المرتजين للحرب، المستهترين بالحياة، تحفظه الغيرة الدينية، وتلهبه العنونات القبلية، فإذا هو الفولاذ المتصهور في تعصبه للعرش الهاشمي، وهل هو إلا أحد سرّاء الهاشميين، وقد يقال " ليست الشكلي كالمستأجرة " وهو في سوابقه أمير الحج سنة ٣٦ (على رواية الإصابة) أو سنة ٣٩ (على رواية الطبرى) أو هو أمير الحج في السنتين معاً، وهو والي البحرين، وعامل اليمن (١) وتواكبها على عهد أمير المؤمنين عليه السلام، والجود المطعم الذي شهد له الحجاج في مكة، ثم هو أسبق الناس دعوة إلى بيعة الحسن يوم بايعه الناس.

فكان - على ذلك - حرياً بهذه الثقة الغالية التي وضعها فيه ابن عمه الإمام عليه السلام (٢).

(١) وحاول بعضهم الارتباط في سوابق عبيد الله هذا، بحادثه خروجه من اليمن. ومن الحق أن نعرف بضعف حامية اليمن - يومئذ - عن الصمود لحملة بسر بن أرطأة، وكان من انشقاق بعض اليمانيين على الحكم الهاشمي ومكاتبهم معاوية وآخراً جهم أميرهم (سعيد بن نمران) من الجند وموافقتهم عاملهم (عبيد الله) ما يشهد لعبيد الله بالبراءة من موجبات الريب. ولو أن عبيد الله كان قد حاول مواجهة بسر لكان له من عثمانية اليمن من يكفي بسراً أمره، على أن الرجل لم يفعل بخروجه من اليمن أكثر مما فعله نظراؤه في مكة والمدينة، حيث فر عاملها من وجه بسر، وأغار عامل معاوية على العواصم الثلاث فقتل فيها زهاء ثلاثين ألفاً من الآمنين. وعلمنا أن عبيد الله قصد في خروجه من اليمن إلى الكوفة، ولو كان مربينا لما قصد الكوفة وعلمنا أن نمران اعتذر لأمير المؤمنين عليه السلام بقوله " إنني دعوت الناس - يعني أهل اليمن - للحرب وأجبني منهم عصابة فقاتلت قتلاً - ضعيفاً وتفرق الناس عنى وانصرفت ". أقول: أولاً - تكون تجربة ابن نمران تصحيحاً لمعذرته ابن عباس، فالرجل - في سوابقه - لا - غمز فيه، ولا - غزو إذا رضي عنه الحسن ثقة بسوابقه.

(٢) يراجع عما ذكرناه من القيادة والحركات السوقية ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٤٦ - ١٦٩) واليعقوبي (ج ٢ ص ١٩١).

وانفرد العياشي بهمما بعد ذكر القائد الثالث من قواد المقدمة، ثم قال " : وأمر الحسن عبيد الله بان يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه، فسار إلى ناحية الجزيرة - يعني بين النهرين - واقترب معاوية لما انتهى إليه الخبر بقتل على (ع) فسار إلى " الموصل " بعد قتل على بشمانية عشر يوماً والتقي العسكريان - .. أقول: والموصل هذه قرية من قرى " مسكن " دفن بالقرب منها سيدنا (محمد بن الإمام علي الهادي) كما أشار إليه الحموي في معجمه وهي غير مدينة الموصل المعروفة. ولا تناهى بين ما رواه العياشي وما رواه الآخرون من تعيين الموقع الذي نزل فيه جيش معاوية في حربه للحسن عليه السلام، فالموصل والحيوضة والجنوبية كلها من قرى " مسكن " يومئذ ولعل الجيش أشغل هذه القرى كلها فوردت أسماؤها في مختلف الروايات واقتصرت بعضها على اسم دون اسم كما ترى. ونحن إنما اخترنا ذكر " الجنوبية " دون غيرها نزولاً على تصریح قيس بن سعد فيما كتب به إلى الحسن كما سيأتي في محله.

(١٠٦)

مفاییح البحث: الإمام أمير المؤمنین علی بن ابی طالب علیهمما السلام (٣)، مدینة مکة المکرمة (٢)، مدینة الكوفة (٣)، الحج (٢)، الشهادة (٢)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهمما السلام (١)، ابن ابی الحدید المعتزلی (١)، عبد الله بن عباس (١)، قيس بن سعد

(١)، الدفن (٣)، القتل (٢)

صفحة ٩٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٧

ودعاه، فعهد اليه عهده الذي لم يرو لنا بتمامه، وانما حملت بعض المصادر صورة مختلة منه. قال فيه:

"يا ابن عم! اني باعث معك اثنى عشر الفا من فرسان العرب وقراء مصر، الرجل منهم يزيد الكتبية، فسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقيه ثقات أمير المؤمنين. وسر بهم على شط الفرات، ثم امض، حتى تستقبل بهم معاویة، فان أنت لقيته، فاحتبسه حتى آتيك، فانى على أثرك وشيكا. وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين - يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس - . وإذا لقيت معاویة فلا- تقاتلها حتى يقاتلوك، فان فعل، فقاتلها. وإن أصبت، فقيس بن سعد على الناس، فان أصيبي فسعيد بن قيس على الناس."

ولقد ترى أن الإمام الحسن عليه السلام، لم يعن في عهده إلى عبيد الله بشيء، عناته بأصحابه، فمدحهم، وأطرى بسالتهم، وأضافهم إلى أبيه أمير المؤمنين عليه السلام. وأراد بكل ذلك تغذية معنوياتهم والهاب حماستهم والتأثير على عواطفهم. ثم أمر قائد بأن يلين لهم جانبه ويسقط لهم وجهه ويفرش لهم جناحه ويدنיהם من مجلسه. وحرست هذه التعاليم على ايشار الثقة المتبادل بين القائد والجيش. وأحر بهذه الثقة - في حرب

(١٠٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، نهر الفرات (١)، سعيد بن قيس (٢)، قيس بن سعد (٢)، الحرب (١)

صفحة ٩٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٨

تعوزها النظم العسكرية التي نعرفها اليوم - أن تكون أهم عناصر القوة المرجوة للأيام السود. وجاءت جملة متعاطفة أربعاً يؤكّد بعضها بعضاً، ثم هي لا- تعنى الا- واحداً. ترى فهل لنا أن نستفيد، من هذا القصد العائد إلى التأكيد، أنها كانت تحاول بتكرارها "المؤكّد،" استصال خلق خاص في عبيد الله [القائد الجديد]؟. وفي الجيش - معه - أعلام من سرّة الناس، ومن ذوى السوابق والذكريات المجيدة، الذين لا يهضمونخلق المزهو ولا الخشونة الآمرة الناهية في الفتى الهاشمي الذي لا يزيدهم كفاءة، ولا يسبّهم جهاداً، ولا يفضلهم تقوى، ولا يكبرهم سناً (١).

وقوله له - بعد ذلك - : وشاور هذين " دليل آخر على القصد على تدليل خلق صعب، ربما كان يعهده الإمام في ابن عمه، وربما كان يخافه كعائق عن النجاح.

أقول: وليس من وجود الخلق المخشوشن في عبيد الله - إذا صدق الظن - ما يعيقه عن استحقاق القيادة، وقد استدعته إليها ظروف كثيرة أخرى، على أن بين الخشونة والحياة العسكرية أواصر رحم متينة الحلقات في القديم والحديث.

* * * وفي هذه المناسبة ما يفسح المجال للتساؤل عن الحيثيات التي آثر بها الإمام الحسن عليه السلام عبيد الله بن عباس للقيادة على مقدمته، وفي الجيش مثل (قيس بن سعد بن عبد الله الأنصاري) الرجل المعترف بكفاءاته العسكرية وإخلاصه الصحيح لأهل البيت عليهم السلام وبأمانته.

وللجواب على هذا السؤال، وجوه:

أولها: أن الحسن حين أراد عبيد الله للقيادة على "المقدمة" فرض عليه استشاره كل من قيس بن سعد وسعيد بن قيس - كما هو صريح عهده

(١) كان عيسى الله بن عياس يوم قيادته لهذا الجيش في التاسعة والثلاثين من عمره.

(1·A)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، سعد بن عبادة (١)، سعيد بن قيس (١)، قيس بن سعد (١)، التصديق (١)، الظن (١)

صفحه ۹۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٩

الى - فخرج بذلك من الايثار الذى يؤخذ عليه، إذا كان فى هذا الايثار تبعه يخاف منها على مصلحة الموقف. وأصبحت القيادة - على هذا الأسلوب - شورى بين ثلاثة، هم أليق رجاله لها. أما تقديم قيس على صاحبيه وعلى غيرهما من صحابة وزعماء، وايثاره بالقيادة وحده فقد كان - في حينه - مظنة لتنافس الأكفاء الآخرين الذين كان يلفهم جناح هذا الجيش. وفي هؤلاء الشخصيات المعروفة في قيادتها الميادين وفي اخلاقها وجهادها وسوابقها، أمثال أبي أيوب الانصاري وحجر بن عدى الكندي وعدى بن حاتم الطائي وأضرابهم، ومن مر ذكرهم.

لذلك كان تقديم ابن عم الإمام، بل ابن عم النبي صلى الله عليه وآله، وتعيينه "اسما" ثم الاستفادة من رأي قيس وصاحبه على الأسلوب الذي ذكرنا، تخلصا لقا، لا ينفع الخلاف فيه، ولا التنافر عليه.

وثانيها: انه كان من الاحتياطات الرائعة للوضع العام يوم ذاك، أن لا يكون القائد في جهة الحسن الا هاشميا.

وتفسir ذلك، أن سورة التخاذل التي دارت مع قضيئ الحسن في الكوفة، كانت لا تزال نذيره تشاوم كثير في حساب الحسن (ع)، وكان عليه أن يتخد من التدابير الممكنة كل ما يدفع عنه - في حاضره وفي مستقبله - لوم الناس وتخطتهم ونقدهم. ومن السهل على الناس أن يتسرعوا إلى التخطئة والنقد متى وجدوا موضعا للضعف أو منفذا إلى الفشل والحرمان. وكان من المنتظر أن يقولوا فيما لو فشلت قضيئ الحسن في مسكن أنه لو كان القائد من أهله لكان أولى من غيره بالصبر على المكاره وتحمل العظام، ولما آل الامر إلى هذا المآل.

فكان الاستعداد لغوايل الوضع الراهن بتعيين القائد الهاشمي، تدبيراً دقيق الملاحظة.

(1.9)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)، أبو أيوب الأنصارى (١)، مدينة الكوفة (١)، حجر بن عدى الكندى (١)، عدى بن حاتم (١)، الخوف (١)

صفحه ۹۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٠

وثلاثها: أنه لن يكون إنسان آخر غير عبيد الله بن عباس - لا قيس ولا ابن قيس ولا غيرهما - أشد حنقاً ولا أعنف تأليباً على معاويه منه كأب قتل ولداه (الصبيان) صبراً، فيما أملته فاجعة بسر بن أرطأة يوم غارته على اليمن [والقضية من مشهورات التاريخ]. فكان من الاستغلال المناسب جداً، اختيار هذا القائد الحاتق لقتال قاتل ولديه.

ورابعها: أن جيش "المقدمة" الذي ولـي قيادته عبـيد الله هذا، كان أكثرـه من بقايا الجيش الذي أـعدهـ أمـير المؤمنـين عليهـ السلامـ فيـ

الكوفة لحرب أجناد الشام، ثم توفي عنه. وكان قيس بن سعد بن عبادة هو قائد (١) ذلك الجيش في زمن أمير المؤمنين (ع) والقائم على مداراته. ولهذه السوابق أثراً في تونيق الروابط الشخصية بين القائد والمقدود. وكان من السهل على القائد النافذ في جنوده، أن يجده - متى شاء - إلى حرية التصرف التي لا تعبّر عن اتصال إيجابي بالمركز الأعلى، وهو ما كان يجب التحفظ منه، كأهم عنصر في موقف.

وعلى أننا نحترم سيدنا قيساً كما يجب له الاحترام، ولكننا لا ننكر قابلياته الشخصية التي تجده على هذا اللون من حرية التصرف. ولا ننسى أنه وقف بين صفوفه - يوم رجعت له قيادة هذا الجيش في مسكن - يخربهم بين الالتحاق بالأمام على الصلح، وبين الاستمرار على حرب معاوية بلا إمام!!..

فأى احتياط كان أحسن من جعل القيادة في غير هذا الرجل وجعله - مع ذلك - المستشار العسكري للاستفادة من كفاءاته ودهائه، وهو ما فعله الإمام الحسن تنفيذاً لأفضل الرأيين.

أقول: ولا يضر هذه السياسة، تعين قيس للخلافة على القيادة بعد

(١) تاريخ ابن كثير (ج ٨ ص ١٤) وغيره.

(١١٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، سعد بن عبادة

(١)، الشام (١)، القتل (٣)، الإختيار، الخيار (١)، الحرب (١)، الجواز (١)

صفحة ١٠٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١١

عبد الله بن عباس، لأنه لن يكون بعد مقتل سلفه في ميادين مسكن - كما كان هو المفترض في نصوص العهد - إلا رهن التصميم الذي سار عليه سلفه، والذي لا تسمح بتغييره ظروف الحرب القائمة بين الفريقين، ولعله لن يكون - يومئذ - إلا رهن توجيه الإمام (القائد الأعلى) مباشرةً، وقد علمنا - مما سبق - أن الإمام وعد مقدمته بالالتحاق بها وشيكة.

وأى محذور - بعد هذا - من تعينه للخلافة على القيادة ما دام مقيداً بتصميم خاص، أو مرتهناً بتسيير الإمام وشرافه المباشر.

عدد الجيش

(١١١)

مفاتيح البحث: الحرب (١)، القتل (١)

صفحة ١٠١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٤

كان في الكوفة من الجيش العامل في أواسط القرن الأولأربعون ألفاً، يغزو كل عام منهم عشرة آلاف (وهو ما تنص على ذكره المصادر الموثوقة).

وعلمنا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان قد أعد للكسرة على جنود الشام أربعين ألفاً أو خمسين ألفاً - على اختلاف الروايتين - ثم توفي قبل الزحف بها. والمظنون أن الحصة المدوره من الجيش العامل، كانت بعض هذه العدة التي كان أمير المؤمنين قد أعد لها لحرب معاوية.

ثم انقطع بنا العلم عن موقف هذا الجيش أو ذاك من الحسن بن علي عليهما السلام، إبان دعوته إلى الجهاد. وعلمنا من أكثر من

مصدر أن المقدمة التي بعث بها الحسن إلى لقاء معاویة في "مسکن" كانت تعدادي عشر ألفا، والمرجح أنها فلول الجيش الذي مات عنه أمير المؤمنين (ع)، فأجاب الحسن منهم من أجاب وتخلف الباقي.

ثم علمنا من مصدر آخر أن الكوفة جاشت في صميم ثاقلها يوم الحسن فجندت أربعة آلاف (١) أخرى.

فهذه ستة عشر ألفا، قام على اثباتها النص الذي لا يقبل النقاش.

وهناك أرقام أخرى لعدد الجيش، مر عليها المؤرخون وتضمنتها بعض التصريحات ذات الشأن. ولكنها خاضعة في ثبوتها للتحقيق والمناقشة.

وفيما يلى نصوص المصادر التي تشير إلى تلك الأرقام على اختلافها نعرضها أولاً بحرفها، ثم نعود أخيراً إلى تدقيقها كما يجب.

(١) الخرایج والجرایح للراوندی (ص ٢٢٨).

(١١٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (٢)، الشام (١)، الموت (١)، كتاب الخرایج والجرایح للقطب الرواندی (١)

صفحة ١٠٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٥

قال في البحار (ج ١٠ ص ١١٠):

"ثم وجه (يعنى الحسن) اليه (يعنى إلى معاویة) قائداً في أربعة آلاف، وكان من كنده، وأمره أن يعسكر بالأنبار (١)، ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره. فلما توجه إلى الأنبار، ونزل بها، وعلم معاویة بذلك، بعث إليه رسالة، وكتب إليه معهم: إنك إن أقبلت إلى، أوليك بعض كور الشام والجزيرة، غير منفس عليك. وأرسل إليه بخمسة الف درهم. فقبض الكندي المال، وقلب على الحسن، وصار إلى معاویة في مائة رجل من خاصته وأهل بيته. بلغ ذلك الحسن فقام خطيباً وقال: هذا الكندي توجه إلى معاویة، وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرة بعد مرأة، انه لا - وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه، وانى أعلم انه سيفعل بي ويكم، ما فعل صاحبكم، ولا يراقب الله في ولا فيكم. فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف. وتقصد إليه بمشهد من الناس وتوكل عليه، وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي. فحلف له بالآيمان التي لا تقوم لها الجبال انه لا يفعل. فقال الحسن: انه سيغدر. فلما توجه إلى الأنبار، أرسل إليه معاویة رسالة وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه وبعث إليه بخمسة آلاف (ولعله يريد خمسة الف) درهم، ومناه أى ولاء أحب من كور الشام والجزيرة، فقلب على الحسن، وأخذ طريقه إلى معاویة، ولم يحفظ ما أخذ عليه من عهود. ..

ثم ذكر بعد هذا العرض، اتخاذ الحسن النخلة مسكنراً له، ثم خروجه إليها.

* * *

(١) مدينة كانت على الفرات (غربي بغداد) تبعد عنها عشرة فراسخ سميت بذلك لأنها كانت تجمع بها أنابير الحنطة والشعير منذ أيام الفرس، وأقام بها أبو العباس السفاح العباسي إلى أن مات، وجدد بها قصوراً وأبنية، ثم اندثرت عماراتها.

(١١٥)

مفاتيح البحث: الشام (٢)، نهر الفرات (١)، مدينة بغداد (١)، الموت (١)، القمح، الحنطة (١)، الشعير (١)

صفحة ١٠٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٦

٢ - قال ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٤):

"وخرج الناس، فعسّكروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن إلى المعسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحرت بن عبد المطلب وأمره باستحثاث الناس واسخاصلهم اليه. فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى يلائم المعسكر. وسار الحسن في عسّكر عظيم وعدة حسنة، حتى نزل دير الرحمن، فأقام به ثلاثة حتى اجتمع الناس. ثم دعا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، فقال له: يا ابن عم انى باعث معك اثنى عشر الفا من فرسان العرب وقراء مصر.." .

٣ - روى الزهرى فيما ينقله عنه ابن جرير الطبرى (ج ٦ ص ٩٤) قال:

"فخلص معاوية حين فرغ من عباد الله بن عباس والحسن عليه السلام إلى مكايده رجل هو أهم الناس عنده مكايده، ومعه أربعون ألفا. وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام."

٤ - وجاء فى كلام المسيب بن نجية فيما عاتب به الإمام الحسن على صلحه مع معاوية (على رواية غير واحد من المؤرخين) - والنص للمدائى (١) كما يحدّثنا عنه فى شرح النهج (ج ٤ ص ٦) - قال:

"قال المسيب بن نجية للحسن عليه السلام: ما ينقضى عجبى منك صالحت معاوية ومعك أربعون ألفا! أو قال: "بايعت" على اختلاف النقول.

(١) هو أبو الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف البصري الأصل. سكن المدائى ثم انتقل إلى بغداد وتوفي بها سنة ٢١٥ وهو الذى يكثر ابن أبي الحديد النقل عنه فى شرح النهج. وله ما يقرب من مائى كتاب فى مختلف الموضوعات رحمه الله.

(١١٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٢)، ابن أبي الحديد المعتزلى (٢)، نوفل بن الحرت بن عبد المطلب (١)، مدينة الكوفة (١)، عبد الله بن العباس (١)، الشام (١)، الحسن بن محمد بن عبد الله (١)، مدينة بغداد (١)

صفحة ١٠٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٧

٥ - قال ابن الأثير فى كامله (ج ٣ ص ٦١):

"كان أمير المؤمنين على قد بايعه أربعون ألفا من عسّكره على الموت، لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل السام. في بينما هو يتوجه للمسير قتل عليه السلام وإذا أراد الله أمرا فلامر له. فلما قتل وبابع الناس ولده الحسن بلغه مسیر معاوية في أهل الشام اليه، فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليا، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية - وكان قد نزل مسكن - فوصل الحسن إلى المدائى، وجعل قيس بن عبادة الأنصارى على مقدمته فى اثنى عشر الفا، وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله (١) بن عباس، فجعل عبد الله بن عباس على مقدمته فى الطلائع قيس بن سعد بن عبادة..." .

أقول: وجرى على مثل هذا الحديث "ابن كثير" والظاهر انه اخذه من الكامل حرفيًا.

٦ - كلمة الحسن عليه السلام فيما يرويه عنه المدائى (٢) في جواب الرجل الذي قال له: "لقد كنت على النصف بما فعلت،"؟ قال: "أجل ولكنني خشيت أن تأتى يوم القيمة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا تشخب أوداجهم، كلهم يستعدى الله، فيم هريق دمه."

٧ - ما رواه ابن قتيبة الدینوری فی الإمامة والسياسة (ص ١٥١) قال:

وذکروا انه لما تمت البيعة لمعاوية، وانصرف راجعا إلى الشام أتاه

(١) هو عباد الله لا عبد الله ولا قيس كما ذكرنا آنفا ونبهنا على بواحث الخطأ في ذكر كل منهم.

(٢) شرح النهج (ج ٤ ص ٧)، وابن كثير (ج ٨ ص ٤٢).

(١١٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، عبد الله بن عباس (١)، يوم القيمة (١)، مدينة الكوفة (١)، ابن الأثير (١)، قيس بن عبادة (١)، سعد بن عبادة (١)، الشام (٢)، القتل (٢)، الموت (٢)

صفحة ١٠٥

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٨

- يعني أتى الحسن - سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس الله أبوك. قال: فجلس سليمان وقال: أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من يعتك معاوية، ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز!!

أقول: وروى كل من المرتضى في "تنزيه الأنبياء"، وابن شهرآشوب في "مناقب" والمجلسي في "البحار" النص الكامل لما دار بين سليمان بن صرد ورفاقه، وبين الحسن عليه السلام. ولم يرو أحد منهم عن سليمان أو أصحابه فيما عرضوا له من عدد الجيش، أكثر منأربعين الفا.

فابن قتيبة ينفرد برواية المائة ألف عن سليمان، كما ينفرد بالتعبير عن الصلاح بلفظ "البيعة!"

٨- التصریح الذي فاه به زياد ابن أبيه، يوم كان لا يزال عاملاً للحسن بن على على فارس، وذلك فيما أجاب به على تهدید معاوية إياه، قال:

"ان ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، وبقية الأحزاب، كتب يتوعدنى ويتهددنى، وبينى وبينه، ابنا رسول الله فى تسعين الفا (وعلى رواية فى سبعين الفا) واضعى قبائع سيوفهم تحت أذفانهم، لا يلتفت أحدهم حتى يموت. أما والله لئن وصل إلى ليجدنى أحمز ضربا بالسيف (١.)"

المناقشة:

وهكذا توفرت هذه النصوص بمختلف صيغها، على أرقام فرضتها في

(١)اليعقوبي (ج ٢ ص ١٩٤)، وابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٦). ورواه الأول بتسعين الفا، والثانى بسبعين الفا.

(١١٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٢)، سليمان بن صرد الخزاعي (٢)، مدينة الكوفة (١)، العلامة المجلسي (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، مدينة البصرة (١)، ابن شهرآشوب (١)، الموت (١)، القتل (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٠٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١١٩

موضوع عدد الجيش، وتدرج العدد الكبير فيها من أربعين الفا إلى ثمانين الفا فمائة الف.

والواقع أن المراتب الثلاث بجملتها، معرضة للشك وخاضعة للتحقيق، وحتى أدناها. واليك البيان:

اما أولاً: فالعدد الاعلى (وهو مائة الف أو أكثر، أو تسعون الفا) فيما يشير اليه زياد ابن أبيه (على رواية العياشي)، أو فيما ينسب إلى سليمان بن صرد (برواية ينفرد بها الدينوري خلافاً لمؤرخين كثرين) مشكوك فيه من جهات:

أهمها أن كلا من هذين الزعيمين - سليمان وزياد - كانا غائبين عن بيعة الحسن وجihad الحسن وكوفة الحسن، طيلة خلافته في الكوفة وكانت قد غادرا مواطنهما في العراق منذ ستين (١). وأى قيمة لتصريح غائب لم يشهد الوضع السائد في الكوفة، بما كان يحتاج هذه الحاضرة من تحزب قوى وتنافل لثيم فيما واجهت به إمامها وصاحب بيعتها.

وان زيادا وسليمان إذ يفرضان هذه الأعداد من الجيش فإنما يقيسان حاضر الكوفة على ماضيها، ويظنان أنها جندت مع الحسن ما كانت تجنه مع أبيه أمير المؤمنين سنة ٣٧ و ٣٨ يوم كان كل منهما لا يزال في الكوفة يساهم بنصيبيه من تلك الصفوف. هذا أولا. وأما ثانيا، فقد كان من موقف الرجلين كليهما في اللحظة العاطفية التي إندفعا بها إلى هذا التصريح، ما يبرر لهما الجنوح إلى أسلوب المبالغات، وكانت المبالغة في عدد الجيش تهويلا قريب التناول من جموح العاطفة الناقمة في سليمان، وهو ينكر على

(١) صرح بغياب سليمان بن صرد عن الكوفة كل من ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، والمرتضى في تزييه الأنبياء ونص فيه على غيبته ستين. وأما زياد فكان والي فارس من سنة ٣٩ بعثه إليها عبد الله بن عباس وهو إذ ذاك والي البصرة. وكان زياد قبل سنة ٣٩ في البصرة كما صرح به الطبرى في حوادث ٣٩.

(١١٩)

مفاتيح البحث: دولة العراق (١)، سليمان بن صرد الخزاعي (٢)، مدينة الكوفة (٦)، الشهادة (١)، عبد الله بن عباس (١)، مدينة البصرة

(٢)، البعث، الإبعاث (١)

صفحة ١٠٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٠

الامام الحسن عليه السلام الرضا بالصلح، و قريب التناول - كذلك - من سياق التهديد والوعيد في زياد وهو يرد في خطابه على تهديد معاوية.

وبعد هذا كله، فليس في هذين التصريحين ما يصح الركون إليه من احصاء أو تعين أعداد. وعلمنا ان سليمان هذا، كان صديق المسيب بن نجية وصاحب الذي تربطه به وشائج أخرى هي أبعد أثرا من الصداقات الشخصية. وقد مر عليك في النص [رقم ٤] قول المسيب للحسن في معرض العتاب على الصلح " ومعك أربعون الفا." ومن المقطوع عليه أن مثل هذين الصديقين لا يختلفان في قضيائهما أهل البيت (ع) اختلافهما في هذا التقدير.

أذا، فما من سبب لشنوذ كلمة ابن صرد، الا كون راويها الدينوري الذي انفرد في قضيئ الحسن بعدة روايات لم يهضمها التمحص الصحيح!

وشاءت المقادير أن لا يفارق الزعيمان الصديقان الدنيا، حتى يأخذا جوابهما - عمليا - عن عتابهما الطائش الذي قابل به إمامهما أبا محمد عليه السلام، فيما أنكرا عليه من الصلح.

فبایعهما على الاخذ بثار الحسين عليه السلام سنة ٦٥ هجري ثمانية عشر الفا من أهل الكوفة، ثم لم يكن معهما حين جد الجد في ساحة "عين الوردة" غير ثلاثة آلاف ومائة. ومنها من خذلان الناس بما ذكرهما بالصميم من قضيائهما أهل البيت عليهم السلام. ثم استشهاد سليمان والمسيب وهما زعيما حركة التوابين في عين الوردة، واستشهد معهما - يوم ذاك - أكثر من كان قد انضوى إليها. وأما ثانيا: فالعدد ثمانون الفا أو سبعون الفا، وهو ما تضمنه كلام الحسن في جواب الرجل الذي قال له "لقد كنت على النصف فما فعلت."؟

وكلام الحسن - في حقيقته - لا يدل على أكثر من عشرين الفا على

(١٢٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلی الله علیه وآلہ (۲)، الإمام الحسين بن علي سید الشہداء (علیهمما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن علي المجتبی علیهمما السلام (۱)، مدینة الكوفة (۱)، صلح (یوم) الحدبیة (۳)، الشہادة (۱)

صفحة ١٠٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢١

أكبر تقدير، وذلك لأن الحسن حين يذكر الذين "تشخب أوداجهم يوم القيمة" ثم يتعدد في تعين عددهم بين السبعين والثمانين ألفاً، لا يعني جنوده خاصةً، وإنما يشير بذلك إلى الجيدين المتحاربين جميعاً. وعلمنا أن عدد أهل الشام في زحفهم على الحسن، كان ستين ألفاً، فيكون الباقى عدد جيشه الخاص.

وكان تردده في تعين العدد صريحاً بما أفردناه، لأنه لو عنى جيشه دون غيره، لذكره برقمه الذي لا تردد فيه، وهو أعلم الناس بعده. وأما ثالثاً: فالعدد أربعون ألفاً، وهو الذي سبق إلى ذكره غير واحد من المؤرخين، وذكره المسيب بن نجية، فيما رويناه عنه في النص الرابع من النصوص الشمانية. ولا كلام لنا على هذا العدد إلا من وجهين.

(أحدهما) أنه لا يتفق وكلمة الحسن نفسه التي أشار بها إلى عدد الجيش، وقد عرفت أن كلمته لم تعن أكثر من عشرين ألفاً على أكبر تقدير، ولا يتفق وكلمة الأخرى التي وصف بها موقف الناس منه [بالنكول عن القتال (۱)]. ومن كان معه أربعون ألفاً لم ينكّل الناس معه عن القتال، فالعدد إذا لا يزال معرضًا للشك.

(وثانيهما) أنه عدد أملأه الظن على القائلين به، فرأوا أن أمير المؤمنين (ع) كان قد جهز لحملته الأخيرة على الشام أربعين ألفاً، ثم احترمت حياته الكريمة ولما يزحف بها الجيش، فظنوا - اجتهاذا - أن جنود الأئب انصافت إلى ابنه، وفاتها أن يقدروا حيال هذا الظن قيمة التخاذل الذي جوبه به الخليفة الجديد في الكوفة.

وبعد، فأى قيمة للاحصاء مبنياً على هذه الأخطاء.

وكانت أغرب روايات الموضوع، رواية الزهرى التي تشير إلى وجود (۱) وذلك فيما أجاب به بشير الهمданى وهو أحد وجوه شيعته في الكوفة، البحار (ج ۱۰ ص ۱۱۳).

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب علیهمما السلام (۱)، يوم القيمة (۱)، مدینة الكوفة (۲)، يوم عرفة (۱)، الشام (۲)، الكرم، الكرامة (۱)، الظن (۲)، القتل (۲)

صفحة ١٠٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٢

أربعين ألفاً من جيش الحسن، مع قيس بن سعد بن عبادة الأنباري، بعد أن رجعت إليه قيادة المقدمة في "مسكن" بفار عبيد الله ومن معه. ومعنى ذلك أن مقدمة الحسن وحدها كانت قبل حوادث الفرار ثمانية وأربعين ألف مقاتل!! وهذا ما لا يصح في التاريخ.

فلم تكن المقدمة إلا اثنى عشر ألفاً، منذ كان عليها عبيد الله بن عباس كما هو صريح الفقرة التي تخص العدد فيما عهد به الحسن إلى قائده، حين سرحه على رأس هذه المقدمة، وصريح نصوص كثيرة للمؤرخين لا يتخللها شك.

وروايات الزهرى في قضيائياً أهل البيت أضعف الروايات، وأشدتها إرباكاً لموضوعاتها. وسمّه صاحب "دراسات في الإسلام" (ص ۱۶) بأنه كان "عاملاً مأجوراً للأمويين" وكفى.

على اننا إذا حاولنا التصرف في رواية الزهرى هذه وأردنا علاج إرباكها المقصود، فأرجعنا الضمير في قوله " وقد نزل معاویة بهم وعمرو وأهل الشام " إلى جيش قيس، يكون المعدود حينئذ جنود معاویة التي نزل بها على قيس، ول يكن المقصود منهم " أهل العطاء خاصة " ول يكن المقصود من " أهل الشام " المتطوعين غير أهل العطاء، ليتم بذلك التوفيق بين روایته هذه والروايات الأخرى التي تعد مقدمة الحسن، والتي تعد جنود معاویة.

واما رابعا: فالعسكر العظيم، وهو تصريح ابن أبي الحديد فيما وصف به مسیر الحسن من النخلة صوب دير عبد الرحمن في طريقه إلى معسكراه. والكلمة كما ترى، مجملة لا تأبى الانطباق على العدد الذي ذكرناه آنفا، فان ستة عشر ألفا " عسكر عظيم، " وان أبى فعشرين ألفا.

واما خامسا: فرواية البحار، وهي أولى النصوص التي أوردناها في سبيل استيعاب (١٢٢)

مفاتيح البحث: ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، سعد بن عبادة (١)، النشام (٢)، القتل (١)

صفحة ١١٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٣

ما روی في الموضوع، وان لهذه الروایة من التناقض في حوادثها المتكررة ما يفرض الشك بها فرضا.

وهي تغفل عند عرضها الحوادث المشابهة تسمية كل من القائدين - الكندي والمرادي - اللذين تفرض أنهما سبقا عبيد الله بن عباس إلى لقاء معاویة وسبقاه إلى الخيانة أيضا. ولا يعهد في تاريخ قضية من هذا الوزن، اغفال تسمية قائدين في حادثتين من أبشع حوادث الانسان في التاريخ.

ولعل الأغرب من ذلك، ان رواية البحار هذه تشير إلى اصرار الامام على اتهام القائدين قبل بعثهما، ثم تصر على ان الامام بعثهما - مع ذلك - إلى لقاء معاویة عالما بما سيصيران اليه من غدر!!.

وبعض هذا يكفيانا عن الاستمرار في نقاش هذه الروایة التي يجب أن نتركها لتعلن هي عن نفسها.

* * * أقول:

ولم نحصل - بعد هذا كله - على محصل في الموضوع الذي أردناه تحت عنوان " عدد الجيش " ولتكن هذه النصوص - على كثرتها - أحد أمثلتنا التي نقدمها للقارئ عما نكتب به قضية الحسن في التاريخ، من اختلاف كثير واختلاف صريح، ولا بد في تقرير هذه الحقيقة وتكرارها وتعظيم خطرها وانكارها والتبني إلى تبعاتها. فهذه ثمانية نصوص، ليس فيها ما يصبر على النقاش، ولا ما يصح الاعتماد عليه كسند تاريخي.

ولم يبق لدينا الا عدد جيش المقدمة، وهو اثنا عشر ألفا، وعدد المتطوعين بعد ذلك في الكوفة، وهو أربعة آلاف، ثم الفصائل التي تواردت على الحسن في دير عبد الرحمن حين أقام بيازاته ثلاثة - كما أشير إليه آنفا - فهذه قرابة عشرين ألفا، هي جيش الحسن عند زحفه إلى معسكريه في مسكن والمدائن.

اما مقاتلء المدائن نفسها، فقد عرفنا انها لم تختلف - فيما سبق - عن (١٢٣)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، الصبر (١)

صفحة ١١١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٤

ميادين على عليه السلام، ومن بعيد جداً إن يعسر ابنه الحسن بين ظهرانيهم ثم لا يتحقق به القادرون منهم على حمل السلاح. وهذا ما يؤكّد الظن ببلوغ عدد الجيش في كلاً المعسكرين العشرين ألفاً أو يزيد قليلاً.

وهو "العسكر العظيم" الذي عناه ابن أبي الحديد، وهو - أيضاً - العدد الذي يتقدّم بتصريح الحسن عليه السلام - الانف الذكر - ولا أحسن من تصرّيف الحسن دليلاً فيما يخصّ قضيّاه.

ثم لا نعلم أنّ الحسن عليه السلام، تلقى بعد وجوهه في المدائن أيّ نجدة من أيّ جهة.

عناصر الجيش

(١٢٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٢)، ابن أبي الحميد المعترض (١)، الظن (١)

صفحة ١١٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٥

قال المفيد في الإرشاد (١٦٩): وبعث الحسن حجر بن عدي فأمر العمال - يعني أمراء الأطراف - بالمسير، واستنفر الناس للجهاد، فشققاً عنده، ثم خفوا، وخف معه أخلاق من الناس، بعضهم شيعه له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤذنون قتال معاویة بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطعم بالغائم، وبعضهم شراك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين.. (١.)

أقول: علمنا مما سبق قريباً أن جيش الحسن تألف من زهاء عشرين ألفاً، أو يزيد قليلاً، ولكن لم نعلم بالتفصيل الطريقة التي اتخذت لتأليف هذا الجيش. والمعتقد أنها كانت الطريقة البدائية التي لم تدخلها التحسينات المكتسبة بعد ذلك. وهي - إذ ذاك - الطريقة المتبعة في التجمعات الإسلامية مع القرون الأولى في الإسلام، وهي الطريقة التي لا تشرط لقبول الجندي أو لقبول المجاهد أي قابلية شخصية، ولا سناً خاصة، ولا تنزع في مناهج تجنيدها إلى الاجبار بمعناه المعروف اليوم. وللمسلم القادر على حمل السلاح وزعه الدينى حين يسمع داعي الله بالجهاد فاما ان يبعث فيه هذا الوازع، الشعور بالواجب فيستطيع بدمه في سبيل الله. واما ان يكون المغلوب على أمره بداعي الدين، فيخدم في نفسه هذا الشعور، ويحرم نصيه من الاجر ومن الغنيمة إذا قدر لهذه الحرب الظرف والغائم.

اما النظم الحديثة المتبعة اليوم في الاجبار على خدمة العلم، ودعوة (مواليد) السنوات المعينة، وفحص القابليات المحدودة، فلم تكن يومئذ

(١) وروى هذا النص الأربلي في كشف الغمة (ص ١٦١) والبحار (ج ١٠ ص ١١٠).
(١٢٥)

مفاتيح البحث: كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، حجر بن عدي الكندي (١)، سبيل الله (١)، البعث، الإنبعاث (١)، القتل (١)، الحرب (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)

صفحة ١١٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٧
ولا هي مما يتفق والتشريع الإسلامي بسعته وسماحته.

وللإسلام اعتداده بصححة حقائقه التي تكفل له ببعث الناس إلى الطاعة والانقياد. وليس في عناصر هذا الدين إكراه أحد على الطاعة بالقوية. ولكنه دلهم على السبيلين وأعان على خيرهما بالهدى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" وكان هذا هو شعار الإسلام في جميع ما أمر به أو نهى عنه.

وعلى ذلك جرى رؤساء المسلمين فيما دعوا الناس إليه، وفيما حذروا الناس منه. وكان لهم عند اعتمامهم الحرب، دعاوتهم الرائعة، في التحرير على الجهاد، وأساليبهم المؤثرة التي لا تتأخر - غالباً - عن إقناع أكبر عدد من المطلوبين إلى حمل السلاح.

فمن ذلك، أنهم كانوا يزيدون في مخصصات أهل العطاء من مقاتلتهم، ويأمرون عمالهم على البلاد فيستنفرون الناس للجهاد، ويبثون ألسنتهم وخطبائهم وذوى التأثير من رجالهم لبعث الناس إلى التطوع في سبيل الله عز وجل.

وفعل الحسن عليه السلام كل ذلك منذ ولى الخليفة في الكوفة، ومنذ أعلن النفير للحرب. وكان من أولياته - كما أشير إليه آنفاً - انه زاد المقاتلة مائة مائة، وبعث حجر بن عدى إلى عماله يندهم إلى الجهاد، ونهض معه مناطقته الأفذاذ من خطباء الناس أمثال عدى بن حاتم، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة التميمي، وقيس بن سعد الأنباري. فأنبوا الناس (١)، ولا موهם على تناقلهم، وحرضوهم على إجابة داعي الله، ثم تسابقوا بأنفسهم إلى صفوفهم في المعسكر العام، يغلبون الناس عليه.

ونشرت الولية الجهاد في "أسباع الكوفة" وفي مختلف مرافقها العامة، تدعو الناس إلى الله عز وجل، وتدين بالطاعة لآل محمد عليهم السلام.

(١) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٤).

(١٢٧)

مفاسيد البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٢)، حجر بن عدى الكندي (١)، عدى بن حاتم (١)، سبيل الله (١)، معقل بن قيس (١)، قيس بن سعد (١)، القتل (١)، الحرب (١)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)

صفحة ١١٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٨
وانبعث في الحاضرة المتاخذة وعي جديد يشبه أن يكون تحمساً بالواجب، أو استعداداً له.
وكان التناقض عن الحرب حباً بالعافية أو انصرافاً بدعاوات الشام، قد أخذ حظه من أهل الكوفة وممن حولها.
اما هذا الوعي الجديد الذي يدين لهؤلاء الخطباء المفوهين، فلم يلبث أن بعث في كثير من المتناقضين رغبة، فأثارت الرغبة نشاطاً فانيقاً من النشاط حماس.

ونجحت دعاؤه الشيعية إلى حد ما، في اكتساب العدد الأكبر من المتهمسين للحرب، رغم المواقف اللئيمة التي وقفها يومئذ المعارضون في الكوفة "ونشط الناس للخروج إلى معسكرهم (١)".

ونجحت - إلى حد بعيد - في اكتساب الرأي العام، في الكوفة وأسبابها وقبائلها، وفي الضواحي القرية التي لا تنقطع بمواصلاتها اليومية، عن أسواق الكوفة، وعن مراكز القضاء والإدارة فيها.

وكان من براعة خطباء الحسن، أنهم أحسنوا استغلال الذهنية المؤاتية في الناس، فبذلوا قصارى امكانياتهم في الدعوة إلى أهل البيت تحت ستار الدعوة للجهاد.

وباحت حناجر الأولياء، فيما يعرضون من مناقب آل محمد ومثالب أعدائهم. ومرروا على مختلف نوادي الكوفة وأحيائها وأماكنها

العامة، ينبهون الناس إلى المركز الممتاز الذي ينفرد به سيدا شباب أهل الجنة اللذان لا يعدل بهما أحد من المسلمين، والى الصلاة الدينية المركزة الموروثة في أهل بيته، والمزايا التي يستأثر بها هذا الفخذ من هاشم في العلم والطهارة والزهد بالدنيا والتضحية في الله والعمل لصلاح الأمة ووجوب الموعد على المؤمنين.

(١) نص عبارة ابن أبي الحديد في الموضوع (ج ٤ ص ١٤).

(١٢٨)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٥)، الشام (١)، الحرب (١)، الزهد (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)

صفحة ١١٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٩

ثم ذكروا البيعة وما الله سائلهم عنه من طاعة أولى الأمر ووجوب الوفاء بالميثاق.

وعرضوا في حماستهم إلى الأنساب، فإذا هي "مقامة" ظريفة جداً وصادقة جداً ومؤثرة جداً، ملكت الألباب حتى أذهلت وأثارت الاعجاب حتى أدهشت.

ذكروا الحسن ومعاوية فقالوا: أين ابن على من ابن صخر، وابن فاطمة من ابن هند، وأين من جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممن جده حرب، ومن جدته خديجة ممن جدته فتيل؟؟.. ولعنوا أخمل الرجلين ذكرها، وألامهما حسباً، وشرهما قديماً وحديثاً، وأقدمهما كفراً ونفاقاً، فتح الناس قائلين آمين آمين. ثم جاءت بعدهم الأجيال، فما استعرض هذه الموازنة الظريفة مسلماً من المسلمين، إلا سجل على حسابه (آمين) جديدة.

و عملت هذه الأساليب الحكيمية، والخطب الحماسية البليغة عملها وانتشرت - كما قلنا - القناعة بخذلان الشام والثقة بظفر الكوفة. وفي الكوفة، وهي الحاضرة الجديدة الجبارية التي طاولت أهم الحواضر الإسلامية الكبرى - يومئذ - أجناس من الجاليات العربية وغير العربية ومن حمراء الناس وصفرائهم وممن لم يرضهم الإسلام ولم يجد لهم اعتماده توجيهها جديداً، ولا أدباً إسلامياً ظاهراً، إلا أن يكونوا قد أنسوا منه وسليته إلى منافعهم العاجلة. فكان هؤلاء لا يفهمون من الجهاد إذا نودي بالجهاد إلا دعوته للمنافع ووسيلته إلى الغائم. ورأوا من انتشار القناعة بنجاح هذه الحرب، أن الالتحاق بجيش الحسن (عليه السلام) هو الذريعة المضمونة إلى استعمال المنافع والرجوع بالغائم، فلم لا يكونون من السابقين الأولين إلى هذا الجهاد؟.

ولعلك تتفق معـيـ الآـنـ،ـ عـلـىـ اـكـتـشـافـ الـحـوـافـزـ الـتـىـ اـنـدـفـعـتـ تـحـتـ تـأـثـيرـهـاـ "ـالـأـخـلـاطـ الـمـخـلـفـةـ"ـ مـنـ رـعـاعـ النـاسـ إـلـىـ الـالـتـحـاـقـ بـجـيـشـ الـحـسـنـ،ـ إـذـاـ بـأـصـحـابـ الـفـتـنـ،ـ وـأـصـحـابـ الـطـمـعـ بـالـغـنـائـمـ،ـ وـأـصـحـابـ الـعـصـبـيـاتـ الـتـىـ لـاـ

(١٢٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (٢)، الشام (١)، الحرب (٢)، القناعة (٢)، الغنيمة (١)

صفحة ١١٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٠

ترجع إلى دين، والشكاك و من إليهم - جنود متطوعون في هذا الجيش، أبعد ما يكونون في طماحهم وفي طباعهم عن أهدافه وغاياته.

ولم يكن ثمة في نظم التجنيد المتبعة في التجمعات الإسلامية يومئذ - كما بينا آنفاً - ما يحول دون قبول هؤلاء كجنود أو

كمجاهدين، لأن الكفاءة الإسلامية، والقدرة على حمل السلاح، هي كل شيء في حدود قابلات المجاهد المسلم.

* * * واما الخوارج، فيقول المفید رحمه الله في تعليل التحاهم بجيش الحسن "انهم كانوا يؤثرون قتال معاویة بكل حيلة."

ولكننا لا نؤمن بهذا التعليل على اجماله، ولا ننكره على بعض وجوهه وقد يكون ما يقوله المفید بعض هدفهم، وقد يكون هدفهم شيئا آخر غير هذا.

وليس فيما نعهد من علاقات "الخوارج" مع الحسن وأبي الحسن عليهما السلام ما يشجعنا على الظن بالحسن بهم، وإن لنا من دراسة أحداث النهروان ما يزيدنا فيهم ريبة على ريب. وإذا صاح أنهم إنما أرادوا قتال معاویة حين تبعوا الحسن، وأنهم كانوا لا يقصدون بالحسن سواء، فأين كانوا عن معاویة قبل ذلك، ولم لم يتأنّوا عليه كما كانوا يتأنّون على عليه السلام في انتفاضاتهم التي حفظها التاريخ؟..

وكان للخوارج من ذحولهم القريبة العهد، ومن أسلوب دعاوایهم النكراه ما يحفزنا حفزا إلى سواء الظن بما يهدفون إليه في خروجهم مع الحسن عليه السلام.

وعلمنا من أحوالهم قبل خروجهم لهذه الحرب، أنهم كانوا يداهبون الناس ويجالبون الحسن، بعد وقيعتهم الكافرة بالأمام الراحل عليه السلام، يتقوون بذلك غوايل الكراهة العامة التي غمرتهم في أعقاب الفاجعة الكبرى.

أفلا يقرب إلى الذهن، أن يكون من جملة أساليب دهائهم الذي اضطروا إليه تحت ضغط الظروف الموقته، ان يتظاهروا بالتطوع في الجيش

(١٣٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (٢)، الخوارج (٣)، الظن (٤)، الهدف (٥)، القتل (٦)، الحرب (٧)

صفحة ١١٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣١

كما لو كانوا جنوداً مناصحين، وإن يبطنوا من وراء هذا التظاهر مقاصدهم فإذا هم جنود مبادئهم المعروفة بل مبادئهم المبطنة التي لم تعرف لحد الآن.

وكان فكرة "الخروج" بذرء خبيثة انبثقت عن قضية التحكيم بصفين، ومنها سموا "المحكمة"، ورسخت جذور هذه الفكرة كعقيدة مكينة في نفوس هؤلاء، واستطالت بمرور الزمن، فبسقت عليها أشجار أثمرت للمسلمين ألواناً من الخطوب والنكبات. وكان الخوارج على ظاهرتهم المخشوشه في الدين، قوماً يحسنون المكر كثيراً.

فلم لا يغتنمون ظروف الحرب القائمة بين عدوين كبيرين من أعدائهم؟. ولم لا - يكونون في غمار هذا الجيش الزاحف من الكوفة يقتنصون الفرص المؤاتية، بين تجهيزات المجاهدين، والحرکات السوقية، والمعارك المتتظرة التي ستكون في كثير من أيامها سجالاً - والفرص في الحرب السجال أقرب تناولاً، وأيسر حصولاً، وأفظع مفعولاً، إذا حذق المتأمرون استخدامها -؟.

ولا أريد أن انكر - بهذا - عداوتهم لمعاویة واياثرهم قتاله بكل حيلة كما أفاده شيخنا المفید (رحمه الله). ولكنني أرى أنهم كانوا يرمون من خطتهم إلى غرضين ... وما من غرض للخوارج في ثوراتهم ومؤامراتهم الا - اقتناص الرؤوس العالية في الإسلام! سواء في العراق أو في مصر أو في الشام. وعششت بين ظهراني هؤلاء القوم كواطن الغيلة فغلبت على سائر مناهجهم الأخرى، فمشوا مع الحسن ولكن إلى الفتنة، وحبوا في طريق الجهاد ولكن إلى الفساد. وكانت الطعنـة المركبة الجريئة التي "أشوت" الحسن عليه السلام في "مظلم سبات" (١)، هي الحلقة الجهنمية الثانية من سلسلة جرائم هذه العصابة الخطيرة في البيت النبوى العظيم.

(١) الساباط لغة سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، وساباط قرية في "المدائن" عندها قنطرة على "نهر الملك" ولعلها انما سميت بهذا الاسم لوجود سقيفة نادرة من "السوابيط" فيها، والمظنون ان هذه السقيفة هي "مظلم سباط".
(١٣١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (١)، الشام (١)، الخوارج (٢)، القتل (١)، الحرب (٢)، السقiffe (٣)

صفحة ١١٨

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٢
وكلتا الجريمتين وليدة المؤامرات السرية النشطة التي حذفها الخوارج الطعام، في مختلف المناسبات.
وشاء الله بطشه أن لا تبلغ طعنة ابن سنان الأسدى (١) من الحسن، ما بلغته بالأمس القريب ضربه صاحبه ابن ملجم المرادي من أمير المؤمنين أبي الحسن عليه السلام.

ومثلت هذه المؤامرة الدينية أفعى قطعية لرسول الله صلى الله عليه وآله من نوعها، بما حاولته من القضاء على الإمام الثاني - سبطه الأكبر -. وازدلفت إلى معاویة بالخدمة الفريدة التي لا تفضلها خدمة أخرى لأهدافه، من القوم الذين كان يقال عنهم "انهم انما خرجوا مع الحسن لأنهم يؤثرون قتال معاویة بكل حيلة!!"

وهكذا ثبت للامام الحسن بصورة لا تقبل الشك، نيات المحكمة معه رغم مجامعتهم الكاذبة له. وكان هو منذ البداية شديد الحذر منهم ولكنه كان يعاملهم - دائمًا - على ضعن مكتوم.

وليس أنكى من عدو في ثوب صديق. ذلك هو العدو الذي ينافقك ظاهراً، ويحاربك سراً. وأنكى أقسام هذا العدو عدو يحاربك بذحوله وعصبيته كما حاربت الخوارج الحسن بذحولها وعصبيتها.

* * * وهكذا قدر لجيش الحسن عليه السلام، أن يتخم بالكثرة من هؤلاء وأولئك جميـعاً، وأن يفقد بهذا التلون المنتشر في صفوفه، روحية الجيش المؤمل لربح الواقع. وأن يبتلى بالصریح والدخـل من كيد العدوين الداخل والخارج، وفي المكانين العراق والشام معاً.
(١) ووهم حسن مراد في كتابه (الدولة الأموية في الشام والأندلس) (الباب الرابع: ص ٥٠) حيث نسب طعن الحسن عليه السلام بالخنجر إلى اتـيـاع الأمويين دون الخوارج. وستقرأ في فصل "سر الموقف" نصوص العـادـة كما يرويها مؤرخوها الـقدـاميـ وكـما يجب أن يفهمها المـحدـثـون.
(١٣٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٣)، الرسول الأـكرـم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـهـ (١)، دولة العراق (١)، ابن ملجم المرادي لعنه الله (١)، الشام (٢)، الخوارج (٣)، القتل (١)، الدولة الأموية (٢)

صفحة ١١٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٣
وآخر بجيـش يتأـلـفـ منـ أمـثالـ هـذـهـ العـانـصـرـ،ـ أـنـ يـكـونـ مـهـدـداـ لـدـىـ كـلـ بـادـرـةـ بـالـانـقـسـامـ عـلـىـ نـفـسـهـ،ـ وـالـأـنـقـاضـ عـلـىـ رـؤـسـائـهـ.
ولـمـ يـكـنـ الـجـهـادـ الـمـقـدـسـ -ـ يـوـمـاـ مـنـ الـأـيـامـ -ـ وـسـيـلـةـ لـطـعـمـ مـادـىـ،ـ وـلـاـ مـجـالـاـ لـلـمـؤـامـرـاتـ الشـائـكـةـ،ـ وـلـاـ مـظـهـرـاـ لـلـعـصـبـيـاتـ الـجـاهـلـيـةـ الـهـزـيلـةـ،ـ وـلـاـ مـسـرـحـاـ لـتـجـارـبـ الشـكـاكـينـ.
وـ"ـ اـزـادـتـ بـصـيـرـةـ الـحـسـنـ بـخـذـلـانـ الـقـوـمـ لـهـ (١ـ،ـ "ـ)ـ وـتـرـاءـىـ لـهـ مـنـ خـالـلـ ظـرـوـفـهـ شـبـحـ الـخـيـرـ الـذـيـ يـتـنـظـرـ هـذـهـ الـحـربـ فـيـ نـهاـيـةـ مـطـافـهـ،ـ

إذ كانت العدة المدخرة لها، هي هذا الجيش الذي لا يرجى استصلاحه بحال.
وأثر عنه كلمات كثيرة في التعبير عن ضعف ثقته بجيشه.
وكان من أبلغ ما أفضى به في هذا الصدد - مما يناسب موضوع هذا الفصل - خطابه الذي خاطب به جيشه في المدائن.
وقال فيه:

"وَكُنْتُمْ فِي مَسِيرِكُمْ إِلَى صَفَيْنِ، وَدِينِكُمْ أَمَامُ دُنْيَاكُمْ. وَأَصْبَحْتُمُ الْيَوْمَ وَدِنْيَاكُمْ أَمَامَ دِينِكُمْ. وَأَنْتُمْ بَيْنَ قَتِيلَيْنِ، قَتِيلٌ بِصَفَيْنِ تَبْكُونَ عَلَيْهِ، وَقَتِيلٌ بِالنَّهْرِ وَانْتَطَلُونَ (٢) بِثَارَهُ. فَأَمَا الباقيُ فَخَادِلٌ، وَأَمَا الباقيُ فَثَائِرٌ .."

وهذه هي خطبته الوحيدة التي تعرض إلى تقسيم عناصر الجيش من ناحية نزاعاته وأهوائه في الحرب.
فيشير بالباقي الثائر إلى الكثرة من أصحابه وخاصته، وبالطالب للثأر إلى الخوارج الموجودين في معسكره [وما كان ثأرهم الذي يعنيه الا عنده] ويشير بالخاذل إلى العناصر الأخرى من أصحاب الفتنة واتباع المطامع وعبدة الأهواء.
(١) نص عبارة المفید في الارشاد (ص ١٧٠).
(٢) وبرواية ابن طاووس في كتاب "الملاحم والفتنة" (ص ١٤٢ طبع النجف سنة ١٣٦٨): وقتيل بالنهر وانطلوبون منا ثاره.

(١٣٣)

مفاتيح البحث: الخوارج (١)، الجهل (١)، الحرب (٢)، كتاب الإرشاد للشيخ المفید (١)، مدينة النجف الأشرف (١)

صفحة ١٢٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٤

واستطرد التاريخ بين صفحاته أسطراً قائمةً دائمةً. بما انقاد إليه الأغوار المفتونون من هذه "العناصر،" وبما صبغوا به ميدان الجهاد المقدس - بعد ذلك - من أساليب الغدر، والخلاف، ونقض العهود، والمؤامرات، ونسيان الدين، وخفر الذمام ... حتى قد عادت بقية آثار النبوة - متمثلةً بالطيبين من آل محمد وبنيه عليهم السلام - نهباً صيح في حجراتها. ولعلنا ستأتى على استطراد صورة من هذه المأسى في محلها المناسب لذكرها من الكتاب.

تميم:

وبقي علينا أن نستمع هنا إلى ما يدور في خلد كثير من الناس حين يدرسون هذا العرض المؤسف لعناصر جيش الحسن عليه السلام، فيسألون: لماذا فسح الحسن مجاله لهذه العناصر؟ ولماذا تأخر بعد ذلك عن تصفيه جيشه بسبيل من هذه السبل التي يفزع إليها رؤساء الجيوش في تصفيه جيوشهم بقطع العضو الفاسد، أو بإدانته، أو بإقصائه على الأقل؟.
ونحن من هذه النقطة بإزاء قلب المشكلة وصميمها على الأكثر.
ونقول في الجواب على هذا السؤال:

أولاً: إن الإسلام كما الغي الطبقات فيما شرعه من شؤون الاجتماع، الغاها في الجهاد أيضاً، فكان على أولياء الأمور أن لا يفرقوا في قبولهم الجنود بين سائر طبقات المسلمين، ما دام المتطلع للجندي مدعياً للإسلام وقدراً على حمل السلاح. ولما لم يكن أحد من هؤلاء "الأخلاط" الذين التحقوا بالحسن، إلا مدعياً للإسلام وقدراً على حمل السلاح، فلا مندوحة للامام - بالنظر إلى صميم التشريع الإسلامي - عن قبوله.
(١٣٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)

صفحة ١٢١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٥

وثانياً: ان النبي نفسه صلی الله عليه وآلہ، وأمير المؤمنین أيضاً، منياف بعض وقائهم بمثل هذا الجيش، ولا يؤثر عنهمما انهمما منعوا قبول أمثال هؤلاء الجنود في صفوفهم، ولا طردا أحداً منهم بعد قبوله، مع العلم بأن كلاًّ منهما، جنى بعد ذلك أضرار وجود هذه العناصر في كل من ميدانيهما.

فقالت السير عن واقعة حنين ما لفظه بحرفه "رأى بعض المسلمين كثرة جيشهم فأعجبتهم كثتهم، وقالوا سوف لا نغلب من قلة، ولكن جيش المسلمين كان خليطاً، وبينهم الكثرون من جاء للغنية". ..

وجاء في حوادث أقفال المسلمين من غزوء بنى المصطلق ما يشعر بمثل ذلك.

وقالوا عن حروب على عليه السلام "كان جند على في صفين خليطاً من أمم وقبائل شتى، وهو جند مشاكس معاكس لا يرضخ لأمر ولا يعمل بنصيحة". ..

وقال معاوية - فيما يحكى البيهقي في "المحاسن والمساوئ": " وكان - يعني علياً عليه السلام - في أخبث جيش وأشدهم خلافاً وكانت في أطوع جند وأقلهم خلافاً".

أقول: وما على الحسن الا أن يسير بسنة جده وبيسيرة أبيه، ومن الحيف أن يطالب بأكثر مما اتى به جده وأبوه، وكفى بهما أسوة حسنة وقدوة صالحة.

وكان التحرج في الدين والالتزام بحرفية الإسلام يقيدان الحسن في كل حركة وسكن، ولكنها لا يقيدان خصومه فيما يفعلون أو يتذكرون، ولو لا ذلك لرأيت تاريخ هذه الحقبة من الزمن تكتب على غير ما تقرأه اليوم.

وثالثاً: فان معالجة الوضع بما يرجع اليه رؤساء الجيوش في تنقية جيشهم

(١٣٥)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، معركة حنين (١)

صفحة ١٢٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٦

بالقتل، أو بالاففاء، أو بالإدانة، كان في مثل ظروف الحسن تجعلاً للنكبة قبل أوانها - كما ألمحنا إليه في غمار الفصل الرابع - وسبباً مباشرًا لإثارة الشقاوة وإعلان الخلاف ورفع رأي العصيان في نصف جيشه على أقل تقدير ومعنى ذلك القصد إلى إشعال نار الثورة في صميم الجيش. ومعنى هذا أن ينقلب الجهاد المقدس إلى حرب داخلية شعواء، هي أقصى ما كان يتمناه معاوية في موقفه من الحسن وأصحابه، وهي أقصى ما يحدره الحسن في موقفه من معاوية وأحابيه.

وشيء آخر:

هو أن الحسن عليه السلام، لم يكن له من عهده القصير الذي احتوشه فيه النكبات بشتى الألوان، مجال للعمل على استصلاح هذه الألوان من الناس، وجمعهم على رأي واحد. بل إن ذلك لم يكن - في وقته - من مقدور أحد الله عز وجل، ذلك لأن الصلاح في الأخلاق ليس مما يمكن تزريقة في الزمن القليل، وإنما هو تهذيب الدين وصقال الدهر الطويل، ولأن التiarات المعاكسة التي طلت على ذلك الجيل بأنواع المغريات، حالت دون امكان الاصلاح وجمع الأهواء، الا من طريق المطامع نفسها، وكان معنى ذلك معالجة الداء بالداء، وكان من دون هذه الأساليب في عرف الحسن حاجز من أمر الله.

عبيد الله بن عباس

(١٣٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، القتل (١)، الحرب (١)

صفحة ١٢٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٨

اما ذلك القائد الملتهب بالحماسة للحرب، والموتور من معاویة ببنيه المقتولين صبرا في اليمن، فقد كان منذ انفصل بجيشه من دير عبد الرحمن، لا ينفك يتسلط أخبار الكوفة، وانه ليهدى في الكوفة دعاوتها الشيعية السائرة على وتيرها المحببة، والذاهبة صعدا في نشاطها والتي كان يتطلع من تعبيتها النجادات التي يجب أن لا تقطع عنه.

ونمى اليه، وقد انتهى إلى "مسكن" وهي النقطة التي التقى عندها الجيشان المتحاربان، أن الدعاوat النشيطة البارعة في أسبوع الكوفة لم تأمر شيئاً جديداً، الا ان تكون بعض الفصائل من مقاتلة الأطراف أو من متقطعة المدائن نفسها، قد التحقت بمعسكرها هناك.

وبلغه أن المناورات العدوة التي كان يقودها بعض الزعماء الكوفيين هي التي أحبطت المساعي الكثيرة لرجالات الشيعة، وهي التي عرقلت النفير العام بنطاقه الواسع الذي كان يتطلع نتيجة لذلك النشاط المحسوس.

ولم يكن عجيباً، ان تغطي هذه الانباء عبيد الله بن العباس فملاً اهابه ثورة على الوضع وحذراً على الناس.

وكان عليه كقائد جيش ضعف أمله بالنجادات القربيه التي كان يعلق عليها أروع آماله، أن ينتفع من هذا الدرس الذي أملته عليه ظروف الكوفة، وأن يرجع إلى قواته هذه فيوازن بها قوات عدوه التي تنازله وجهاً لوجه، والتي علم أنها لا تقل عن ستين ألفاً من أجناد الشام المعروفين

(١٣٨)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٤)، عبيد الله بن العباس (١)، الشام (١)، الوسعة (١)

صفحة ١٢٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٩

بالطاعة العميم لأمرائهم وقوادهم.

ولم يكن التفاوت بالعدد مما يستفزه كثيراً، ولكنـه كان شديد العناية بالميزات المعنوية التي يتحلى بها جنود الفريقين. وكان القائد الحرير على روحية جيشه التي هي كل ما يدخله للقاء عدوه.

ولاح له في سبيل موازنته، اشتراك "الأخلاط" من العناصر المختلفة في جيشه. وانه ليستقبل حرباً لن تجد فيها غير الكثرة المخلصة من المحاربين الأشداء، بما شأن الجماعات التي لم تفهم الجهاد الا كوسيلة للغنائم.

وتشاءم عبيد الله بن عباس، منذ الساعة الأولى التي يمم بها معسكره في "مسكن"، "تشاؤماً كان له أثره في المراحل القربيه مما استقبله من خطوات.

وكان أنكى ما يخافه على مقدرات جيشه، أن تتسلل أخبار التعبيه الفاشلة في الكوفة، أو أن تحبو إليه أحابيل معاویة بما تحمله من أكاذيب ومواعيد، وهما أولاء وقد جمعهم صعيد واحد ومشاريع واحدة وأظلتهم سماء مسكن جميعاً، وماذا يؤمنه من أن يكون مع جنوده أو من جنوده أنفسهم من هو بريء معاویة في الأفساد عليه وعلى الإمام. وكانت أسلحة معاویة (الباردة) أروع أسلحته

في هذا الميدان بل فيسائر ميادينه.

وصدق ظن عبيد الله.

فإذا باكورة دسائس معاوية تشق طريقها إلى معسكر مسكن، وفي هذا المعسكر من أصحاب الحسن مخلصون ومنافقون، وآخرون يؤثرون العافية ويتمون لو صدق الشائعة الجديدة، وكانت الشائعة الكاذبة "أن الحسن يكاتب معاوية على الصلح، فلم تقتلون أنفسكم".

(١) شرح النهج (ج ٤: ص ١٥).

(١٣٩)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، القتل (١)، الظن (١)

صفحة ١٢٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٤٠

ولم يجد ابن عباس أن يعلم هو وخاصة كذب الشائعة، واصطدامها بالواقع الذي لا يقبل الشك، لأن الحسن الذي لا يزال يشمر للحرب في رسالته إلى معاوية، وفي خطبه بالكوفة، لن يكتب في صلح ولن يتزل عن رأي ارتأه. ولكنها كانت أحجولة الشيطان الرائعة الصنع.

وارتفعت أصوات المخلصين من الأنصار، تدعى الناس إلى الهدوء، وتستمهلهم ريشما يصل بريد المدائن، ولكنها كانت صيحات في واد، ونفحات في رماد، واجتاح الموقف ارتباك مؤسف لا يناسب ساحة قتال. وتخاذل عبيد الله للخدمة الخبيثة التي أصابت المحرز من موقفه الدقيق.

فخلا بنفسه، وانقع تحت سماء خيمته البعيدة عن ضوضاء الناس. ورأى أن قيادته هذه ستطوح بمكانته العسكرية إلى بعد الحدود، فثار لسمعته وحديث الناس عنه، وندم على قبولها. وكان من دفعات الحدة التي طبع عليها، أن لعن الظروف التي عاكسته في رحلته العسكرية هذه والظروف التي خلقت منه قائدا على هذه الجبهة. ثم انطوى على نفسه تحت كابوس من القلق وحب الذات لا يدرى ماذا يصنع.

ورأى أخيرا [وكان المخرج الذي بلغته قصارى براعته] أن يتقدم باستقالته، نزولا على حكم ملوكاته الأنانية التي كان يستكين لها راغبا عامدا. وما يدرينا، فربما لم يكن له من القابليات الشخصية ما يمكنه من محاسبة نفسه والتفكير في اصلاح ما يمر به من أخطاء أو ما يفجئه من نكبات.

وكان عليه - وقد صمم على الاستقالة - أن يترك مقر القيادة إلى مصيرها الذي لا يعود رأى الإمام، أو يتخلى عنها لخلفيته وهو (قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري).

ولكنه فطن - ولما يغادر فسطاطه المترفع الذي كان يقع على جانب بعيد من مضارب جنوده، والذي شهد وحده ثورة القائد المتخاذل، وسمع (١٤٠)

مفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، سعد بن عبادة (١)، الكذب، التكذيب (١)، الشهادة (١)، القتل (١)

صفحة ١٢٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢١٨

كما احتملها ظرف أخيه الحسين، فيما كان قد اصطلاح عليه من مضائقات هي في الكثير من ملامحها، صورة طبق الأصل عن ظروف أخيه، وقد خرج منها بالشهادة دون الصلح، وكانت آية خلوده في تاريخ الإنسانية التأرة على الظلم.
إذا، فلماذا لم يفعل الحسن أولاً، ما فعله الحسين أخيراً؟.

الجبن - واستغفر الله - وما كان الحسين بأشجع من الحسن جنانا، ولا- امضى منه سيفا، ولا أكثر منه تعرضا لمهاب الأهوال. وهم الشقيقان بكل مزاياهما العظيمة، خلقا، ودينا، وتضحية في الدين، وشجاعة في الميادين، وابنا أشجع العرب، فأين مكان الجبن منه يا ترى؟.

أم لطبع بالحياة، وحاشا الإمام الروحي المعطر التاريخ، أن يؤثر الحياة، على ما ادخره الله له من الكرامة والملك العظيم، في الجنان التي هو سيد شبابها الكريم، والطليعة من ملوكها المتوجين، وما حياة متنازل عن عرشه، حتى تكون مطمعا للنفوس العظيمة التي ثبتت مع الجهاد، وترعرعت على التضحيات؟.

أم لأنه رضى معاوية لرياسة الإسلام، فسالمه وسلم له، وليس مثل الحسن بالذى يرضى مثل معاوية، وهذه كلماته التي أثرت عنه في شأن معاوية، وكلها صريحة في نسبة البغي إليه، وفي وجوب قتاله، وفي عدم الشك في أمره، وفي كفره أخيرا.

فيقول فيما كتبه إليه أيام البيعة في الكوفة "ودع البغي واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به (١)."!..

ويقول وهو يجيب أحد أصحابه العاتبين عليه بالصلح "والله لو وجدت أنصارا لقاتل معاوية ليلى ونهارى (٢)."!

(١) شرح النهج (ج ٤ ص ١٢).

(٢) احتجاج الطبرسي (١٥١).

(٢١٨)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحدبية (٢)، الكرامة (٢)، الظلم (١)، الجبن (١)، الشهادة (١)، القتل (١)، الوجوب (١)، كتاب الإحتجاج للطبرسي (١)

صفحة ١٢٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢١٩

ويقول في خطابه التاريخي في المدائن "انا والله ما يتنينا عن أهل الشام شك ولا ندم.." ..

ويقول لأبي سعيد فيما نقلناه عنه آنفا : علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبني ضمرة وبني أشجع وأهل مكة، حين انصرف من الحدبية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه "كفار" بالتأويل.

إذا، فما سالم معاوية رضا به، ولا ترك القتال جبنا عن القتال، ولا تجافي عن الشهادة طمعا بالحياة، ولكن صالح حين لم يبق في ظرفه احتمال لغير الصلح، وبذلك ينفرد الحسن عن الحسين، إذ كان للحسين محرجان ميسران من ظرفه - الشهادة والصلح - ولن يتآخر أفضل الناس عن أفضل الوسائلتين، أما الحسن فقد أغلى في وجهه طريق الشهادة، ولم يبق أمامه إلا باب واحد لا مندوحة له ومن ولو جه.

وأقول ذلك وانا واثق بما أقول.

وقد يبدو مستغربا قوله [أغلق في وجهه طريق الشهادة]، وهل شهادة المؤمن الذي نزل الله عن حقه في حياته، الا أن يقتصر الميدان مستقلا في سبيل الله، تاركا ما في الدنيا للدنيا، وبائع الله نفسه تنتشه السيف، وتنهل من دمه الأسئلة والرماح، فإذا هو الشهيد الحالد.

وكيف يغلق مثل هذا على مجاهد له من ميدانه متسع للجهاد؟. وللحسن ميدانه الذى يواجه به العدو فى "مسكن، " فلماذا لم يخف
اليه؟. ولم لم نسمع أنه وصله أو بارز العدو فيه، أو اقتحمه إقتحامه الموت، يوم ضاقت به الدنيا، فسدت فى وجهه كل باب إلا بابا
واحدا؟. وانه لو فعل ذلك، فبرز إلى ميدانه مستميتا، لاستمات بين يديه عامة شيعته المخلصين لأهدافه، فإنما كانوا يتظرون منه كلمته
الأخيرة لخوض غمرات الموت.

نعم، ومن هنا كان مهب الرياح التي اجتاحت قضية الحسن بين قضايا أهل البيت عليهم السلام، ومن هنا جاءت الشبهات التي نسجت هيكل المشكلة التاريخية التي لغا حولها اللاعنون ما شاء لهم اللغو، فزادوا (٢١٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، سبيل الله (١)، الشام (١)، الموت (٢)، الشهادة (٦)، القتل (٢)

صفحه ۱۲۸

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٠
الواقع تعقیداً وابتعاداً به عن فهم الناس.

ثم كان من طبيعة هذا اللغو - أبعد ما يكون عن التغلغل في الصميم من تسلسل الحوادث - أن يرتجل الأحكام، وأن يتناول قبل كل شيء سياسة الحسن فينجزها بالضعف، ويتناول عليها بالنقد غير مكترث ولا مرتاب.

وسرى بعد البحث، أى هاتيك الآراء مما اختاره الحسن أو مما افترضه الناقدون، كان أقرب إلى الصواب، وانفذ إلى صميم السياسة. وما كان الحسن فى عظمته بالرجل الذى تستثار حوله الشبه، ولا بالزعيم الذى يسهل على ناقدة أن يجد المنفذ إلى نقهء والمأخذ عليه. * * * وإذا قد انتهينا الآن عامدين، إلى مواجهة المشكلة فى صميمها، وبما حيك حولها من نقدات ونقمات، فمن الخير أن نسبق الكلام على حلها، باستحضار حقائق ثلاث، هن هنا أصياغ البحث التى تمتد بتدرج رقيق إلى كشف الغطاء عن السر، فإذا الموضوع كله وضوح بعد تعقيد، وعذر بعد نفمة، وتعديل بعد تجريح. الأولى، في، سان معنى، الشهادة.

والثانية في رسم صورة مصغرٌة عن الواقع الذي حاقد بالحسن في لحظاته الأخيرة في "المدائن".
والثالثة في خطوة معاوية تجاه أهداف الحسن عليه السلام.

وسيجرنا البحث إلى التلميح بحقائق تقدم عرضها في أطواء دراستنا السابقة في الكتاب، ولكن الحرص على استيفاء ما يجب أن يقال هنا، هو الذي سوغ لنا هذا التجاوز فرأيناه جائزًا.

١ - الشهادة في الله:

(۲۲۰)

^١ مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، الشهادة (٢)، الهدف (٣)

صفحه ۱۲۹

٢٢١ صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة

وهي بمعناها الذى يصنع الحياة، تضحية النفس لاحياء معروف أو إماتة منكر.

وليس منها التضحية لغاية ليست من سبل الله، ولا التضحية في ميدان ليس من ميادين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلو قتل كافر مسلما في ساحة جهاد، كان المسلم شهيدا.

ولو قتل باغ مسلما في ميدان دفاع كان المسلم شهيدا.

اما لقتل مسلم مسلما في نزاع شخصي، او قتله انتصارا لمبدأ ديني صحيح، فلا شهادة ولا مجادة، ذلك لأن الكرامة التي تواضع عليها تاريخ الإنسانية للشهيد، هي أجرة تصحيحته بروحه في سبيل المصلحة العامة فلاـ الحوادث الشخصية، ولاـ التضحيات التي تناقض المصلحة في خط مستقيم، مما يدخل في معنى الشهادة.

وقتلة أخرى، أضيع دما، وأبعد عن "الشهادة" معنى واسما، هي ميتة رئيس يثور به أتباعه وذوي الحق في أمره، فيلقونه أرضا.

والمجموع في كل مجتمع هو مصدر السلطات لكل من يتولى شيئا من أمره باسمه، وكانت هذه هي القاعدة التي بنيت عليها السلطات الجماعية في الإسلام، وعلى هذه القاعدة قال المسلم الأول لعمر بن الخطاب : لو وجدنا فيك اعواجا لقومناه بسيوفنا."

وانما كانت هذه القتلة أضيع دما، وأبعد عن الشهادة اسماء، لأن الأيدي الصديقة التي اجتمعت على إراقة هذا الدم، كانت في ثورتها لحقها، وتضافرها الناطق ببلاغة حجتها، أولى عند الناس بالعذر .. ولأن الأمة التي ولته هي التي تقيم عليه الحدود - "على حد تعبير القفال الشافعي -. -

فعثمان - مثلاـ - الذي كان ثالث ثلاثة من أكبر الشخصيات التاريخية، التي هزت الأرض بسلطانها المرهوب، مات مقتولا بسلاح الثاثرين من ذوى الحق في أمره. فلم يستطع التاريخ، ولم يوفق أصدقاؤه في التاريخ،

(٢٢١)

مفاهيم البحث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، القتل (٥)، الكرم، الكرامة (١)، الموت (٣)،
الشهادة (٤)

صفحة ١٣٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٢

أن يسجلوا له "الشهادة" كما تقتضيها كلمة "شهيد".

أما ذلك العبد الأسود الفقير، الذي لم يكن له من الأثر في الحياة، ما يملأ الشعور أو يشغل الذاكرة [جون مولى أبي ذر الغفارى]، فقد أرغم التاريخ على تقاديه، لأنه قتل في سبيل الله فكان "شهيد" بكل ما في الكلمة من معنى.

إذا، فليس من شروط الشهادة ولاـ من لوازم كرامتها، أن لا تكون إلا في العظيم، وليس من شروط العظيم إذا قتل أى قتلة كانت، ان يكون شهيدا على كل حال.

ولندع الآن هذا التمهيد لنخبو عنه إلى الموضوع الثاني، ثم لنأخذ منه حاجتنا عند اقتضاء البحث.

٢ـ صورة مصغرة عن الوضع الشاذ في المدائن:

علمنا مما سبق - وبعض الإعادة ضرورة للبحث - أن خيرة أجناد الحسن كان في الركب الذي سبقه في مقدمته إلى "مسكن" وأن الفسائل التي عسكر بها الحسن في "المدائن" كانت من أضعف الجيوش معنويا، ومن أقربها نزعة إلى النفور والقلق والانقسام. وعلمنا أنه فوجئ في أيامه الأولى من المدائن - ولما يتلق نجاته من معسكراته الأخرى - ببواشر ثلات، كانت نذر الكارثة على الموقف.

١ـ أبناء الخيانة الواسعة النطاق في "مسكن".

٢ـ الشائعـ الاستفزازـية التي ناشدت الناس بأن ينفروا، لأن قيس بن سعد - وهو القائد الثاني على جيش مسكن - قد قتل !.

٣ـ فتنة الوفد الشامي الذي جاء ليعرض كتب الخونـة الكوفـيين على الإمام، ثم خرج وهو يعلن في المعـسـكـر أنـ الحـسـنـ أـجـابـ إـلـىـ

الصلح!

(٢٢٢)

مفاتيح البحث: القتل، القتال في سبيل الله (١)، أبوذر الغفارى (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، قيس بن سعد (١)، القتل (٣)، الشهادة (٤)، الوسعة (١)

صفحة ١٣١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٣

وفي هذا الجيش - كما قدمنا في الفصل (٨) - أصحاب الفتنة، وأصحاب الطمع بالغائم، والخوارج، وغيرهم، ولم يكن لهؤلاء مرجع أخصب من هذه الفتنة التي زرعتها هذه البوادر المؤسفة الثلاث.

وجمع الحسن الناس فخطبهم وناشدهم سلاماً النية وحسن الصبر، وذكرهم بال محمود من أيامهم في صفين، ثم نعى عليهم اختلافهم في يومه منهم. وكان أروع ما أفاده الحسن من خطابه هذا، أنه انتزع من الناس اعترافهم على أنفسهم بالنكول عن الحرب صريحاً، واستدرجهم إلى هذا الاعتراف بما تظاهر به من استشارتهم فيما عرضه عليه معاوية، فقال في آخر خطابه "إلا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيف، وإن أردتم الحياة قبلناه منه وأخذنا لكم الرضا".؟ فناداه الناس من كل جانب "البقاء البقية وأمض الصلح (١.)"

أقول: وليس في تاريخ قضية الحسن عليه السلام روایاتان كثيرة رواهما حتى لقد أصبحت من مسلمات هذا التاريخ، كرواية جواب الناس على هذه الخطبة بطلب البقاء وإمساء الصلح، ورواية ثورة الناس في المدائن انكاراً للصلح والاحاجة على الحرب!!.. وليت شعرى. فأى الرأيين كان هدف هؤلاء الناس؟.

وهل هذه إلا بوادر الانقسام الذي أشرنا إليه آنفاً، بل "الفوضى" التي لن يستقيم معها ميدان حرب، والتي لا تمنع أن يكون المنادون بالصلح من كل جانب هم المنادين بالحرب أنفسهم.

وما للفوضى ودعوة جهاد وصحبة أمام؟!

وعلى أي، فقد كان هذا أحد ألوان معسكر المدائن وأحد ظواهر التلون في عساكره وتحكم العناصر المختلفة في مقدراته.

(١) ابن خلدون وابن الأثير والبحار وغيرهم - وكنا عرضنا القسم الأول من هذه الخطبة فيما روينا في تصريحات المؤرخين من هذا الفصل.

(٢٢٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (٤)، الخوارج (١)، الموت (١)، الحرب (٣)، الصبر (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٣٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٤

ولقد تدل ملامح النداء بالتكفير للحسن عليه السلام من قبل الثنائيين عليه من جنوده هناك، أنه كان لسان حال "الخوارج"، وكانت هذه هي لغتهم النابية إذا استشرى غضبهم على أحد من المسلمين أو أئمة المسلمين. وانهم إذ يستغلون هذه اللحظة، أو يبعثونها من مرقدها، فإنما كانوا يقصدون التذرع إلى أعظم جريمة في الدم الحرام، وفق مبادئهم الجهنمية التي طعن بها أحدهم الإمام الحسن في فحذه فشقه حتى بلغ العظم!.

وتدل ملامح النهب والسلب الذي مزق الستار وتناول حتى رداء الحسن ومصاته، على أنه كان عمل الفريق الآخر الذي سنته المصادر " أصحاب الطمع بالغنايم ".

ويidel طغيان الفتنة وسرعة انتشار الاضطرابات في المعسرك على أنه صنيعة " أصحاب الفتنة " الذين كان يعج بهم هذا الجيش منذ كان في الكوفة ومنذ انتقل إلى المعسكرين تحت لواء الجهاد المقدس !.

وهكذا جمحت الفتنة في المداشر جماحها الذي خرجت به من أعناء المخلصين والمنظمين، وحال الأثثرون بأحداثهم دون قيام الأقلين بواجههم، ولم يعد لهذا الجيش من الاستقرار ما يستطيع به الثبات، ولا من الأهداف إلا الأهداف الطائشة. فان لم يتثن لهم قتال معاوية فليقتلو الحسن امامهم، وان لم يبلغوا غنائم الحرب من أعدائهم فليتبلغوا بالغنايم من نهب أصحابهم، وان لم يمكنهم الفرار إلى معاوية - كما فعل أصحابهم في المعسكر الثاني - فليكتبوا إلى معاوية ليجيء هو إليهم !!!

وكان هذا هو ما حفظه التاريخ على هذه المجموعة من الناس، أما ما نسيه التاريخ أو تناساه أو حيل بينه وبين ذكره، فذلك ما لا يعلمه الا الله عز وجل .

ترى، فهل لو وضعنا معاوية مكان الحسن من هذه اللحظة أو من هذا الجيش بما لمعاوية من دهاء وسخاء، أكان يستطيع أن يخرج من مأزقه بأحسن مما خرج به الحسن مضمون السلام على مبادئه وخططه ومستقبله؟.

(٢٢٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (١)، الخوارج (١)، القتل (١)، الحرب (١)

صفحة ١٣٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٥

ولكي نزداد تحريا للأسباب التي أغفلت في وجه الحسن طريق الشهادة الكريمة، ننتقل بالقارئ إلى الموضوع الثالث من مراحل هذه الجولة الكثيبة الخطوات.

٣ - خطوة معاوية من أهداف الحسن (ع) ومات بموت عثمان لقب " الوالى " عن معاوية، ولا نعرف ما كان يجب أن يلقب به بعد ذلك، ولا نوع مسؤوليته في العرف الإسلامي. وقد علمنا أن الخليفتين الشرعيين عليا وابنه الحسن (عليهما السلام) لم يوليهما فليس هو بالوالى، وعلمنا أن الإسلام لا يتسع في تشريعه لخلفيتين في عصر واحد، فليس هو بالخليفة .
إذا، فما معاوية بعد عثمان؟ .
لا ندرى .

نعم، انه شهر السلاح في وجه هذين الخليفتين منذ عزل عن ولاية الشام، ورأينا أن التشريع الإسلامي يثبت للقائم بمثل عمله هذا، لقبا نشك أن يكون معاوية رضى به لنفسه، وهذا اللقب هو " الباغي ".

ترى، فهل كان هو يعرف لنفسه لقبا آخر غير زعامة البغاء؟ .
والمظنون أن معاوية في طموحه العتيد، لم يكن بالذى يزعجه أن يظل مجهول اللقب، أو محكوما في " الشرع " بلقب الباغي، ما دام هو في طريقة إلى غزو أكبر الألقاب بالقوة، رضى الشرع أو أبي. فهو الملك - بعد ذلك - على لسان سعد بن أبي وقاص، وهو " الخليفة " و

(٢٢٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٢)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، الشام (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (١)، الظل، التظليل، الظلالة (١)، الهدف (١)، الجهل (١)

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٦

"أمير المؤمنين" على لسان مسلم (١) بن عقبة والمغيرة (٢) بن شعبة وعمرو (٣) بن العاص، وهو المتنعم الدنيوي الذي "لم يبق شيء يخصيه الناس من"

(١) هو صاحب واقعة الحرثة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله يوم أباها ثلاثا شر إباحة. وهو هادم الكعبه (زادها الله شرفا) يوم رماها بالمنجنيق. وكان معاویة هو الذي نصح لابنه يزيد، فيما مهد له من الأمور. بأن يولي "مسلمًا" هذا. قال له "إن لك من أهل المدينة ليوما، فان فعلوا فارهمهم ب المسلمين بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته" !!! يراجع الطبرى والبىهقى وابن الأثير.

(٢) كان المغيرة [فيما يحدثنا عنه البىهقى في المحسن والمساوئ] أول من رشى في الإسلام. وكان [فيما يحدثنا به سائر مؤرخته] الوسيط في قضية استلحاق زيد - رغم التواميس الإسلامية -. وكان السابق إلى ترشيح يزيد بن معاویة للخلافة، وهو الذي يقول في ذلك "لقد وضعت رجل معاویة في غرز بعيد الغایة على أمّة محمد، وفتق عليهم فتقا لا يرتق أبدا -. !!! وكان هو الذي عناه حسان بن ثابت بقوله:

لو ان اللؤم ينسب كان عبدا *** قبيح الوجه أعور من ثقيف تركت الدين والایمان جهلا *** غداة لقيت صاحبة النصيف
وراجعت الصبا وذكرت لهاوا *** من الأحساء والخصر اللطيف (٣) نار على علم. اعتركت الدنيا والآخرة على قلبه - على حد تعير
غلامه "وردان - "فقدم الدنيا على الآخرة، وشاعي معاویة على أن تكون له مصر طعمه، فلا ظفرت يد البائع وخزيت أمانة المبتاع.
روى ابن عبد ربہ بسنده إلى الحسن البصري قال "علم معاویة والله ان لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر، فقال له: يا عمرو اتبعني. قال:
لماذا؟ الآخرة فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها. قال: فأنت شريكى فيها. قال: فاكتب لى مصر
وكورها. فكتب له مصر وكورها. وكتب في آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: واكتب ان السمع والطاعة لا يغيران
من شرطه شيئا. قال معاویة: لا ينظر إلى هذا. قال عمرو: حتى تكتب." !!!

ورضى الصحابي المنسن الذي مات في الثامنة والتسعين أن يختتم هذا العمر المديد على مثل هذه المداورة الخبيثة في الدين، وراح يقول غير مبال "لولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فاني أعلم ان على بن أبي طالب على الحق، وأنا على ضده".!

اما بواكيه حياته فكانت أبعد أثرا في النكایة بالاسلام ونبي الاسلام (ص). وهو إذ ذاك أحد السهemin الذين ساهموا في فكره قتل النبي (ص) ليلة الفراش في مكة. وهو "الأبتر" المقصود بقوله تعالى "ان شاتك هو الأبتر". ثم كان بعد ذلك من المساهمين في التأليب على عثمان، ولم يخرج إلى فلسطين حتى نكا القرحة كما قال هو عن نفسه يوم بلغه مقتل عثمان. والتحق أخيراً بمعاویة على هذه المساومة المفضوحة. ونجا من القتل المحقق في صفين بأشنع وسيلة عرفها التاريخ. ثم كان صاحب الفكره في رفع المصاحف التي فتن بها المسلمين ونقض بها فتل الاسلام. وحضرته الوفاة فقال لابنه "انى قد دخلت فى أمور لا أدرى ما حجتي عند الله فيها". ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال "يا ليته كان بعرا، يا ليتني مت قبل هذا بثلاثين سنة، أصلاحت لمعاویة دنياه وأفسدت ديني، آثرت دنياى وتركت آخرتى، عمي على رشدى حتى حضرنى أجلى". وخلف من المال ثلاثمائة الف دينار ذهباً و مليوني درهم فضة عدا الضياع. وكان رسول الله (ص) يقول فيه وفي معاویة "انهما ما اجتمعا الا على غدر". أخرج هذا الحديث كل من الطبراني وابن عساكر، وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنديهما عن أبي بزءة قال "كنا مع النبي (ص) فسمع صوت غناء فقال: انظروا ما هذا. فصعدت فإذا معاویة وعمرو بن العاص يتغنىان فجئت فأخبرت النبي (ص) فقال: اللهم أركسهما في الفتنة ركسا. اللهم دعهما في النار دعا". وعن تطهير الجنان لابن حجر "أن عمرا صعد المنبر فوقع في على ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيل للحسن: اصعد المنبر لترد عليهما، فامتنع الا أن يعطيه عهداً أنهما يصدقونه ان قال حقاً ويكتذبونه ان قال باطلًا فأعطوه ذلك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى

عليه ثم قال: أنسدك الله يا عمرو ويا مغيرة، أتعلمان ان رسول الله لعن السائق والقائد أحدهما فلان - يعني معاویة - قالا: بلى، ثم قال: أنسدك الله يا معاویة ويا مغيرة ألم تعلما ان النبي لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة، فقالا: اللهم بلى، ثم قال: أنسدك الله يا عمرو ويا معاویة ألم تعلما ان النبي لعن قوم هذا - يعني المغيرة - قال الحسن فاني احمد الله الذى جعلكم فيمن تبرأ من هذا - يعني عليا." - وكان ابن العاص هذا، هو الذى عنده الصحابي الکريم عمار بن ياسر (رض) بقوله للمجاهدين فى صفين "أتريدون ان تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغي على المسلمين وظاهر المشركين، فلما رأى الله عز وجل يعز دينه ويظهر رسوله صلى الله عليه وسلم، أسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب. ثم قبض الله رسوله (ص) فوالله أن زال بعده معروفا بعداؤه المسلم وهوادة المجرم. فاثبتوا له وقاتلوه، فإنه يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله عز وجل ("!! الطبرى، ابن أبي الحديد، المسعودى، وغيرهم).

(٢٢٦)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (٧)، ابن أبي الحميد المعترلى (١)، مدينة مکة المکرمة (١)، الطبراني (١)، ابن عساکر (١)، ابن الأثير (١)، يوم عرفة (١)، مسلم بن عقبة المرى (١)، يزيد بن معاویة لعنهم الله (١)، على بن أبي طالب (١)، المغيرة بن شعبه (١)، عمار بن ياسر (١)، عمرو بن العاص (١)، حسان بن ثابت (١)، الحسن البصرى (١)، الكرم، الکرامه (١)، القتل (٣)، الجهل (١)، الموت (١)، العرءة (١)، الفرح (١)

صفحة ١٣٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٨

الدنيا الاـ... وقد أصابه - " على حد تعبيره عن نفسه . ولن يضيره بعد اعتراف ابن العاص وابن عقبة وابن شعبه له بالخلافة وامارة المؤمنين، أن يكون التشريع الاسلامي ينكر عليه هذا اللقب، لأنه لا يسيغ غزو الألقاب الدينية بالقوة، ولا يسيغ لقب " الخليفة " على أحد، الا عند قرب الشبه بين صاحبه وبين النبي (ص)، ويصرفه دائما عن الرجل الذي يكون بينه وبين النبي كما بين دينين . ولاـ... ندرى على التحقيق مبلغ ما كلفت معاویة هذه الألقاب فى دينه، يوم غزاها لنفسه، أو يوم غزاها لابنه يزيد، وانه لأعرف الناس بابنه؟!.

ولا ندرى مبلغ اهتمام الرجل، بمحاسبة نفسه تجاه الله، فيما كان يجب أن يحاسبها عليه؟.

ولكننا علمنا - على ضوء محاولاته الكثيرة في الاخذ والرد -، أنه لم يعن بمحاسبة نفسه فقط، وعلمنا أن الأنانية الطموح كانت تملأ مجاهل نفسه، فتنسى موقفه الواهن - المفضوح الوهن - الواقف في مهاب الرياح، والمرتكز في حقيقته على خيوط العنكبوت، يوم طارت من حواليه الألقاب كلها.

وعلمنا أن قبليته الطاغية الجامحة، كانت تأخذ عليه منافذ تفكيره، فتريه من شهادة ابن العاص له بالخلافة، ومن ترشيح المغيرة بن شعبه ابنه يزيد لامارة المؤمنين، مبراً يرد به الصريح من شرائط الاسلام. وهل كانت هذه الشهادة أو ذاك الترشيح، الا بنت المسماوات الرخيصة على ولاية مصر وولاية الكوفة، كما هو الثابت تاريخيا؟.

ولا عجب من " ابن أبي سفيان " ان يكون كما كان، وهو الأموى الصريح، أو الأموى اللصيق الذى يعمل جاهدا ليكون أموايا صريحا (١).

(١) يراجع الزمخشري في " رباع الأبرار " وابن السائب في " المثالب " وأبو الفرج في " الأغانى " وابن السمان في " مثالب بنى أمية " وعمر بن محمد الهمدانى في " بهجة المستفيد ". ثم ليكن القارئ بعد ذلك عند اختياره في نسبة معاویة إلى أى آباء الأربعه المذكورين هناك بأسمائهم.

أقول: والى ذلك يشير سيد العرب في نهجه بقوله : وليس الصريح كاللصيق.

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، المغيرة بن شعبة (١)، الشهادة (٢)، الزمخشري (١)، جعفر بن محمد الهمданى (١)، بنو أمية (١)، الفرج (١)

صفحة ١٣٦

٢٢٩ - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٩

للأموية والهاشمية تاريخهما الذى يصعد بهما حتى يلتقيا وينزل معهما كلما نزل الزمان.

وكان من طبيعة "رد الفعل" فى النقوس التى شبت مع العنونات القبلية جاهلية وأسلاماً، والتى قبلت الإسلام مرغمة يوم الفتح، ثم لم تهضم الإسلام - كما يريد الإسلام - أن تكون دائماً عند ذحولها من الصغار المؤروثة، والتراث القديمة العميقه الجروح.

وكان معاوية - بعد الفتح - وعلى عهد النبوة الطالعة بالنور، الطليق "الحادي القدمين" كما يحدثنا هو عن نفسه. أما فى الدور الذى تململ معه النفوذ الأموي ليسترجع مكانته فى المجتمع، وعلى عهد السياسة الجديدة التى رشحت للشوري عضواً أمرياً عتيداً، فلم لا يكون ابن عم عثمان والى الشام القوى المرهوب، الذى يصطنع الأعوان والمؤيدين، ويسترضى الاتباع والأجناد والمشاورين، ويتخذ

الصور والستور والبوابين، وفي ثروة ولايته ما يسع كل صاحب طمع أو بائع ضمير أو لأحسن قصعة!!.

ولئن كان معاوية فى دور النبوة الرعية المخذل العاجز عن الانتصار لنفسه ولقبيله من القوة التى غلت على أمره وأمر قبيله، فلم لا يحاسب تلك القوة حسابها العسير فى الدور الذى ملك فيه مقاليد القوة بنفسه أو بقبيله، ولم لا يعود إلى طبيعته فيتحسس بذحوله القديمة من الأبناء والأخوه والأصحاب، ويأخذ بشاره من المبادئ والأهداف؟. ولذلك فقد كان من المنتظر المرقب لمعاوية، أن يشن غاراته المسلحة على على والحسن (عليهما السلام) فى أول فرصة تمكنه من ذلك، وأن يشن معهما حربه (الباردة) الأخرى، التي كانت أطول الحربين أمدًا، وأبعدهما حراً، وأفظعهما نكالاً فى الإسلام.

ويستدل من كثير من الاعمال الدبلوماسية التى قام بها معاوية فى عهده الطويل الأمد، أنه كان قد قرر التوفير على حملة واسعة النطاق لتحطيم المبادئ العلوية، أو قل لتحطيم جوهرية الإسلام متمثلة فى دعوه

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الشام (١)، السلاح (١)، الوسعة (١)، الجهل (١)

صفحة ١٣٧

٢٣٠ - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٠

على وأولاده المطهرين عليهم السلام.

ويظهر أنه كان ثمة أربعة أهداف تكمن وراء هذه الحملة.

- ١ - شل الكتلة الشيعية - وهى الكتلة الحرء - والقضاء تدريجياً على كل منتم إلى التشيع وتمزيق جامعتهم.
- ٢ - خلق اضطرابات المقصدودة فى المناطق المنتمية لأهل البيت والمعروفة بتشييعها لهم، ثم التكيل بهؤلاء الآمنين بحججه تسبيب الشغب.
- ٣ - عزل أهل البيت عن العالم الإسلامي، وفرض نسيانهم على المسلمين الا بالذكر السيئ، والهؤول - بكل الوسائل - دون تيسير النفوذ لهم، ثم العمل على إبادتهم من طريق الغيلة.
- ٤ - تشديد حرب الأعصاب.

ولمعاوية في الميدان الأخير جولات ظالمة سيطول حسابها عند الله عز وجل كما طال حسابها في التاريخ، وسيجرنا البحث إلى عرض نماذج منها عند الكلام على مخالفاته لشروط الصلح، وهو مكانها من الكتاب.

وكان من أبرز هذه الجولات في سبيل مناؤاته لعلى وأولاده ولمبادئهم وأهدافهم، أنه فرض لعنهم في جميع البلدان الخاضعة لنفوذه، بما ينطوي تحت مفad "اللعن" من انكار حقهم، ومنع روایة الحديث في فضلهم، وأخذ الناس بالبراءة منهم فكان - بهذا - أول من فتح باب اللعن في الصحابة، وهي السابقة التي لا يحسده عليها مسلم يغار على دينه، وتوصل إلى استنزال الرأى العام على ارادته في هذه الأحداث المنكرة "بتداير محبوكه" تبتعد عن مبادئ الله عز وجل، بمقدار ما تلتحم بمبادئ معاوية.

وان من شذوذ أحوال المجتمع، أنه سريع التأثر بالدعوات الجارفة القوية - مهما كان لونها - ولا سيما إذا كانت مشفوعة بالدلائل من مطامع المال ومطامع الجاه.

وما يدرينا بم رضى الناس من معاوية، فلعنوا معه عليا وحسنا

(٢٣٠)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (١)، الحج (١)، الهدف (١)، الحرب (١)

صفحة ١٣٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣١

وحسينا عليهم السلام؟ وما يدرينا بماذا نقم الناس على أهل البيت فنالوا منهم كما شاء معاوية أن ينالوا!!.

ربما يكون قد أقنعهم بأن عليا وأولاده، هم الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله ابان دعوته، وأنهم هم الذين حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وهم الذين أحقوا العار بالنسبة، وهم الذين نقضوا المواثيق وحثروا بالآيمان، وقتلوا كبار المسلمين صبرا، ودفوا الأبرياء أحياء، وصلوا الجمعة يوم الأربعاء (١).

وربما يكون قد أطعهم دون أن يقنعهم، وربما يكون قد أخافهم دون أن يطعهم، فكان ما أراد "وارتقى بهم الامر في طاعته إلى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك الكبير (٢)." والمرجح أن معاوية هو الذي فضل تسمية هذه البدعة "بالسنة" فسمها معه المغوروون بزعامتها والمأخذون بطاعتها كما أحب، وظل الناس بعده على بدعته. إلى أن ألغاهما عمر بن عبد العزيز - وأخذ خطيب جامع (حران) يخطب ثم ختم

(١) يراجع عن هذا مروج الذهب (ج ٢ ص ٧٢) وعن غيره مما ذكر قبله، المصادر التي أشرنا إليها آنفا عند ذكر بعض هذه الحقائق، والمصادر التي سنذكرها في فصل الوفاء بشروط الصلح فيما يأتي، عند ذكرنا للبعض الآخر.

(٢) مروج الذهب (ج ٢ ص ٧٢).

ولنتذكر هنا، أن عليا عليه السلام سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين، فنهاهم، وقال لهم "إنكروه لكم أن في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب ودماءهم، وأصلاح ذات بیننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغى والعدوان من لهج به - "... النهج: (ج ١ ص ٤٢٠ و ٤٢١). - وجاء يوما رسول معاوية إلى الحسن عليه السلام وكان فيما قال له "أسأل الله إن يحفظك ويهلك هؤلاء القوم." فقال له الحسن "رقلا لا تخن من اثمنك، وحسبك ان تحبني لحب رسول الله (ص) ولأبي وأمي، ومن الخيانة ان يثق بك قوم وأنت عدو لهم وتدعوه عليهم." .. الملحم والفتن (ص ١٤٣ طبع النجف).

(٢٣١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، عمر بن عبد العزيز (١)، القتل (١)، الإبداع، البدعة (١)،

الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهمما السلام (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (٢)، مدينة النجف الأشرف (١)، صلح (يوم)
الحادية (١)، الشام (١)، الجهل (١)، الضلال (١)، السب (١)

صفحة ١٣٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٢

خطبته ولم يقل شيئاً من سب أبي تراب كعادته، فصايح الناس من كل جانب: ويحك ويحك السنة السنة! (١)." ثم كانت "سنة معاوية" هي الأصل التاريخي لتكوين هذه الكلمة تكويناً اصطلاحياً آخر، تناول مع الأجيال، وتنسق معه مناسباته السياسية الأولى.

وانتباهه منصفة في تناسق نفسيات الرجل، تغريك عن استعراض أمثلة كثيرة من أعماله في هذا السبيل.. وبعد هذا، فما ظنك بمعاوية لو قدر له الظفر في حربه مع الحسن، وقدر للحسن الشهادة في الحرب؟.

أفكان من سوابق الرجل هذه، ما يدل على أنه سيلزم جانب الاعتدال والقصد، في استغلال انتصاره تجاه فلول الحرب من شيعة الحسن والبقية الباقيه من الثابتين على العقيدة والآيمان؟ أم أن موجة إباده ساحقة ستكون هي عنوان علاقاته بهؤلاء، بعد موقفه الصريح من

السلامة النبوية نفسها، وبعد أن يكون قد طحن في هذه الحرب أكبر رأس في البيت النبوي العظيم.

ان معاوية سوف لا يتقوى بعد ذلك أحداً. وانه سوف لا يتزدد سياسياً، ولا يتورع ديناً، من أن يمضى قدماً في تصفيه حسابه مع المبدأ الذي أقض مضجعه وأكل قلبه وهزئ بكيانه، منذ ولـى على الخلافة، بل منذ طلعت الهاشمية بالنور على الدنيا، بل منذ هزـمت المنافـرة

أمـية إـلى الشـام.

وما كان معاوية بالذى يعجز عن وضع "تـدابير مـحبوكـة" أخرى لـعملـية مـحقـ الشـيعـة، بعد مـقتـلـ الحـسـنـ، يـحتـالـ بهاـ عـلـىـ المـغـورـينـ بـزـعـامـتهـ منـ الجـيلـ الذـىـ شـدـ أـزـرـهـ عـلـىـ اـصـطـنـاعـ ماـ أـتـاهـ مـنـ مـخـالـفـاتـ.

(١)" الاسلام بين السنة والشيعة" ص ٢٥).

(٢٣٢)

مفـاتـيحـ الـبـحـثـ: الشـامـ (١)، الشـهـادـةـ (١)، الـحـربـ (٣)، القـتـلـ (١)، السـبـ (١)

صفحة ١٤٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٣

وهو صاحب تـدابـيرـ "لـعـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ" وـصـاحـبـ تـدـابـيرـ "رمـىـ عـلـىـ بـدـمـ عـثـمـانـ" فـلتـكـنـ ثـالـثـةـ أـثـافـيـهـ تـدـابـيرـهـ فـيـ "الـقـضـاءـ عـلـىـ التـشـيـعـ"

مـاديـاـ وـمـعـنـوـيـاـ. وـانـهـ لـرـجـلـ الـمـيدـانـ فـيـ تـبـعـيـهـ هـذـهـ الـأـلـوـانـ مـنـ التـدـابـيرـ.

وـفـيـ جـنـبـاتـ قـصـورـ الشـاهـقـاتـ فـيـ الشـامـ، الضـمـائـرـ الـمـعـرـوـضـةـ لـلـبـيـعـ وـالـأـقـلامـ الـمـفـوـضـةـ لـلـبـيـعـ وـالـأـقـلامـ الـمـفـوـضـةـ لـلـبـيـعـ، فـلـتـضـعـ الـحـدـيـثـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ، وـفـقـ الخـطـطـ الـمـرـسـوـمـةـ، وـلـتـنـهـكـ الـمـبـادـئـ الـعـلـوـيـةـ اـنـهـاـ كـاـ فـتـمـسـخـهاـ مـسـخـاـ وـتـرـدـيـرـهاـ اـزـدـرـاءـ تـنـزـعـ بـهـ اـسـتـحـقـاقـهاـ لـلـبـقاءـ بـيـنـ

الـنـاسـ، ثـمـ لـتـخـلـقـ مـنـهـ - وـقـدـ خـلـاـ الـجـوـ مـنـ آـلـ مـحـمـدـ (صـ) - رـدـهـ أـخـرىـ عـنـ الـاسـلـامـ تـهـمـ بـهـ بـنـاءـ الـاسـلـامـ وـمـهـابـطـ تـنـزـيلـهـ وـمـنـازـلـ وـحـيـهـ وـمـصـادـرـ تـعـالـيمـهـ أـنـفـسـهـمـ، ثـمـ لـتـشـرـعـ لـلـنـاسـ - مـعـ تـمـادـيـ الـوـضـعـ وـالـرـفـعـ - اـسـلـاماـ آـخـرـ، هوـ قـرـيـحـةـ مـعـاوـيـةـ - لـاـ مـاـ هـتـفـتـ بـهـ الـهـاشـمـيـةـ مـنـ وـحـيـ السـمـاءـ.

وـكـانـ هـذـاـ هـوـ الـذـىـ عـنـاهـ الـحـسـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـينـ قـالـ "ماـ تـدـرـونـ مـاـ عـمـلـتـ، وـالـلـهـ لـلـذـىـ عـمـلـتـ خـيـرـ لـشـيـعـتـىـ مـاـ طـلـعـتـ عـلـىـ الشـمـسـ".

وـمـاـ شـيـعـ خـيـراـ مـاـ طـلـعـتـ عـلـىـ الشـمـسـ مـنـ حـفـظـ الـعـقـيـدـةـ وـتـخـلـيـدـ الـمـبـدـأـ.

وكان هو ما عنده - أيضاً - الإمام محمد بن على بن الحسين بن أبي طالب (الباقر) عليه السلام، حين سُئل عن صلح الحسن (ع) فقال "انه أعلم بما صنع ولو لا ما صنع لكان أمر عظيم."

النتائج:

وأغلب الظن أن خطوات هذه المراحل الثلاث، بلغت بالقارئ الكريم هدفنا المقصود من البحث، قبل ان نعلن عنه صريحاً، وكشفت له بتدرجها الرفيق كثيراً من الغموض الذي هيأ جواً للنقد الموروث.

ونقول الآن تدليلاً على ما ادعيناه أولاً من انغلاق طريق الشهادة عن الحسن (ع)، الذي كان معناه امتناعها هي منه، دون امتناعه هو منها:

(٢٣٣)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، على بن الحسين بن على (١)، الشام (١)، الكرم، الكرامة (١)، التعبأة، العباء (١)، الشهادة (١)، الظن (١)

صفحة ١٤١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٤

ان الحسن لو حاول أن يجيب على حدة مأزقه التي اصطدمت عليه في لحظته الأخيرة في المدائن، ياراقيه دمه الظاهر في سبيل الله عز وجل انكاراً على البغي الذي صارحه به ستون ألفاً من أجناد الشام، وايثاراً للشهادة ومقامها الكريم - لحيل بينه وبين ما يريد، ولكان - بلا ريب - ذلك المقتول الضائع الدم الذي لن يستطيع أصدقاؤه في التاريخ أن يسجلوا له الشهادة كما تقتضيها كلمة "شهيد".

ذلك لأن الظرف المؤسف الذي انتهى إليه طالع المدائن بما عبرت عنه الفوضى الرعناء في صيغاتها الكافرة وفي سلاحها - أيضاً - وبما كشفت عنه كتب الخونية الكوفيين في موالיהם لمعاوية على الفتوك بالحسن - وهو ما وقف عليه الحسن نفسه في رسائلهم - كل ذلك يفرض علينا الاستسلام للاعتقاد بأن فكرة قوية الأنصار من رجالات المعسرك، كانت قد قررت التورط في أعظم جريمة من أمر الإمام عليه السلام، وأنهم كانوا يتخيّلون الفرص لاقتراف هذه البائفة الكبرى.

ووجدوا من تلاشى النظام في المعسرك، بما انتاشه من الفزع وبما انتابه من الفتنة، وبما بلغه من أخبار مسكن، ومن الفوضى "المصطنعة" التي اطلعت رأسها بين جماهير الهوج - ظرفاً مناسباً لانزال الضربة الحاسمة التي كانت هدف الخوارج فيما أرادوه من جهادهم مع الحسن وكانت غاية "الحزب الأموي" فيما تم عليه الاتفاق بينه وبين معاوية. ولا ننسى أن معاوية نفسه كان قد لوح للحسن عليه السلام في رسائله الأولى إليه، بما يشعره التهديد بهذه الخطوة العدوة - من أول الأمر - . والا فما معنى قوله هناك؟

فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس. !!!

وبلغ من دقة الموقف وتوتر الوضع، في لحظات المدائن الأخيرة، أن أى حركة من الإمام عليه السلام سواء في سبيل الحرب أو في سبيل الصلح، وفي سبيل الانضمام إلى الجبهة في مسكن أو في سبيل العودة إلى الكوفة - مثلاً - ، لابد أن تقلب إلى خلاف حاد، فتمرد واسع، فتورة

(٢٣٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، سبيل الله (١)، الشام (١)، الخوارج (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (٣)، الوسعة (١)، الفزع (١)، الحرب (١)

صفحة ١٤٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٥

مسلحة هوجاء، هي كل ما يتناه معاویة، ويصوب له ذهب وخرائب.
ولن يطفئ النار يومئذ لو اتقدت جذوها إلا دم الحسن الزكي.

وللثورات الجامحة أحكامها القاسية وتجنياتها التي لا- تبالي في سبيل الوصول إلى أهدافها بالأشخاص مهما عظمت مكانتهم في النفوس.

أوليس طعنـة الحسن في سباق المدائـن دليلا على ما نقول؟. وهـل كانت الا الطـعنـة التي تطـوعـت إـلى قـتـله عن إـرـادـة وـعـدـ؟ وـكان قد خـرـجـ إـذـ ذـاكـ من فـسـطـاطـهـ يـؤـمـ مـقـصـورـةـ عـاـمـلـهـ عـلـىـ "ـالـمـدـائـنـ"ـ لـيـجـنـبـ ضـوـضـاءـ النـاسـ،ـ وـلـيـكـونـ هـنـاكـ أـقـدرـ عـلـىـ اـتـخـاذـ ماـ يـحـتـمـلـ الـظـرفـ منـ تـدـبـيرـ.

وهـناـ يـقـولـ المؤـرـخـونـ ماـ لـفـظـهـ "ـوـأـحـدـقـ بـهـ طـوـائـفـ مـنـ خـاصـتـهـ وـشـيـعـتـهـ،ـ وـمـنـعـواـ عـنـهـ مـنـ أـرـادـهـ.ـ "ـوـفـىـ نـصـ آـخـرـ"ـ فـأـطـافـواـ بـهـ وـدـفـعـواـ النـاسـ عـنـهـ "ـأـقـولـ:ـ فـمـ كـانـواـ يـدـافـعـونـ النـاسـ عـنـهـ؟ـ وـمـمـ مـنـعـواـ مـنـ أـرـادـهـ؟ـ أـوـلـيـسـ هـذـاـ كـلـهـ صـرـيـحـاـ بـأـنـهـ أـصـبـحـ مـهـدـداـ عـلـىـ حـيـاتـهـ،ـ وـأـنـ الذـينـ خـرـجـواـ مـعـهـ كـمـجـاهـدـينـ يـدـافـعـونـ عـنـهـ انـكـشـفـواـ -ـ بـعـدـ قـلـيلـ -ـ عـنـ أـعـدـاءـ يـتـدـافـعـونـ عـلـيـهـ؟ـ؟ـ.

وـهـلـ كـانـ انـكـفـاؤـهـ إـلـىـ مـقـصـورـةـ سـعـدـ بـنـ مـسـعـودـ،ـ إـلـاـ لـيـتـبعـدـ عـنـ الـمـحـيطـ الـمـفـتوـنـ الـذـىـ أـصـبـحـ يـسـتـعـدـ لـثـورـةـ لـاـ يـدـرـىـ مـدىـ اـنـدـفـاعـهـ بـالـمـوـبـقـاتـ؟ـ وـرـأـيـ بـأـمـ رـأـسـهـ اـنـسـيـاحـ فـصـائـلـهـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ مـضـارـبـهـ نـهـبـاـ،ـ وـفـيـ مـقـامـهـ الـمـقـدـسـ تـكـفـيرـاـ وـسـبـاـ،ـ وـرـأـيـ تـحـاـلـلـهـ الـمـقـصـودـ عـلـىـ اـيـذـائـهـ وـتـدـافـعـهـمـ الـعـامـدـ عـلـىـ الـعـظـيمـ مـنـ أـمـرـهـ،ـ فـلـمـ أـنـهـمـ أـصـبـحـواـ لـاـ يـطـيقـونـ رـؤـيـتـهـ،ـ وـأـنـ ظـهـورـهـ بـشـخـصـهـ بـيـنـهـمـ هوـ مـثـارـ تـمـرـدـهـمـ الـخـيـثـ،ـ فـاـنـتـقـلـ غـيرـ بـعـيدـ،ـ وـكـانـ اـنـتـقـالـتـهـ نـفـسـهـاـ اـحـدـيـ وـسـائـلـهـ لـعـلاـجـ الـمـوـقـفـ،ـ لـوـ أـنـهـ وـجـدـ لـلـعـلاـجـ سـيـلاـ.

وـبـدـيـهـيـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ أـحـدـ آـخـرـ فـيـ الـدـنـيـاـ كـلـهـاـ،ـ أـحـرـصـ مـنـ الـحـسـنـ نـفـسـهـ عـلـىـ الـفـوزـ فـيـ قـضـيـةـ،ـ وـلـاـ أـكـثـرـ عـمـلـاـ،ـ وـلـاـ أـشـدـ اـهـتـمـاماـ،ـ وـلـاـ أـنـشـطـ حـيـوـيـةـ،ـ وـلـاـ أـسـرـعـ تـضـحـيـةـ فـيـمـاـ تـسـتـدـعـيـهـ مـنـ تـضـحـيـاتـ.

(٢٣٥)

مفـاتـيحـ الـبـحـثـ:ـ سـعـدـ بـنـ مـسـعـودـ (١)،ـ الـقـتـلـ (١)

صفحة ١٤٣

صلـحـ الحـسـنـ (عـ)ـ -ـ السـيـدـ شـرـفـ الدـيـنـ -ـ الصـفـحةـ ٢٣٦ـ

وـبـدـيـهـيـ أـيـضـاـ،ـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ لـيـفـوتـهـ مـاـ لـاـ.ـ يـفـوتـنـاـ مـنـ رـأـيـ،ـ وـلـاـ يـخـطـهـ مـاـ لـاـ يـخـطـنـاـ مـنـ تـدـبـيرـ.ـ وـلـقـدـ بـرـهـنـتـ سـائـرـ مـراـحلـهـ عـلـىـ أـنـهـ الرـجـلـ الـحـصـيفـ الـذـىـ غـالـبـ مـشاـكـلـهـ كـلـهـاـ ثـمـ اـخـتـارـ لـهـ أـفـضـلـ الـحـلـولـ فـيـ حـرـبـهـ وـسـلـمـهـ وـمـعـاـهـدـاتـ صـلـحـهـ،ـ وـفـيـ عـاصـمـةـ مـلـكـهـ "ـالـكـوـفـةـ"ـ وـعـاصـمـةـ إـمامـتـهـ "ـالـمـدـيـنـةـ".ـ

ترـىـ،ـ أـفـكـانـ مـنـ جـنـونـ هـذـهـ الـلـحـظـاتـ فـيـ الـمـدائـنـ،ـ مـجاـلـ لـلـمـوـتـ الـذـىـ يـصـنـعـ الـحـيـاةـ؟ـ أـمـ هـوـ الـمـجـالـ الـذـىـ لـاـ يـصـنـعـ الـمـوـتـ فـيـ الـمـوـتـ أـبـدـيـاـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـجـبـ أـنـ تـرـبـأـ عـنـ النـفـوسـ الـكـرـيمـةـ الـذـىـ لـاـ تـمـوـتـ الـلـتـحـيـيـ بـعـدـهاـ سـنـةـ أـوـ تـنـقـذـ أـمـةـ.ـ فـأـيـنـ اـمـكـانـ الشـهـادـةـ لـلـحـسـنـ يـاـ تـرـىـ؟ـ..ـ

* * * ولـقـدـ يـحـزـ فـيـ النـفـسـ حـتـىـ لـيـضـيقـ مـحـبـ الـحـسـنـ ذـرـعاـ بـمـاـ يـتـرـسـمـهـ فـيـ ذـهـنـهـ مـنـ مـعـالـمـ الـخـطـوبـ السـوـدـ،ـ الـتـىـ كـانـتـ تـتـدـفـقـ بـطـوـفـانـهـ الـرـهـيبـ عـلـىـ هـذـاـ الـإـمـامـ الـمـمـتـحـنـ فـيـ أـخـرـ سـاعـاتـهـ وـأـدـقـ لـحـظـاتـهـ.

ربـماـ كـانـ لـلـذـهنـ قـابـلـيـةـ التـصـورـ أـوـ قـابـلـيـةـ الـهـضـمـ لـلـحـوـادـثـ الـتـىـ تـرـجـعـ إـلـىـ مـصـادـرـهـ الـاعـتـيـادـيـةـ فـيـ النـاسـ،ـ مـنـ الـعـدـاءـ الـشـخـصـيـ،ـ أـوـ التـزـاعـ.

القبلي، أو الخلاف النظري – كعداء معاویة للحسن، أو خصومة بنی أمیة للهاشمین، أو خلاف الخوارج على علی وأولاده (ع) .- أما الحوادث التي لا مرجع لها الا الطمع الدنی فإنه من آلم ما يتصوره الانسان من شذوذ الناس.

أفظن ان من الممكن لشیعی يعتقد امامۃ الحسن كما يعتقد نبوة النبي، ويعيش في نعمۃ الحسن كما يعيش في نعمۃ أبيه، ثم تحدثه نفسه بالخيانة العظمى في أخرج اللحظات التي تمر بامامه وولي نعمته، وأحوالها إلى الاخلاص الصحيح من شیعته؟.

أجل، انها للمؤامرة الدينیة التي كانت من صميم الواقع الذي دار

(٢٣٦)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، بنو أمیة (١)، الخوارج (١)، الموت (٤)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٤٤

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ٢٣٧

حول الحسن عليه السلام، في ابان وجوده في المقصورة البيضاء بالمدائن!!!..

فانظر إلى أى حد كان قد بلغ التفسخ الخلقي في الجيل الذي قدر للحسن أن يتخد منه أجناده إلى جهاد عدوه.

قد يكون الفرد بذاته من ذوى الحسب، وقد يكون على انفراده من ذوى السكينة، ولكنه إذا انساح بضعفه المتصل في نفسه مع العاصفة الطارئة، واحتضنته الجماهير المتهمسة من حوله، كان جديراً بان تغلب عليه روح الجماعة فلا يشعر الا بشعورها، ولا يفكر الا بفکرها، ولا يعمل الا بعملها – ويختلف – عندئذ – مشاعره الفطرية مخالفه لا تتفك في أكثر الأحيان عن الندم الجارح عند سكون العاصفة وتبدل الأحوال.

وهكذا كان من السورة الجامحة في ضوابط المدائن يومئذ ما أخضع لتياره حتى الشیعی الضعیف، فنسى تشیعه ونسى عناته، ونسى حتى المعنویات العربیة الساذجة التي تتحلل من الدين على اختلاف نزعاته!!!..

إنه ان لم يكن امامک فولی نعمتك، وان لم يكن ولی نعمتك فالكريم الجريح.

وهذا مثل واحد – حفظه التاريخ – عن شیعیهم، ظنك بخارجيهم وأمويهم وشکاكهم وأحررهم؟.

ومثل واحد حفظه التاريخ، يدل على أمثال كثیرة نسیها التاريخ أو تناسها.

ووجه آخر:

هو ما أشار اليه الحسن نفسه في أجوبيه لشیعیه الذين نقموا عليه الصلح. قال " : ما أردت بمصالحتي معاویة الا أن ادفع عنكم القتل (١) ".

(١) الدينوري (ص ٣٠٣).

(٢٣٧)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبی عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحدبیة (١)، القتل (١)، الجماعة (١)

صفحة ١٤٥

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ٢٣٨

وأثر عنه بهذا المعنى كلمات كثيرة.

وللتوفّر على فهم هذه الحقيقة بشيء من التفصیل الذي يخرج بنا إلى القناعة بما أجمله الإمام بهذا القول، نقول:

لم يكن التزاع بين الحسن و معاویة في حقيقته، نزاعاً بين شخصين يتسابقان إلى عرش، وإنما كان صراعاً بين مبدأين يتنازعان البقاء

والخلود. وكان معنى الانتصار في هذا النزاع، خلود المبدأ الذي يتصرّ له أحد الخصمين المتنازعين. وكذلك هي حرب المبادئ التي لا تسجل انتصاراتها من طريق السلاح، ولكن من طريق الظفر بثبات العقيدة وخلود المبدأ. وربما ظفر المبدأ بالخلود ولكن تحت ظل اللواء المغلوب ظاهرا.

وانقسم المسلمون يومئذ، على اختلاف رأيهم في المبادئين، إلى معاوين يحمي كل منهما مبدأه، ويتفادي له بكل ما أوتي من حول وقوه.

فكانَتْ العلوية والأموية، وكانت الكوفة والشام.

ونخلت الأدوار الاستفزازية التي لعبها معاویة، باسم الثار لعثمان، معسکر الشام من شیعه علی وأولاده عليهم السلام. فكان لابد لهؤلاء أن ينضموا إلى معاویة في الكوفة، وفي البلاد التي ترجع بأمرها إلى الكوفة، غير مروعین ولا مطاردين.

واجتمع - على ذلك - في الكوفة والبصرة والمدائن والحزاج واليمن عامة القائلين بالتشييع لأهل البيت عليهم السلام.

وخلص إلى عاصمة الإمام في العراق من الأمصار كلها، الثقل الأكبر من أعلام المسلمين، وبقايا السيوف من المهاجرين والأنصار. فكانت كوفة على على عهد الخليفة الهاشمية، مباءة الإسلام، والمركز الذي احتفظ بتراجم الرسالة بأمانة وصبر وایمان.

وكان طبيعياً أن يستجيب لدعوة الحسن، في زحفه للموقعة الفاصلة بين المبادئين، عامة هذه النخبة المختارة المتبقية في الكوفة بعد وفاة أبيه عليه

(٢٣٨)

مفاتيح البحث: أهل بيته عليه وآلهم (١)، المهاجرون والأنصار (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٦)، الشام (٢)،
الحرب (١)، القناعة (١)، الوفاة (١)

صفحة ١٤٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٩

السلام، من شيعته وشیعه أبيه وصحابة جده صلی الله عليه وآلہ، فإذا هم جمیعاً عند مواقعهم من صفوف وحداتهم، في الجيش الذي يستعد في "النخيلة".

ولم يكن في الدنيا كلها، قابليه أخرى لصيانة التراث الإسلامي على وجهه الصحيح، كالقابليات التي لفها جناح هذا الجيش، بانضواء هذه الكتل الكريمة إليه، وفيها أفراد الأسرة المطهرة من الهاشميين.

واحتضنت وحدات النخيلة مع هؤلاء، أجناساً كثيرة من الناس، أتينا - فيما سبق - على عرض واسع لمختلف عناصرهم وشتى منازعهم ونتائج أعمالهم.

وكان المضى في الزحف ضرورة اقتضاها الظرف الطارئ كما أشير إليه آنفاً.

وما هي الا أيام لم تبلغ عدد الأصابع، حتى انتظم المعسکران في "المدائن" و "مسكن" أقسام الجيش كلها، فكان في كل منهما جماعة من الطبقة الممتازة في مسلكها ومعنوياتها وإخلاصها، وجماعات أخرى من طبقات مختلفة متوعنة.

وجاءت هزيمة عبيد الله بن عباس ومن معه إلى معاویة، أشبه بعملية تصفيّة قد تكون نافعة، لو لم تعززها نكبات أخرى من نوعها ومن غير نوعها، ذلك لأنها نخلت معسکر مسكن، وهو المعسکر الذي نازل العدو وجهاً لوجه، من الأخلاط التي كانت العضو الفاسد في هذا الجيش.

أما في المدائن فقد كان الحسن وخاصته في سواد من أشباح المهزومين لا- يتسى لهم الوصول إلى معاویة فيفرون، ولا يستفزهم الواجب فيرضخون. وكانوا في المستقبل القريب، أداء الكارثة التاريخية، بما حالوا بين الحسن وبين أهدافه من هذه الحرب، وبما

أغلقوا عليه من طريق الشهادة الكريمة، وبما أفسدوا عليه كل شئ من أمره، (كما مر (٢٣٩)

مفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (٢)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الشهادة (١)، الوسعة (١)، الطهارة (١)، الحرب (١)

صفحة ١٤٧

٢٤٠ - الصفحة - السيد شرف الدين - صلح الحسن (ع) بيانه قريباً.

* * * ولنفترض الآن أن شيئاً واحداً كان لا يزال تحت متناول الحسن في سبيل الاستمرار على الحرب، أو في سبيل الامتناع على الصلح.

ذلك هو أن يصدر أوامره من حصاره في "المدائن" إلى أنصاره في "مسكن" ب مباشرة الحرب، تحت قيادة القائد الجديد "قيس بن سعد بن عبادة الأنباري"، "الرجل العظيم الذي نعرف من دراسة ميلوه الشخصية، أنه كان يؤثر الحرب حتى ولو صالح الإمام (١). وإذا كانت ثورة المشاكسين في المدائن، قد حالت دون تكتيب هذا الجيش للقتال، فما كانت لتحول دون ارسال الأوامر إلى المخلصين الأويفاء في جيش مسكن بالحرب، ان سرا وان علنا.

ومن المحتمل أن كثيراً من المغلوبين على أمرهم من مجاهدة المدائن المخلصين، كانوا يستطيعون التسلل إلى "مسكن" لإنجاد القوات المحاربة هناك، فيما لو وجدوا من جانب الحسن استعداداً لهذه الفكرة أو تشجيعاً عليها.

ولعل من المحتمل أيضاً أن الإمام نفسه كان يستطيع هو أيضاً وبعد تريث غير طويل، ينتظر به خفوت الزوابع الدائرة حوله في المدائن، أن يخف إلى مسكن حيث النصر الحاسم، أو الشهادة بكل معانيها الكريمة في الله وفي التاريخ. فلماذا يتزل إلى الصلح، وله من هذا التدبير مندوحة عنه؟.

نقول:

ربما كان في مستطاع الحسن اصدار هذه الأوامر في لحظاته الأخيرة في المدائن، وربما لم يكن.

(١) يراجع عن هذا ابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٢).

(٢٤٠)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (٢)، سعد بن عبادة (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (١)، القتل (١)، الحرب (٣)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٤٨

٢٤١ - الصفحة - السيد شرف الدين - صلح الحسن (ع)

وعلى كل من التقديررين، بما كل مندوحة لوحٍ بنجاح، يجوز الاخذ بها، ورب تدبير في ظرف هو نفسه مفتاح مآذق صعب لظرف آخر. وهذه هي القاعدة التي يجب الالتفات إليها عند الاخذ بأى اقتراح في أى من المآذق.

وهنا أيضاً، فهل فكر مقترح هذا التدبير، في المدة التي كان يمكن أن تستوعبها حرب أربعة آلاف - هم جيش الحسن في مسكن - لستين ألفاً هم جيش معاوية أو ثمانية وستين ألفاً واستغفر الله، بل حرب مجموعة من جيش تنازل مجموعة من جيش تزيدتها خمسة وأربعين ضعفاً! [ارجع إلى تحليل النسبة العددية بين الفريقين عسكر مسكن وعسكر الشام في الفصل - ١١ -].

وهل فكر مقترح هذه المندوحة، فيما عسى أن يكون موقف الحسن عند انتهاء اللحظات القصيرة من عمر هذه الحرب، وعندما يتفانى المساعير من أنصاره في مسكن.

انه ولا شك الموقف الذى سيضطره - لو بقى حيا - إلى التسليم بدون قيد ولا شرط. وانه ولا- شك الطالع الجديد الذى كان يتنتظره معاویة للإجراءات الحاسمة بين الكوفة والشام، الاجراءات التي لا تعدو الاحتلال العسكري المظفر بويلا-ته ونقماته التي لا- حد لفظاعتها في أهل البيت وشيعتهم، وأخلق باحتلال كهذا أن يطوح بكل أمانى البلاد، وبشعائرها الممتازة، ومبادئها التي قامت على جماجم عشرات الألوف من صفوة الشهداء المجاهدين في الله. ولا أخال أن أحدا يفطن إلى هذه النتائج المحتملة، ثم لا يحكم بفشل هذه المتذوقة المنتقضية على نفسها، وأن من أبرز أخطائها أنها تنقل الحسن - في أقصر زمان - من خصم مرهوب يملأ الشروط على عدوه، إلى محارب مغلوب لا مفر له من التسليم بدون قيد ولا شرط.

وهذا فيما لو انكشفت الحرب والحسن حتى يحال بينه وبين
(٢٤١)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، الشام (٢)، الحرب (٤)، الشهادة (١)، الجواز (١)

صفحة ١٣٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٢
الاشتراك فيها.

وأما لو قدر لهذه الحرب القصيرة العمر، أن تجتاح في طاحونتها حتى الحسن ليinal الشهادة، وافتراضنا أنه كان قد استطاع التسلل إلى مسكن والاشتراك في القتال - الامر الذي لا ينسجم وسير الحوادث هناك كما عرفت قريبا - فالجواب هو أن الشهادة التي يكون ثمنها إمحاء المبدأ إمحاء أبدا، لا يمكن أن تكون وسيلة نجاح في الله ولا في التاريخ.

وان التاريخ الذي سيناط به ذكر هذه الحرب، بعد شهادة الحسن وذيولها المؤسفة، سيروى للأجيال من شؤون الحسن وحروهه، ما لا يخرج بمفهومه عن معنى "الخروج". وذلك هو ما أردنا التلميح اليه في كلامنا على "خطء معاویة تجاه أهداف الحسن" من هذا الفصل.

ولكى نزيد هذا الاجمال توضيحا نقول:

علمنا مما تقدم، أن الصفوءة من حملة الكتاب، والبقية من الصحابة الأبرار، والتبعة المختارة من الشيعة الأوفياء، كانوا قد اجتمعوا للحسن عليه السلام فيمن دلف به إلى معاویة في زحفه هذا. ولا نعرف أن أحدا من هذا الطراز تخلف مختارا عن تلبية الحسن فيما دعا إليه من الجهاد.

فكان الموقف في هذه اللحظة المبدئية الدقيقة بين الحسن ومعاویة، أشبه بالموقف الآنف بين أبويهما رسول الله (ص) وأبي سفيان بن حرب يوم كان يبرز اليمان كله للشرك كله.

وعلمنا مما تقدم أيضا أنه لم يكن في الدنيا كلها مجموعة أخرى تؤمن على الثقل الأكبر من نواميس الاسلام، والمبادئ المثلية الصحيحة على وجهها الصحيح، مثل هذه المجموعة التي اجتمعت للحسن في هذا الزحف.

فكان معنى تنفيذ فكرة الحرب، والتورط بهذه الزمرة في القتال المستميت الذي لن ينكشف منهم على نافخ ضرمة قط، هو التفريط بالثقل الأكبر الذي يحملونه ولا يحمله في الدنيا أحد غيرهم.

(٢٤٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم عرفة (١)، الشهادة (٣)، الهدف (١)، الحرب (٤)، القتل (٢)، النفاذ، التنفيذ (١)

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٣

وكان معنى التفريط به، انقطاع الصلة بين على وأولاده الأئمة الميامين، وبين الأجيال الآتية إلى يوم الدين.

ثم لتعودن قضية الحسن - بعد ذلك - أشبه بقضايا الأشراف العلوين، الذين نهضوا في ظروف مختلفة من أيام الحكم الإسلامي، يهتفون بالصلاح، ويحتجرون بالرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم غلبوا على أمرهم، فلم يبق من دعوتهم إلا أسماؤهم في أطواء التاريخ أو في كتب الأنساب.

وما يدرينا، فيما لو صفت الحساب مع آل محمد تصفيته الأممية الأخيرة، فقتل الحسن، وقتل معه جميع أهل بيته، وقتل معهم الصفة المختارة من عباد الله المخلصين، وانقلب الإسلام أموايا، ماذا سيكون من ذكريات محمد (صلى الله عليه وآله) في التاريخ؟. وماذا سيكون من شأن المثاليات التي نفح الإسلام روحها في الصفة من رجالاته؟. وهل رجالاته المصطفون إلا هذه الأشلاء التي طحنتها سيف الشام في هذه الحروب؟.

وعلمنا - مما تقدم - مبلغ ما تهتز به أوتار معاوية بن أبي سفيان من العنوانات القبلية والأonianيات والتراث. فهل لنا - وقد أيسنا من ذكر على وأولاده في أعقاب هذه التصفية إلا بالسوء، أن نطمئن إلى ذكر محمد صلى الله عليه وآله وذكر تعاليمه ومبادئه الصحيحة بخير؟. والعدو المنتصر هو معاوية بن أبي سفيان، الذي ضاق بذكر الناس لأخي هاشم (النبي ص) في كل يوم خمس مرات كما تقتضيه السنة الإسلامية في "الاذان،" حتى قال للمغيرة بن شعبة: "فأى عمل يبقى بعد هذا لا ألم لك، الا دفنا دفنا (١)."!!..

(١) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٤٣)، وابن أبي الحديد (ج ٢ ص ٣٥٧)" قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده، ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية ويدرك عقله، ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظنت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليلة. قال: يا بني ابني جئت من أخت الناس. قلت له: وما ذاك. قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات، ملك أخو تيم فعل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا ان هلك، فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل أبو بكر. ثم ملك أخو عدى فاجهده وشمر عشر سنين، فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخو عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبة، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك ذكره وذكر ما فعل به. وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله. فـأى عمل يبقى بعد هذا لا ألم لك، الا دفنا دفنا."

(٢٤٣)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، معاوية بن أبي سفيان لعنهم الله (٢)، الدولة الأممية (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، يوم القيمة (١)، الشام (١)، القتل (٣)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، المغيرة بن شعبة (١)، بنو هاشم (١)، الشهادة (١)، الهلاك (٣)

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٤

ورجاله المنتصرون هم: أخوه [الشرعى "؟!] زياد ابن أبيه، "والصحابي المنسن" عمرو بن العاص، "والداهية [التزيه "؟!] المغيرة بن شعبة، "وفاتح الحرمين" !! مسلم بن عقبة، " وأمثال هذه النماذج من الغيارى على روحيات الإسلام!!..

وفي مجازر (زياد) في الكوفة، وفتن (عمرو) في صفين ودومة الجندي، ومساعي أول مرتش في الإسلام (المغيرة بن شعبة) لتنصيب يزيد للخلافة والإلحاق زياد للاخوة، وموافق (ابن عقبة) من المدينة والكبعة، كفاية للاطمئنان على الرقم القياسي الذي صعدت إليه غيره كل من هؤلاء، على التراث الإسلامي، وعلى مقدسات الإسلام، وعلى مصالح المسلمين.

انهم عملوا ما عملوا، وهم إذ ذاك على مسمع ومشهد، من آل محمد والصفوة الباقيه من تلامذة محمد (ص) ومن أشياعهم الأمراء بالمعروف والناهين عن المنكر، والواقفين لهم بالمرصاد.

فكيف بهم، وماذا كانوا يعملون، لو أصفرت الدنيا من آل محمد وعباد الله الصالحين؟؟.

* * * ان النتائج الواضحة المستقيمة التي لا عوج في تأويتها، هي أن الإمام

(٢٤٤)

مفاهيم البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، مسلم بن عقبة المرى (١)، المغيرة بن شعبة (٢)، عمرو بن العاص (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٥٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٥

الحسن عليه السلام لو سخا بنفسه وبشيته، وفرضنا أنه كان قد استطاع حضور ميدانه في "مسكن،" لحكم على نفسه بالموت حتى لا يبقى اسمه إلا في كتب الأنساب، وعلى مبدئه المقدس بالاعدام حتى لا يبقى منه أي أثر بين سمع الأرض وبصرها، ولرأيت تاريخه المجيد وتاريخ بيته العتيق، أسطورة مشوهة من أبغض الأساطير، ي مليها معاویة كما يشهي، ويشرحها بعده مروان وآل مروان كما يشاؤون.

وكان معنى ذلك نهاية تاريخ الروحية الإسلامية، وبداية تاريخ أموى له طابعه المعروف وخصائصه الغنية عن البيان.

وفي الحديث الشريف "لو لم يبق من بنى أمية لا عجوز درداء لبعت دين الله عوجا (١.١)." ترى، فهل كان في امكان الحسن غير ما كان؟.

وان أقل استقراء وتدبر، يثبتان أنها كانت أفضل طريقة للتخفيف من عرامه الاجراءات المتوقعة، بل كانت الطريقة الوحيدة التي لا ثانية لها.

وحفظ الحسن بها - حين استيقن بهذه النتائج كحقائق واقعه - خطوط اتصال أبيه وجده عليهما الصلاة والسلام، من طريق البقاء على شيعته، وأنقذ بذلك مبدأه من الإبادة المحققة، وسان تاريخه من التشويه والتزوير والمسخ والازدراء. وانتزع من الخذلان الذي حرق به في دنياه، الانتصار اللامع لروحه وعقيدته وأخراه. وهكذا ترك الدنيا ليحفظ الدين.

وذلك هو طابع الإمامة في هذه الزمرة المباركة من آل الله.

(١) الخرائح والجرائح لسعيد بن هبة الله الرواundi المتوفى سنة ٥٧٣ (ص ٢٢٨).

القسم الثالث: الصلح، دوافع الفريقين للصلح

(٢٤٥)

مفاهيم البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهم السلام (١)، بنو أمية (١)، الموت (١)، الصلاة (١)، كتاب الخرائح والجرائح للقطب الرواundi (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، سعيد بن هبة الله (١)، الوفاة (١)

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٨

وما كان بداعاً من محاولات معاوية فيما يهدف اليه، أن يتذر هو إلى طلب الصلح (١)، فيعطي الحسن كل شرط، ليأخذ عليه شرطاً واحداً هو "الملك".

وقرر معاوية خطته هذه، في بحران نشاط الفريقين للحرب، وكان في توفره على تنفيذ هذه الخطّة، أعنف منه في عمله لتنظيم المعسكرات وتدبير شؤون الحرب. ورأى ان يبادى الحسن بطلب الصلح، فان أجب إليه فذاك، والا فلينتزعه انتزاعاً، دون أن يلتحم والحسن في قتال.

وكان عليه قبل كل شيء، أن يصطنع في سبيل التمهيد إلى غايته، ظرفاً من شأنه أن ينبه خصومه إلى ذكر الصلح. ومن هنا طلعت على معسكرات الحسن عليه السلام، ألوان الأراجيف، وعمرت سوق الرشوات، وجاء في قائمة وعوده التي خلب بها أبابكثير من الزعماء أو المتزعمين: رئاسة جيش، وولاية قطر، ومصاہرة على أميرأً مويأً!!.. وجاء في أرقام رشواته النقدية الف الف [مليون]!!.

واستعمل في سبيل هذه الفكرة كل قواه وكل موهابه وكل تجاربه، واستجابة له كثيرون من باعة الصمائر الذين كانوا لا يفارقون الحسن ظاهراً فإذا هم عيون معاوية التي ترى، وأصابعه التي تعمل، وعملاؤه الذين لا يدخلون وسعاً في ترويج أهدافه.

(١) هذا هو الصحيح كما دل عليه خطاب الحسن فيما استشار به أصحابه في "المدائن" فقال: "ألا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة، .. وكما دلت عليه مصادر أخرى خلافاً لبعض المؤرخين الآخرين، والترجح لخطاب الحسن عليه السلام.

(٢٤٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهمما السلام (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الهدف (١)، القتل (١)، الحرب (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٩

وكانت الجيوش والأسلحة والحرّكات السوقية في الزحف إلى المعسكرات، هي الأخرى بعض وسائله إلى الصلح، ولم يشأ أن يبدأ بهم غاراته على العراق، لأنّه لن يلتحم مع الحسن بقتال، إلا إذا أعيته الوسائل كلها، والوسائل في عرف معاوية، غير الوسائل في عرف الناس أو في عرف الدين الجديد.

ومن الحق أن نقول: إن وسائله في هذا الميدان، كانت من النوع المحبوب الصنع، الدقيق الأساليب، الموفق كل التوفيق، في سبيل الغرض الذي رمى إليه، من اصطناع الطرف الخاص الذي يذكر عدوه بالصلح.

إذا باع القائد في جبهة العراق ضميره لمعاوية بالمال، وباع معه أكثر الرؤساء ضمائرهم بالعدايات.

إذا أصبح المعسكران في مسكن والمدائن يungan بالشائعات التي راحت تمطرهما بوابل من الويل والثبور والمخاوف.

إذا أصبح الحسن نفسه لا يتسرى له تنفيذ أوامره في جيشه بما فعلته الأراجيف من حوله، بل لا يستطيع الظهور بشخصه أمام الكثرة من جنوده، الا ليغتال بين مضاربه وعلى سواعد أصحابه.

فهل من سبيل الا الصلح؟..

* * * انه الظرف الذي استعصى صلاحه بفساد ناسه، ولا- تشريب على الحسن من ظرفه إذا فسد، وناسه إذا فشت فيهم الفتنة، وان

ل انحراف الطبائع حكمه، ولحداثة الاسلام خاصتها، في القلقين من المسلمين أو في المفروضين على الاسلام فرضا. وإذا قدر للحسن أن يخسر بخيانة جنوده، أو ببراعة الفتن التي تسلح بها عدوه "معركته الأولى،" فليكن منذ اليوم عند "معركته الثانية" التي لا تناهيا خيانة الجنود، ولا يضرها انحراف الطبائع، ولا تزيدها (٢٤٩)

مفاتيح البحث: دولة العراق (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، القتل (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

صفحة ١٥٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٠

دسائس العدو ولا أساليب فتنه البارعة الا مضاء ونفوذا وانتصارا مع الأيام.

وتلك هي "الفذلكة" التي أجاد الحسن استغلالها كأحسن ما تكون الإجاده، واستغفل بها معاویة أشد ما يكون في موقفه من الحسن يقطنة ونشاطها وانتباها.

انه لبى طلب معاویة للصلح، ولكنه لم يلبه الا ليركسه في شرط لا يسع رجلا كمعاویة الا أن يجهز في غده القريب بنقضها شرطا شرطا. ثم لا يسع الناس - إذا هو فعل ذلك - الا ان يجاهروه السخط والانكار، فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجيال، وإذا بهذا السخط نواة الثورات التي تعاونت على تصفية السيطرة الاغتصابية في التاريخ.

ول يكن هذا هو التصميم السياسي الذي نزل الحسن من طريقه إلى قبول الصلح، ولتكن هذه هي الفذلكة التي استغفل بها معاویة فكانت من أبرز معانى العبرية المظلومة في الامام المظلوم.

وأى غضاضة على الحسن - بعد هذا - إذا هو وقع الصلح وفق الخطط المرسومة.

وان له من حراجة ميدانه الأول، ومن الامل بنتائج ميدانه الثاني ما يزين له حديث الصلح، فضلا عما يستأثر به هذا الحديث من ظاهرة الاصلاح في الأمة، وما يتافق معه من حقن الدماء وصيانة المقدسات، وتحقيق وجهة النظر الاسلامي.

وكانت أشهرها لم تناهز عدد الأصابع العشر، ولكنها ناهزت عدد النجوم هزا هزا وزعزع، وكانت قطعة من الزمن يتوجه إليها القلب بكل ما يملكه من حب واعجاب، فاحت بروائح النبوة، وتجلت فيها مزايا الإمامة الصادقة، وتكشفت على قلتها وقصر مدتها عن حقائق كثير

كثير من

(٢٥٠)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (٥)، الظلم (١)

صفحة ١٥٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥١

الناس هنا وهناك. وهي الأشهر التي ختمت أعمالها بأفضل خواتيم الاعمال في الاصلاح، ووصلت بخاتمتها الفضلية مصلحة الدنيا بمصلحة السماء.

وإذا بالحسن بن علي، هو ذلك المصلح الأكبر، الذي بشر به جده رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث الذي سبق ذكره "ان ابني هذا سيد وسيصلاح الله به بين فتنيين عظيمتين من المسلمين."

وان الله سبحانه عود أهل هذا البيت أن يحفظ لهم الشرف في أعلى مرتبة وفي مختلف ميادينه، فان لم يكن بالانتصار بالسلاح، فليكن بالشهادة الكريمة في الله وفي التاريخ. وان لم يكن بهذا ولا ذاك فليكن بالاصلاح وجمع الكلمة وتوحيد أهل التوحيد. وكفى

بالاصلاح شرفاً وكفى ببقاء الشرف انتصاراً. وبقاء الشرف ضمان لبقاء العزة. والعزة حافز دائم يدفع إلى الحياة ويقوم على السيادة. ومن السهل ان نفهم دوافع الحسن إلى الصلح مما ذكرنا.

* * * أما دوافع معاوية التي اندلعت بها من جانبه إلى طلب الصلح، فقد كانت من نوع آخر لا يرجع في جوهره إلى العجز عن القتال، ولا ينظر في واقعه إلى وجهة نظر دين أو اصلاح أو حقن دماء، فلا-الاصلاح ولا حقن الدماء بالذى يعني به معاوية فينزل له عن مطامعه في الفتح. وفي غاراته على المدينة ومكة واليمين، وموافقه الجريئة بصفتين، ما يزيدنا بصيرة في معرفة الرجل وان قل عارفوه. إذًا، فليكن طموحاً نفعياً خالصاً، هو الأشبه بتاريخ معاوية الذي جاء تاريخه أشبه باسطورة.

انه خيل اليه بأن تنازل الحسن له عن الحكم، سيكون معناه في الرأي العام، تنازله عن "الخلافة". وظن أنه سيصبح - على هذا - (٢٥١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الحسن بن على (١)، الكرامة (١)، الشهادة (١)، القتل (١)

صفحة ١٥٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٢
"الخليفة الشرعي في المسلمين (١.١)"

وكان الحلم اللذيد الذي استرخص في سبيله كل غال، وخفى عليه أن الاسلام أعز جانباً من أن يهضم الأساليب الهوج، أو يعطي اقليله للطلقاء وأبناء الطلقاء.

هذا، ولا-ننكر ان يكون لمعاوية بواحد آخرى جعلت منه انساناً آخر ينكر الحرب ويمد يده إلى الصلح ويوقع الشروط ويحلق الايمان ويؤكد الموثيق. ولكننا - إذ نتحرى بواعثه الآخرى - لا-نزول عن الاعتقاد بأن الحلم اللذيد الذي ذكرنا، كان أكبر دوافعه وأشد بواعثه.

وفيما يلى قائمة مناسبات، تصلح لأن تكون بعض دوافعه إلى الصلح:

١ - انه كان يرى أن الحسن بن على عليهما السلام، هو صاحب الحق في الامر، ولا سبيل إلى اقتناص "الامر" الا من طريق إسكات الحسن - ولو ظاهراً - ولا سبيل إلى إسكاته الا بالصلح.

اما رأيه بأولوية الحسن بالامر، فقد جاء صريحاً في كتاب اليه قبيل زحفهما للصراع في مسكن، بقوله له "انك أولى بهذا الامر وأحق به". وجاء صريحاً فيما قاله لابنه يزيد على ذكر أهل

(١) وللحسن البصري كلامته الذهبية في هذا الموضوع [انتظرها فيما تقرأ عن "معاوية والخلافة" في الفصل ١٧]. وأخرج أحمد في مستنده وأبو يعلى والترمذى وابن حيان وأبو داود والحاكم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : "الخلافة بعدى ثلاثون ثم ملك بعد ذلك "ولبلغت أبي نعيم في الفتن والبيهقي في الدلائل وغيرها : ثم تكون ملكاً عضوضاً." والحديث عند جماعة أهل السنة صحيح على شرطهم، وقال قائلهم فيما علق عليه : "انتهت الثلاثون سنة بعده صلي الله عليه (وآله) وسلم بخلافة الحسن بن على عليهما السلام،" وأخرج أبو سعيد عن عبد الرحمن بن أبي زيد عن عمر أنه قال : "هذا الامر في أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقى منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطيق ولا لولد طيق ولا لمسلمة الفتح شيء."

أقول: أما بيته التي أخذها على الناس بأساليبها المعروفة، فلن يجعل غير الجائز جائزًا.

(٢٥٢)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، العزة (١)، الحرب (١)، كتاب

مسند أحمد بن حنبل (١)، الحافظ أبو نعيم (١)

صفحة ١٥٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٣

البيت " يا بني ان الحق حقهم (١،)" وفيما كتبه إلى زياد ابن أبيه حيث يقول له على ذكر الحسن عليه السلام " : وأما تسلطه عليك بالامر فحق للحسن أن يتسلط (٢.٢).")

وكذلك رأينا يستفتى الإمام الحسن، فيما يعرض له من معضلات كمن يعترف بإمامته (٣).
ويعرف للحسن بأنه " سيد المسلمين (٤.٤)" وهل سيد المسلمين إلا إمامهم؟ .

٢ - انه كان - على كثرة الوسائل الطبيعية لامرها - شديد التوجس من نتائج حربه مع الحسن، ولم يكن كتوماً (كما يدعى لنفسه) يوم قال في وصف خصوصه العراقيين " : فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس على عقل (٥،)" ويوم قال فيهم " ما لهم غضبهم الله بشر، ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد (٦،)" فكان يرى في الجنوح إلى الصلح، مفرا من منازلة هؤلاء ومواجهة عيونهم تحت المغافر !!.

٣ - انه كان يهاب موقع الحسن ابن رسول الله (ص) في الناس، ومقامه الروحي الفريد في العقيدة الإسلامية، فيتقى حربه بالصلح.
وكان يرى من الجائز، أن يقيض الله لمعسكر الشام من يتطلع لتنبيه الناس فيه إلى حقيقة أمر الحسن وفطاعة موقفهم منه، الامر الذي من شأنه ان لا يتأخر ب المسلمين في جبهة معاوية عن

(١) و (٢) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ٥ وص ١٣ وص ٧٣).

(٣) وتجد الشواهد الكثيرة على ذلك فيما أورده اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ ص ٢٠١ وص ٢٠٢)، وفيما استعرضه ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٨ ص ٤٠)، وفيما رواه في البحار (ج ١٠ ص ٩٨).
(٤) الإمامية والسياسة (ص ١٥٩ - ١٦٠).

(٥) المسعودي هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٦٧) وغيره.

(٦) الطبرى (ج ٦ ص ٣).

(٢٥٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، صلح (يوم) الحدبى (٢)، الشام (١)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٥٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٤

الانتقاد عليه والنکول عنه، وبالجيش كله عن الانهيار أخيرا.

وكان معاوية لا يزال يتذكرة في زحفه على الحسن، حديث النعمان بن جبلة التنوخي معه في " صفين - " وهو إذ ذاك أحد رؤساء جنوده المحاربين -، وقد صارحه بما لم يصارحه بمثله شامي آخر، وسخر منه بما لم يسخر بمثله رعية من سلطان. وما يؤمن معاوية أن يشعر الناس تجاهه - اليوم - شعور ذلك التنوخي المغلوب على أمره - يومئذ.

وكان مما قاله هذا التنوخي لمعاوية في صفين " : والله لقد نصحتك على نفسك، وآثرت ملكك على ديني، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه، وحدت عن الحق وأنا أبصره، وما وافت لرشد وأنا أقاتل عن ملك ابن عم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وأول

مؤمن به ومهاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناكم، لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية، ولكن قد بذلك لك الامر، ولابد من اتمامه كان غياً أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً. وسنقاتل عن تين العوطة وزيتونها، إذا حرمنا أثمار الجنّة وأنهارها!.. (١.)"

وكان من سياسة معاوية، حبس أهل الشام عن التعرف على أحد من كبراء المسلمين - خارج الشام - لثلا يكون لهم من ذلك منفذ إلى انكاره أو الانقسام عليه. ولذلك فلا نعرف كيف تسنى لهذا الشامي معرفة ابن عم رسول الله (ص) ومعرفة سبقة إلى الإيمان ورافقه الناس وكرمه في العطاء وأولويته بالأمر.

وحرى معاوية على تجھيل أهل الشام بأعلام الإسلام إلى آخر عهده، وكانت سياسته هذه، هي أداته في التجمعات التي ساقها لحروب صفين أولاً، ولحرب الحسن بن علي في مسكنه أخيراً.

وتجد ظاهرة هذه السياسة - بما فيها من إعلان عن ضعف

(١) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٥ ص ٢١٦).

(٢٥٤)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الحسن بن علي (١)، الشام (٣)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٦٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٥

صاحبها - فيما قاله معاوية ذات يوم لعمرو بن العاص وفدى تحدي الحسن بن علي (عليهما السلام)، فرد عليه الحسن بتحديه البليغة التي لم يسلم منها المحرض عليها - أيضاً - فقال معاوية لعمرو "والله ما أردت إلا هتكى، ما كان أهل الشام يرون أن أحداً مثلى حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا (١.)"

٤ - وكان من الرشاقة السياسية التي لا يخطئها معاوية في سبيل طموحه الأناني إلا نادراً، أن يدعوه إلى "الصلح" فيلح عليه ويشهد على دعوته هذه أكبر عدد ممكن من الناس في القطرين - الشام وال العراق - وفيسائر الآفاق التي يصلها صوته من بلاد الإسلام. ثم هو لا يقصد من وراء هذه الدعوة - على ظاهرتها - إلا التمهيد لغذه القريب الذي ستكتشف عنه نتائج الحرب بينه وبين الحسن. وكان أحد الوجهين

(١) المحاسن والمساوئ للبيهقي (ج ١ ص ٦٤).

وفي القصص التاريخي نوادر كثيرة عن جهل أهل الشام بأعلام الإسلام فمن ذلك أن أحدهم سأله رجلاً من زعمائهم وذوى الرأى والعقل فيهم "من أبو تراب الذي يلعن الإمام - يعني معاوية! - على المنبر؟" قال "أراه لصا من لصوص الفتنة" !!! وسأل شامي صديقاً له وقد سمعه يصلى على محمد (ص): ما تقول في محمد هذا، أربنا هو؟"

ولما فتح عبد الله بن علي الشام سنة ١٣٢ هجري وجه إلى أبي العباس السفاح أشيائحاً من أهل الشام من أرباب النعم والرئاسة، فحلفوه لأبي العباس أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أمية، حتى ولitem الخلافة"!!

يراجع عنه مروج الذهب على هامش الجزء السادس من الكامل لابن الأثير (ص ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩).

أقول: وهذا يدل على أن عامة الملوك والأمويين نهجوا على سياسة معاوية في تجھيل الناس بعظمائهم ولا سيما بأهل البيت عليهم السلام ومنع نفوذ أسمائهم إلى الشام. ويidel - أيضاً - على مبلغ عناية أولئك الشاميين بسلامتهم. والمظنو أن الشام - على العهد الأموي - كانت لا تزال تزخر بأكثرية غير مسلمة من بقایا أهلها الأصليين - الروم والآراميين - ولا نعهد غير قضية الفتح عملاً جدياً آخر كان من شأنه أن يغير القديم عن قدمه، ولا نعهد تصريحاً تاريخياً ينقض علينا هذا الظن.

(٢٥٥)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، عمرو بن العاص (١)، الشام (٧)، الحرب (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، الدولة الأموية (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، عبد الله بن على (١)، بنو أمية (١)، الظن (١)، الجهل (١)

صفحة ١٦١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٦

المحتملين، أن يدال للشام من الكوفة وأن تقضى الحرب وذيلها على الحسن والحسين وعلى من اليهما من أهل بيتهما وشيعتهم. ولا تدبیر - يومئذ - للعدر من هذه البائقة الكبرى أروع من أن يلقى معاویة مسؤوليتها على الحسن نفسه، ويقول للناس - غير كاذب " - انى دعوت الحسن للصلح، ولكن الحسن أبى الا الحرب، وكنت أريد له الحياة، ولكنه أراد لى القتل، وأردت حقن الدماء، ولكنه أراد هلاك الناس بيّني وبينه. " ...

ولمعاویة من هذه اللباقة الرائعة أهدافه التي لا تتأخر به عن تصفيه الحساب مع آل محمد (ص) تصفيته الأموية الأخيرة، وهو إذ ذاك المنتصر العادل المتظاهر بالانصاف، الذي يشهد له على انصافه كل من كان قد أشهده - قبل الحرب - على ندائها بالصلح. أما الحسن عليه السلام، فلم يكن الرجل الذي تفوته الرشاقة السياسية ولا الأساليب الدقيقة التي يبرع فيها عدوه لكتابه. وإنما كان - على كل حال - أكبر من عدوه دماء، وأبشع منه في استغلال الظروف واقتناص الفرص السانحة التي تجتمع عليها كلمة الله وكلمة المصلحة معا. فرأى من ظروفه المتداعية، ومن سوء نوايا عدوه فيما أراد من الدعوة إلى "الصلح،" ما استدعاه إلى الجواب بالإيجاب. ثم لم يكفه أنه قضى بذلك على خطط معاویة وشلها عن التنفيذ، حتى أخذ يضع الخطة الحكيمه من جانبه للقضاء على خصومه باسم الصلح. وسيجيئ في الفصول القريبة التوضيح اللاقى بالموضوع.

معاهدة الصلح

(٢٥٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٥)، القتل (١)، الشهادة (١)، الحرب (٣)

صفحة ١٦٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٨

وروى فريق من المؤرخين، فيهم الطبرى وابن الأثير " : أن معاویة أرسل إلى الحسن صحيفة يضاء مختوما على أسفلها بختمه، " وكتب اليه " : أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت، فهو لك (١.١)." ثم بتروا الحديث، فلم يذكروا بعد ذلك، ماذا كتب الحسن على صحيفة معاویة. وتبعنا المصادر التي يسر لنا الوقوف عليها، فلم نر فيما عرضته من شروط الحسن عليه السلام، الا التتف الشوارد التي يعترف رواتها بأنها جزء من كل. وسجل مصدر واحد صورة ذات بدء وختام، فرض أنها [النص الكامل لمعاهدة الصلح]، ولكنها جاءت - في كثير من موادها - منقوصة بروايات أخرى تفضلها سندًا، وتزيدها عددا.

* * ولنا لو أردنا الاكتفاء، أن نكتفى - في سبيل التعرف على محتويات المعاهدة - برواية (الصحيفة البيضاء)، كما فعل رواتها السابقون، فبتروها اكتفاء باجمالها عن التفصيل، ذلك لأن تنفيذ الصلح على قاعدة "اشترط ما شئت فهو لك" معناه أن الحسن

أغرق الصحيفة المختومة في أسفلها، بشتى شروطه التي أرادها، فيما يتصل بمصلحته، أو يهدف إلى فائدته، سواء في نفسه أو في أهل بيته أو في شيعته أو في أهدافه، ولا شيء يحتمل غير ذلك.

وإذا قدر لنا - اليوم - أن لا - نعرف تلك الشروط بمفرداتها، فلنعرف أنها كانت من السعة والسامحة والجنوح إلى الحسن، بحيث صحت ما يكون من الفقرات المنقولة عن المعاهدة أقرب إلى صالح الحسن،

(١) الطبرى (ج ٦ ص ٩٣) وابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٢).

(٢٥٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، ابن الأثير (٢)، الوسعة (١)، الهدف (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

صفحة ١٦٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٥٩

ورجحه على ما يكون منها في صالح خصومه، كنتيجة قطعية لحرية الحسن عليه السلام في أن يكتب من الشروط ما يشاء.

ورأينا بدورنا، وقد أخطأنا التوفيق عن تعرف ما كتبه الحسن هناك، أن ننسق - هنا - الفقرات المنتشرة في مختلف المصادر من شروط الحسن على معاویة في الصلح، وأن نولف من مجموع هذا الشتات صورة تحفل بالأصل الأهم، مما حملته الروايات الكثيرة عن هذه المعاهدة، فوضعنا الصورة في مواد، وأضفنا كل فقرة من الفقرات إلى المادة التي تناسبها، لتكون - مع هذه العناية في الاختيار والتسجيل - أقرب إلى واقعها الذي وقعت عليه.

واليك هي صورة المعاهدة التي وقعتها الفريقان المادة الأولى:

تسليم الامر إلى معاویة، على أن يعمل بكتاب الله وبسنّة رسوله (١) (صلى الله عليه وآله)، وبسيرة الخلفاء الصالحين (٢).

المادة الثانية:

أن يكون الامر للحسن من بعده (٣)، فان حدد به حدث

(١) المدائني - فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج - (ج ٤ ص ٨).

(٢) "فتح الباري" شرح صحيح البخاري - فيما رواه عنه ابن عقيل في النصائح الكافية - (ص ١٥٦ الطبعة الأولى)، والبحار (ج ١٠ ص ١١٥).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ١٩٤)، وابن كثير (ج ٨ ص ٤١)، والإصابة (ج ٢ ص ١٢ و ١٣)، وابن قتيبة (ص ١٥٠) ودائرة المعارف الإسلامية لفرید وجدى (ج ٣ ص ٤٤٣ الطبعة الثانية) وغيرهم.

(٢٥٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، ابن أبي الحديد المعتزلى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب الكافية للشيخ المفيد (١)، كتاب صحيح البخارى (١)، كتاب فتح البارى (١)

صفحة ١٦٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٠

فالأخيم الحسين (١)، وليس لمعاویة أن يعهد به إلى أحد (٢).

المادة الثالثة:

أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلة (٣)، وأن لا يذكر عليا إلا بخير (٤).

المادة الرابعة:

استثناء ما في بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر. وعلى معاویة أن يحمل إلى الحسين كل عام الفى الف درهم، وأن يفضل بنى هاشم في العطاء والصلات على بنى عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف الف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد (٥).

المادة الخامسة:

"على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم

(١) عمدة الطالب لابن المها (ص ٥٢).

(٢) المدائى - فيما يرويه عنه في شرح النهج - (ج ٤ ص ٨)، والبحار (ج ١٠ ص ١١٥)، والفصول المهمة لابن الصباغ وغيرهم.

(٣) أعيان الشيعة (ج ٤ ص ٤٣).

(٤) الأصفهانى في مقاتل الطالبين (ص ٢٦)، وشرح النهج (ج ٤ ص ١٥) وقال غيرهما "ان الحسن طلب إلى معاویة أن لا يشتم عليا، فلم يجبه إلى الكف عن شتمه، وأجابه على أن لا يشتم عليا وهو يسمع. قال ابن الأثير "ثم لم يف به أيضا".

(٥) تجد هذه النصوص متفرقة في الإمامة والسياسة (ص ٢٠٠) والطبرى (ج ٦ ص ٩٢) وعلل الشرائع لابن بابويه (ص ٨١) وابن كثير (ج ٨ ص ١٤) وغيرهم.

و (دار ابجرد) ولاية بفارس على حدود الأهواز. وجراً أو جرداً هي البلد أو المدينة بالفارسية القديمة والروسية الحديثة، فتكون دار ابجرد بمعنى (مدينة دار ابجرد).

(٢٦٠)

مفاییح البحث: مدينة الكوفة (١)، بنو هاشم (١)، القتل (٢)، السب (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب علل الشرائع للصدقون (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهانى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٤٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦١

وعراهم وحجازهم ويعنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وان يتحمل معاویة ما يكون من هفوائهم، وأن لا يتبع أحدا بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة (١.١)." (٢)

"وعلى أمان أصحاب على حيث كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعة على بمكروه، وأن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب على حيث كانوا.. (٢.٢)." (٣)

"وعلى أن لا يغى للحسن بن على، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم، في أفق من الآفاق (٣.٣)." (٤)

الختام:

قال ابن قتيبة "ثم كتب عبد الله بن عامر - يعني رسول معاویة إلى الحسن (ع) - إلى معاویة شروط الحسن كما أملتها عليه، فكتب معاویة جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة، والإيمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه به إلى عبد الله

- (١) المصادر: مقاتل الطالبين (ص ٢٦)، ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٥)، البحار (ج ١٠ ص ١٠١ و ١١٥)، الدينوري (ص ٢٠٠)، ونقلنا كل فقرة من مصدرها حرفيا.
- (٢) يتفق على نقل كل فقرة أو فقرتين أو أكثر، من هذه الفقرات التي تتضمن الأمان لأصحاب على عليه السلام وشيعته، كل من الطبرى (ج ٦ ص ٩٧)، وابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٦)، وأبى الفرج فى المقاتل (ص ٢٦)، وشرح النهج (ج ٤ ص ١٥)، والبحار (ج ١٠ ص ١١٥)، وعلل الشرائع (ص ٨١)، والنصائح الكافية (ص ١٥٦).
- (٣) البحار (ج ١٠ ص ١١٥)، والنصائح الكافية (ص ١٥٦ - ط. ل.).

(٢٦١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، عبد الله بن عامر (١)، الشام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، كتاب علل الشرائع للصادق (١)، ابن أبي الحديد المعتل (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهانى (١)، كتاب الكافية للشيخ المفيد (٢)، ابن الأثير (١)، الفرج (١)

صفحة ١٦٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٢
ابن عامر، فأوصله إلى الحسن (١.).

وذكر غيره نص الصيغة التي كتبها معاویة في ختام المعاهدة فيما واثق الله عليه من الوفاء بها، بما لفظه بحرفه:
"وعلى معاویة بن أبی سفیان بذلك، عهد الله ومیثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه (٢).
وكان ذلك في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ - على أصح الروايات -.

(١) الإمامة والسياسة (ص ٢٠٠).

(٢) البحار (ج ١٠ ص ١١٥).

دراسة النصوص البارزة في المعاهدة

(٢٦٢)

مفاتيح البحث: معاویة بن أبی سفیان لعنهم الله (١)، شهر جمادى الأولى (١)

صفحة ١٦٧

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٤

لتكون صيغة المعاهدة بما لولوت عليه من عناصر موضوعية لها أهميتها في الناحيتين الدينية والسياسية، شاهدا جديدا على ما وفق له واضح بنودها من سمو النظر في الناحيتين جميعا.

ومن الحق ان نعرف للحسن بن على عليهما السلام - على ضوء ما أثر عنه من تدابير ودساتير هي خير ما توصل اليه الباقة الدبلوماسية لمثل ظروفه من زمانه وأهل زمانه - بالقابليات السياسية الرائعة التي لو قدر لها أن تلى الحكم في ظرف غير هذا الظرف، وفي شعب أو بلاد رتبية بحوارتها ودوافعها، لجاءت بصاحبها على رأس القائمة من السياسيين المحنكين وحكام المسلمين اللامعين. ولن يكون الحرمان يوما من الأيام، ولا الفشل في ميدان من الم Yad din بدوافعه القائمة على طبيعة الزمان، دليلا على ضعف أو منفذا إلى نقد، ما دامت الشواهد على بعد النظر وقوه التدبير وسمو الرأى، كثيرة متضافة تكبر على الريب وتنبو عن النقاش.

وللقابليات الشخصية مضاؤها الذي لا يعدم مجال العمل، مهما حد من تيارها الحرمان أو ثنى من عنانها الفشل. وها هي ذى من لدن

هذا الرجل العظيم تستجد - منذ الآن - ميدانها البكر، القائم على الفكر الجديدة القائمة على صيانة حياة أمّة بكاملها في حاضرها ومستقبلها، بما تضعه في هذه المعاهدة من خطوط، وبما تستقبل به خصومها من شروط.

وانك لتلمح من بلاغة المعاهدة بمدادها الخمس، أن واضعها لم يعالج موضوعه جزافاً، ولم يتناوله تفاريق وأجزاء، وإنما وضع الفكره وحدة متماسكة الأجزاء متناسبة الاتجاهات. وتتوفر فيها على تحري أقرب المحتملات إلى التنفيذ عملياً، في سبيل الاحتياط لثبوت حقه الشرعي، وفي

(٢٦٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الخمس (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٦٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٥

سبيل صيانة مقامه ومقام أخيه، ويسير شؤون أسرته وحفظهم، واعتصم فيها بالأمان لشيعته وشيعة أبيه وإنعاش أيتامهم، ليجزيهم بذلك على ثباتهم معه ووفائهم مع أبيه، وليحتفظ بهم أمناء على مبدئه وأنصاراً مخلصين لتمكين مركزه ومركز أخيه، يوم يعود الحق إلى نصابه. وسلم فيها "الأمر" إلى معاوية مشرطاً بالعمل على سنة النبي (ص) وسيرة الخلفاء الصالحين، فقلص بذلك من نفوذه عدوه في "الأمر" بما عرضه - من وراء هذا الشرط - للمخالفات التي لا عد لها ولا حد لنقمتها، وهو إذ ذاك اعرف الناس بمعاوية وبقبلياته الخلقة تجاه هذا الشرط.

والمعاهدة - بعد - هي الصك الذي وقعه الفريقان ليسجلا على أنفسهما الالتزام بما أعطى كل منها صاحبه وبما أخذ عليه. وهي هنا - على الأكثر - قضية "ماديات" محدودة لج في تحصيلها أحد الفريقين لقاء "معنيات" لا حد لها استثار بها الفريق الثاني. فلم يهدف معاوية في صلحه مع الحسن (ع)، الا للاستيلاء على الملك، ولم يرض الحسن بتسلیم الملك لمعاوية إلا ليصون مبادئه من الانحراف، وليرحظ شيعته من الإيادة، وليتأكد السبيل إلى استرجاع الحق المغصوب يوم موت معاوية. ومن سداد الرأى أن لا نفهم مغزى هذه المعاهدة إلا على هذا الوجه.

ولكى نتبين صحة هذا التفسير لأهداف الفريقين يوم صلحهما، علينا ان نتحلل هنا في سبيل الكشف عن حقيقة تاريخية لها أهميتها، من التبعد بأقوال المؤرخين وبتصراتهم، وأن نرجع توا إلى تصريحات الشخصية التي فاه بها كل من المتعاقدين أنفسهما، فيما يمت إلى عناصر اتفاقيهما هذه، أو فيما يلقى الضوء على تفسير ما يفتقر إلى التفسير منها. ولعلنا سنصل من وراء هذا الأسلوب في طريقة الاستنتاج، إلى حل شئ كثير من الرموز التي استعصى حلها على كثير من الأصدقاء في التاريخ.

(٢٦٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)، الهدف (١)

صفحة ١٦٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٦

١ - تصريحات الفريقين:

ويكفيانا الآن من تصريحات معاوية بعد الصلح، فيما يمت إلى معاهدته مع الحسن عليه السلام قوله فيما يرويه عنه كثير منهم ابن كثير (١): رضينا بها ملكاً، "وقوله في التمهيد لهذه المعاهدة - قبل الصلح - فيما كان يرسل به الحسن": ولكن لا يستولي عليك

بالإساءة ولا تقضى دونك الأمور ولا تعصى في أمر (٢.)["]

ويكفي من تصريحات الحسن (ع) ما قاله أكثر من مرة في سبيل افهم شيعته حياثات صلحه مع معاویة " : ما تدرؤن ما فعلت والله للذى فعلت خير لشيعتي مما طلت عليه الشمس . " وما قاله مرة أخرى لبشير الهمدانى وهو أحد رؤساء شيعته في الكوفة " : ما أردت بمصالحتى الا ان أدفع عنكم القتل (٣، ") وما قاله في خطابه - بعد الصلح " : أيها الناس ان الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاویة، وان أدرى لعله فتنه ومتاع إلى حين (٤.")

وليس في شيء من هذه التصريحات ولا في الكثير مما جرى على نسقها، سواء من معاویة أو من الحسن عليه السلام، ما يستدعينا إلى الالتواء في فهم العقد القائم بينهما، الذي لم يقصد منه الا الأهداف التي أشرنا إليها آنفا. فلمعاویة طموحه إلى الملك، وللحسن خطته في حماية الشيعة من القتل، وصيانة المبادئ الدينية التي هي خير مما طلت عليه الشمس، والمسالمة إلى حين.

ولا- بدعا - بعد هذا - في تقرير هذه الحقيقة على واقعها، وفي التنبية إلى جنف كثير من المؤرخين فيما حرفا من أهداف كل من المتعاقدين، وفيما أساءوا فهمه من نصوصهما. ولقد ترى، ان المعاهدة نفسها

(١) في تاريخه (ج ٦ ص ٢٢٠).

(٢) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٣).

(٣) الدينوري (ص ٢٠٣).

(٤) اليعقوبي (ج ٢ ص ١٩٢).

(٢٦٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهمما السلام (٣)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الهدف (١)، القتل

(٢)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)

صفحة ١٧٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٧

وتصريحات المتعاقدين أنفسهما، لم تنبس قط، بذكر بيعة ولا امامية ولا خلافة. فأين إذا، ما يدعى غير واحد من هؤلاء المؤرخين وعلى رأسهم ابن قتيبة الدينوري، من أن الحسن بايع معاویة على الإمامة!!!..

و قبل الانتقال إلى مناقشة هذا الموضوع، أو مناقشة القائلين به تقدم بتمهيد عابر عن نسبة الخلافة الإسلامية إلى معاویة بن أبي سفيان، وامتناع البيعة الشرعية لمثله، فنقول:

معاویة والخلافة:

لقد مر فيما ذكرناه بين أطواء المناسبات الآنفة، أن خلافة رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم في الإسلام لا ينبغي أن تكون إلا في أقرب المسلمين شبهها به في سائر مزاياه الفضلي، وأنه ليس لطريق ولا لولد طريق ولا لمسلمة الفتح شيء في هذا الأمر (كما قاله عمر)، وأن الخلافة بعد رسول الله ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً (الحديث كما صححه أهل السنة)، وأن لا امامية إلا بالنص والتعيين (كما عليه الشيعة والمعترلة)، وأن الغلبة والقوة لا يجعل غير الجائز جائزًا، فلا يصح أخذ الخلافة عنوة ولا فرضها على المسلمين قسراً، وأن الذي يكون خليفة النبي (ص) لا يمكن أن ينقاد - لا ظاهراً ولا سراً - إلى مناقضته في أحکامه، فيلحق العهار بالنسب ويصل إلى الجمعة يوم الأربعاء وينقض عهد الله بعد ميثاقه.

ونزيد هنا: أن قادة الرأى في الأمة الإسلامية منذ عهد معاویة وإلى يوم الناس هذا، لم يفهموا من استيلاء معاویة على الأمر، معنى الخلافة عن رسول الله (ص) بما في هذا اللفظ من معنى، رغم الدعاوة الأموية النشيطة التي تجنده لها الخلفاء الأميون من بنى أمية ومن

إليهم، زهاء الف شهر، هي مدة حكمهم في الإسلام، أنفقوا فيها الرشوّات بسخاء، ووضعوا فيها الأحاديث والأقصيّص وفق الخطط والأهواء، ثم بقي معاویة - مع كل ذلك - ملكاً دنيوياً وخليفةً اسميًا لا أقل ولا أكثر.

دخل عليه - بعد أن استقر له الأمر - سعد بن أبي وقاص فقال له:

(٢٦٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، معاویة بن أبي سفيان لعنهم الله (١)، الدولة الأموية (١)، مدرسة المعتلة (١)، بنو أمیة (١)، الصلاة (١)

صفحة ١٧١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٨

"السلام عليك أيها الملك" فضحك له معاویة وقال: "ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت: يا أمير المؤمنين،" قال: "أتقولها جذلان ضاحكا، والله ما أحب انى وليتها بما وليتها به (١)." وقال ابن عباس لأبي موسى الأشعري في كلام طويل: "وليس في معاویة خصلة تقربه من الخلافة (٢)." وقال أبو هريرة في سبيل انكاره خلافة معاویة فيما يرويه عن رسول الله (ص): "الخلافة بالمدينة والملك بالشام (٣)." وسئل سفيه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فيما أخرجه ابن أبي شيبة - عن استحقاق بنى أمیة للخلافة، فقال: "كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك، وأول الملوك معاویة (٤)." وأنكرت عائشة على معاویة ادعاه الخلافة وبلغه ذلك، فقال: "عجبنا لعائشة تزعم انى في غير ما أنا أهل، وأن الذي أصبحت فيه ليس لي بحق، مالها ولهذا يغفر الله لها (٥)." وحضر أبو بكرة (أخو زياد لامه) مجلس معاویة، فقال له: "حدثنا يا أبا بكرة،" فقال [فيما أخرجه ابن سعيد]: انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الخلافة ثلاثة ثلثون ثم يكون الملك قال عبد الرحمن بن أبي بكرة: "وكتت مع أبي فأمر معاویة فوجئ في أفقائنا حتى أخرجنا (٦)." (١) ابن الأثير في الكامل (ج ٣ ص ١٦٣) والنصائح الكافية (ص ١٥٨). (٢) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٧). (٣) ابن كثير (ج ٦ ص ٣٢١). (٤) النصائح الكافية (ص ١٥٣ - طبع إيران). (٥) شرح النهج (ج ٤ ص ٥). (٦) النصائح الكافية (ص ١٥٩ - ط. أ).

(٢٦٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، عبد الله بن عباس (١)، أبو هريرة العجلاني (١)، الشام (١)، الكذب، التكذيب (١)، السفينة (١)، دولة ايران (١)، كتاب الكافئة للشيخ المفيد (٣)، ابن الأثير (٢)

صفحة ١٧٢

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٦٩

وسائل معاویة صعصعة بن صوحان العبدى قائلاً: "أى الخلفاء رأيتُمُونِي،"؟ فقال صعصعة: "أى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً

ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً. أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمي، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير، فمن أجلب على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. وإنما أنت طليق وابن طليق أطلقكم راسوـل الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. فأني تصلح الخلافة لطليق؟! (١.)"

ودخل عليه صديقه المغيرة بن شعبة، ثم انكفا عنه وهو يقول لابنه "إنـي جـئت من أخـبـت النـاسـ!! (٢.)" ولعنه عامله سمرة يوم عزله عن ولاية البصرة، فقال "لـعـنـ اللهـ مـعـاوـيـهـ وـالـلـهـ لـوـ أـطـعـتـ اللهـ كـمـاـ أـطـعـتـهـ لـمـاـ عـذـبـنـيـ أـبـدـاـ (٣.)" وقال الحسن البصري "أربع خصال كنـىـ فـىـ مـعـاوـيـهـ لـوـ لـمـ يـكـنـ فـىـ مـنـهـنـ إـلـاـ وـاحـدـةـ لـكـانـتـ مـوـبـقـةـ:ـ اـنـتـرـأـوـهـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـمـةـ بـالـسـفـهـاءـ حـتـىـ اـبـتـزـهـاـ اـمـرـهـاـ (ـيـعـنـىـ الـخـلـافـةـ)ـ بـغـيرـ مـشـورـةـ مـنـهـمـ وـفـيهـمـ بـقـايـاـ الصـحـابـةـ وـذـوـوـ الـفـضـيلـةـ،ـ وـاستـخـلـافـهـ اـبـنـهـ بـعـدـهـ سـكـيـرـاـ خـمـيرـاـ يـلـبـسـ الـحرـيرـ وـيـضـرـبـ بـالـطـنـاـيـرـ،ـ وـادـعـأـوـهـ زـيـادـاـ وـقـدـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ (ـوـآـلـهـ)ـ وـسـلـمـ:ـ الـوـلـدـ لـلـفـرـاشـ وـلـلـعـاهـرـ الـحـجـرـ،ـ وـقـتـلـهـ حـجـرـ،ـ وـبـلـ لـهـ مـنـ حـجـرـ وـأـصـحـابـ حـجـرـ،ـ (ـمـرـتـيـنـ)ـ (ـ٤ـ.)ـ"

وأبي المعتزلة بيعة معاوية بعد الصلح، واعتزلوا الحسن ومعاوية جميعاً، وبذلك سموا أنفسهم "المعتزلة" (٥.).

(١) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٧).

(٢) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٤٢)، وابن أبي الحديد (ج ٢ ص ٣٥٧).

(٣) ابن الأثير فيما يرويه عنه في النصائح (ص ٩).

(٤) الطبرى (ج ٦ ص ١٥٧ - الطبعة الأولى).

(٥) كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: لمحمد بن أحمد الملطي المتوفى سنة ٣٧٧ هجري (ص ٢٨).

(٢٦٩)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، مدرسة المعتزلة (٢)، صلح (يوم) الحديبية (١)، المغيرة بن شعبة (١)، مدينة البصرة (١)، صعصعة بن صوحان (١)، الحسن البصري (١)، الباطل، الإبطال (١)، القتل (١)، اللبس (١)، ابن أبي الحديد المعتزلى (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، ابن الأثير (٢)، محمد بن أحمد (١)، الوفاة (١)

صفحة ١٧٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٠

ثم مشى موكب الزمان بتاريخ معاوية، فإذا به المثال الذي يضربه فقهاء المذاهب الأربع، للسلطان الجائر (١)..

وإذا به الباقي الذي يجب قتاله برأى أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٢).

فأين الخلافة المزعومة، يا ترى؟.

وجاء المعتضد العباسى، فنشر من جديد فعال معاوية وبوائقه الكجرى وما قيل فيه، وما روى فى شأنه. ودعا المسلمين إلى لعنه، فى مرسوم ملكى أذيع على الناس سنة ٢٨٤ للهجرة (٣).

وقال الغزالى بعد ذكره لخلافة الحسن بن على (ع): وأفضت الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق (٤.)

وكان أروع ما ذكره به القرن السادس، قول نقيب البصرة فيه "وما معاوية إلا كالدرهم الزائف (٥.)"

وصرح ابن كثير بنفى الخلافة عن معاوية استنادا إلى الحديث، قال "قد تقدم أن الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً، وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فأيام معاوية أول الملك (٦.)"

وقال الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هجرى بعد ذكره مدة خلافة الحسن (ع): وهي تكملة ما ذكره رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم

من مدة

- (١) وذلك في اتفاقهم على جواز تقلد القضاة من السلطان الجائر، استناداً إلى عمل الصحابة في تقلدهم القضاة من معاویة.
- (٢) قال أبو حنيفة : "أتدرؤن لم يبغضنا أهل الشام."؟ قالوا : لا. قال : لأننا نعتقد أن لو حضرنا عسکر على بن أبي طالب كرم الله وجهه، لكان نعین علیاً على معاویة، ونقاتل معاویة لأجل علی، فلذلك لا يحبوننا." يراجع النصائح الكافية لابن عقیل (ص ٣٦) فيما يرویه عن أبي شکور في كتابه "التمهید في بيان التوحید".
- (٣) نجد نص المرسوم على طوله في تاريخ الطبری (ج ١١ ص ٣٥٥).
- (٤) دائرة معارف القرن العشرين لغفرید وجدى (ج ٣ ص ٢٣١).
- (٥) أبو جعفر النقیب (ص ٤١ - طبع بغداد).
- (٦) البداية والنهاية (ج ٨ ص ١٩).
- (٢٧٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، السلطان الجائر (٢)، العuman بن ثابت (١)، مدينة البصرة (١)، الحسن بن علي (١)، الدميري (١)، القتل (١)، الوفاة (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب الكافئة للشيخ المفيد (١)، على بن أبي طالب (١)، كتاب تاريخ الطبری (١)، مدينة بغداد (١)، الشام (١)، البغض (١)، الجواز (١)

صفحة ١٧٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧١

الخلافة، ثم تكون ملکاً عضوضاً ثم تكون جبروتاً وفساداً في الأرض، وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).") وجاء محمد بن عقیل - أخيراً - فكتب كتابه الجليل "النصائح الكافية لمن يتولى معاویة" وهو بحق: القول الفصل في موضوع معاویة، وقد طبع الكتاب مرتين، فليراجع.

* * * وفي أباء التشريع الإسلامي مثل هذه الخلافة - أولاً -

وفي المخالفات الصلع التي ثبتت على معاویة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم - ثانياً -

وفي انکار قادة الرأي المسلمين عليه - في مختلف العصور الإسلامية - ادعاءه الخلافة - ثالثاً - ما يکفينا مؤنة البحث في موضوع (معاویة والخلافة).

وكذلك كان الحسن نفسه بعد تسليم الامر لمعاویة، صريحاً في نفي الخلافة عنه، شأنه في ذلك شأن سائر القادة من المسلمين. فقال في خطابه يوم الاجتماع في الكوفة : "وان معاویة زعم أنى رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاویة. نحن أولى الناس

بالناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه." وسيأتي ذكر خطابه هذا في [الفصل ١٨]

وقال في خطاب آخر له - بعد الصلح - وكان معاویة حاضراً : "وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً، ولكن ذلك ملک أصاب ملکاً يمتع به، وكان قد انقطع عنه، واستعجل لذته وبقيت عليه تبعته، فكان كما قال الله جل وعز: وان أدرى لعله فتنه ومتاع إلى حين (٢).")

* * *

(١) حياة الحيوان (ج ١ ص ٥٨).

(٢) ذكرها البيهقي في المحسن والمساوى (ج ٢ ص ٦٣) وذكرها غيره.

(٢٧١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب الكافية للشيخ المفيد (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، محمد بن عقيل (١)، كتاب حياة الحيوان للدميري (١)

صفحة ١٧٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٢

٢ - حدث البيعة:

وجاء فيما يرويه الكليني رحمة الله (ص ٦١ "): ان الحسن اشترط على معاویة أن لا يسميه أمير المؤمنین."

وجاء فيما يرويه ابن بابويه رحمة الله في العلل (ص ٨١)، ورووا غيره أيضاً: أن الحسن اشترط على معاویة أن لا يقيم عنده شهادة." ولا أكثر مما تضمنته هاتان الروايتان تحفظاً عن الاعتراف بصحبة خلافة معاویة فضلاً عن البيعة له. ولم يكن ثمة الا تسليم الملك الذي عبرت عنه المعاهدة "بتسلیم الامر" وعبر عنه آخرون بتسلیم الحكم.

اما قول الدينوري في "الإمامية والسياسة" أن الحسن بايع معاویة على الإمامة، فهو القول الذي يصطدم قبل كل شيء بقابلیات معاویة التي عرفا قريباً النسبة بينها وبين الخلافة وصلاحية البيعة على المسلمين، ويصطدم ثانياً بتصريحات الحسن في انكار خلافة معاویة. سواء في خطابيه الآفنيين، أو في تحفظاته الواضحة في هاتين الروايتين.

وهكذا دل الدينوري فيما مر عليه من قضایا الحسن ومعاویة، على تحیز واضح لا يليق بمؤرخ يعيش في القرن الثالث حيث لا معاویة ولا رشوّاته ولا دعواته، ولكنها الدوافع العاطفية التي لم يسلم من تأثيرها كثیر من مؤرخينا المسلمين ... فقال مرة أخرى : "ولم ير الحسن والحسين طول حیاة معاویة منه سوءاً في أنفسهما ولا مكرورها.!" أقول: وأى سوء يصاب به انسان أعظم من قتله سما؟. وأى مکروه ينزل بانسان أفعظ من اغتصاب عرشه ظلماً؟. فأین مقاييس الدينوري بعد هذا يا ترى؟

ونحن إذ أردنا هنا، ان نتعسف للمتسربين إلى ذكر البيعة عذراً أو شبه عذر، حملناهم على التأثر بالدعوات الكثيرة التي كانت لا تزال آخذة بالإسماع، ولم يكن في التاريخ قضية أبرز من انتقال الحكم في الإسلام من سبط النبي نفسه، إلى طلاقء المعروفين بتاريخهم القريب، ولذلك

(٢٧٢)

مفاتيح البحث: القتل (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٧٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٣

فقد بلغ الكلف بالمنكريين على الصلح حداً استساغوا به الاسترسال في ذيوله وحواشيه، فحوروا ما كان، وزوروا ما لم يكن. ومن هنا نسج الخيال حديث البيعة، وكان في اللغط بهذا الحديث - المصطنع - غرض قوى للقوة القائمة على الحكم بعد حادثة الصلح، لأنه الدعامة التي تسند دعواوتهما باستحقاق الخلافة المزعومة، الامر الذي تصايع المسلمين بانكاره لهم وانكارهم له، منذ قال سفينه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك وأول الملوك معاویة".

ثم جاءت السطحية الساذجة التي تقمصها اخواننا المؤرخون فيما جمعوه أو فيما فرقوه من تاريخ الإسلام، فمروا على هذه الاقصوصة المصطنعة كحقيقة واقعه، وكان القليل منهم من وقف عن الفضول في الكلام، وكان منهم من جاوز الحقيقة فخلط وخطب، حتى نسب إلى الحسن نفسه الاعتراف باليبيعة صريحاً! وكان منهم من أوقعه الخلط والخطب في فرية وضيعة لا تجمل بمروءة الرجل المسلم فيما يكتبه عن سبط من أسباط نبيه العظيم (ص)، فضلاً عن نبوها المكشوف بأمانة التاريخ، فادعى انه باع الخلافة بالمال!!...

ولسنا الآن بصدده الرد على تقولات الأفakin. ولكننا إذ نبرئ حديث الصلح بواقعه الأول الذي رضيه الفريقان من قضية البيعة المزعومة، لا نعتمد في التبرئة إلا على الفهم الذي يجب أن يفهمه المسلم من معنى البيعة ومن معنى الإمامة على حقيقتهما - هذا أولاً وأما ثانياً فلما مر عليك قريباً من روايات الحادثة، ومن تصريحات ذوي الشأن في الموضوع.

وما من حقيقة تتعاون على تقريرها مثل هذه الأدلة فتبقى مجالاً للشك.

وقد يمّا اعتاد الناس أن يرجعوا في كشف الواقع الماضية إلى أقوال المؤرخين القدامى، ممن عاصر تلك الواقع أو جاء بعدها بقليل أو كثير من الزمن. وكان من الجمود على هذه الطريقة ما أدى في الأجيال المتأخرة

(٢٧٣)

مفاهيم البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، التاريخ الإسلامي (١)، الكذب، التكذيب (١)، السفينة (١)

صفحة ١٧٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٤

إلى مختلف الآراء وشتي التحزبات، بين المجتمع الواحد وفي الأفق الواحد والدين الواحد، ذلك لأن مراجع هذا التاريخ أنفسهم، كانوا يعيشون تحت تأثير آراء وتحزبات لا مدعى لهم عنها في مثل عصورهم. ومن الصعب جداً أن يطيق كاتب ما يؤمن به التحلل - فيما يكتب - من المؤثرات العاطفية التي تشرك في تكوينه أدبياً وفي تدوير أعماله ومصالحه اجتماعياً. ومن هنا كان هذا القلق الملحوظ - المأسوف عليه - في كثير من موضوعات التاريخ الإسلامي.

ومن الحق أن نعتقد هنا، بأن قصة "البيعة" التي طعنت بها قضية الحسن في صلحه مع معاوية، إنما كانت وليدة تلك المؤثرات التي كتب المؤرخون تحت تأثيرها تواريختهم، فرأوا من الدعاوat المغرضة لتسجيل هذه القصة كحقيقة واقعة ما يحفزهم إلى حسن الاحذاء، تطوعاً للمنفعة العاجلة أو جهلاً بالواقع، ورأوا من التصريح "بتسلیم الامر" في صلب المعاهدة ما يسوغ لهم - أو أقل - ما ييسر لهم التوسع إلى ادعاء الاعتراف بالخلافة، ثم إلى ادعاء الانقياد بالبيعة!! وخفى عليهم ان الخلافة - بما هي منصب الهي - لا يمكن ان تنقاد إلى مساومة أو تسلیم، ولا يمكن ان تمسمها الظروف الزمانية في "صلح" أو "تحکیم".

ولكي نزداد بصيرة في تفهم معنى "تسلیم الامر" الوارد في المادة الأولى من معاهدة الصلح، علينا أن نرجع إلى طريقتنا في استنتاج الحد بين هزل المؤرخين فندرس على المتعاقدين أنفسهما تفسير هذا المجمل من حيث التقييد والاطلاق.

٣ - تسلیم الامر:

علمنا - مما تقدم - أن معاوية قال لابنه يزيد، وهو يشير إلى أهل البيت عليهم السلام: "إن الحق حقهم."

وعلمنا أنه كتب إلى الحسن في التمهيد للصلح "ولا تقضى دونك الأمور ولا تعصى في أمر."

(٢٧٤)

مفاهيم البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الجهل (١)، الصّلب (١)

صفحة ١٧٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٥

وعلمنا أنه قال بعد الصلح: "رضينا بها ملكاً."

وعلمنا أنه خطب على منبر الكوفة يوم وصوله إليها. فقال "إن لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتركوا.. وإنما قاتلتكم لأن تأمر عليكم." وعلمنا أن الحسن بن علي أنكر عليه الخلافة وجهاها، فسكت ولم يرد عليه. فلنعلم إذا، بأن معاوية حين رضيها ملكاً نفها عن نفسه خلافة، وحين قال "لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتركوا" .. دل على أنه ليس خليفة دين، ولكنه ملك دنيا لا هم له في صلاة ولا زكاء، وإنما كل همه في التأمر على الناس. وهو حين يقول للحسن "لا تقضي دونك الأمور" ويقول لابنه "إن الحق حقهم" يعترف للحسن بالمقام الأعلى وبالسلطة التي لا تعصى في أمر. وما ذلك إلا مقام الخلافة فحسب. وكان لابد لمعاوية أن يسكن - والحال هذه - حين يصارحه الحسن بانكار خلافته، ويذكره على ادعائه بغير استحقاق. فأين من هذا، تسليم الخلافة الذي فسروا به تسليم الامر؟.

وشيء آخر، قد يكون في مغزاه أدق دلالة على اعتراف معاوية ببراءته من استحقاق الخلافة، وذلك هو ضحكته المخوذلة لسعد بن أبي وقاص يوم دخل عليه وقال له "السلام عليك أيها الملك" ولم يقل يا أمير المؤمنين، فقد كانت هذه الضحكة بلغتها المبطنة، صريحة بالاعتراف بالخطأ إذ يريد أن يأخذ الخلافة لقباً من غنائم الحرب، لا واسطة بين المسلمين ونبيهم (ص)، وبهذا استحق من سعد، وهو الرجل الذي لا تغلبه مداولات معاوية، أن يقول له "والله ما أحب أنني وليتها بما وليتها به" يعني أنه كان يتعرف عنها لقباً ينبع على الدماء المحرمة، والفتن السود، والآئحة الخائسة.

وترى - على هذا - أن سعداً لم يفهم من تسليم الامر إلا تسليم الملك وهو ما يجب أن يفهمه كل من فهم لغة القرآن في الخلافة، أو لغة الفريقين (٢٧٥)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم الحديبية (١)، الحسن بن علي (١)، القرآن الكريم (١)، الحرب (١)، الصلاة (١)، الزكاة (١)

صفحة ١٧٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٦

المتعاقدين في المعاهدة. ولما مر الباحثة الإسلامية الجليل السيد أمير علي الهندي رحمه الله، على ذكر هذا الصلح عبر عنه "بالتنازل عن الحكم (١.١)".

وكان فيما قاله الحسن عليه السلام في سبيل التعبير عن صلحه مع معاوية جواباً لبعضهم "لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين ولكنني كرهت أن أقتلهم على الملك (٢.٢)".

وقال آخر "أضرب هؤلاء بعضهم في ملك من ملك الدنيا لا حاجة لي به (٣.٣)".

وهكذا نجد الفريقين - الحسن وعاوية - يتفقان على أن الحرب التي زحفا إليها بجيوشهما، إنما كانت حرباً على الملك. ومعنى ذلك أن الصلح الذي اتفقا عليه في معاهدهما، إنما كان صلحاً على الملك، لأنهما يصطلحان اليوم على ما تنازعوا عليه أمس. وليس في وجهة النظر القائمة بين الاثنين في خلال هذه التصريحات ولا يوم صلحهما، ذكر للخلافة تسلماً ولا تسليماً.

ثم نجدهما يتفقان في هذه التصريحات، على إثارة أحدهما دون الآخر بالمركز الذي لا تقضي دونه الأمور.. وهو المركز الذي سوغ للحسن أن يقول عن معاوية كما لو قوله عملاً من اعماله وهو إذ ذاك حاضر مجلسه "إنه أعرف بشأنه وأشكر لما وليناه هذا الأمر (٤)" يعني أمر الملك.

أقول: وكم هو الفرق بين هذا المركز وبين ما توهنه المتحذلقون من حديث البيعة أو من تفسير تسليم الامر بتسليم الخلافة؟. وكانت فيما نظر غلطه سبق إليها كاتب عن قصد، ثم أخذها عنه

- (١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي (ص ٦١).
 - (٢) ابن كثير (ج ٨ ص ١٩)، وأعيان الشيعة (ج ٤ ص ٥٢)، والمستدرك للحاكم.
 - (٣) الإصابة (ج ٢ ص ١٢).
 - (٤) المحسن والمساوى للبيهقي (ج ١ ص ٦٤).
- (٢٧٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الحرب (١)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النسابوري (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

صفحة ١٨٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٧

كتاب عن غير قصد، واندست على مثل هذا الأسلوب أخطاء كثيرة في التاريخ، شوهدت من حفاته وبدلت من روعته وضاعفت من جهد الباحثين فيه، ثم إذا أنت عنيت بموضوعك فدققت مراجعته، رأيته لا يرجع إلا إلى أصل واحد، ثم إذا محضت الأصل رأيته لا يرجع إلى أصل!

* * * هذا، وما الخلافة الاسمية، فلا خلاف فيها على معاوية ولا على أحد من هؤلاء المتنفذين الذين ادعواها لأنفسهم، أو غزوها بسلامهم، أو ورثوها من الغزاة والمدعين.

وإذا صح في عرف المجتمع الذي بايع معاوية، أو بايع أحد هؤلاء، ان ينتزع من الادعاء أو قوته السلاح "خلافة" فلا مشاحة في الاصطلاح.

ول يكن معاوية - على هذا - خليفة النفوذ والسلطان، ول يكن الحسن بن علي خليفة النبي وشريك القرآن.

ول يكن ما ورد في بعض النصوص - على تقدير صحة السنده والأمن من التحريف - تطبيقا عمليا لاستعمال الكلمة في مصطلحها الجديد.

٤ - مصير الامر بعد معاوية ولم يعهد في كتب معاوية إلى الحسن فيما كان يراسله به في سبيل التمهيد للصلح، كتاب يغفل تعين المصير الذي كان يجب أن يرجع إليه الامر من بعد معاوية. وهو إذ يطلب من الحسن في هذه الرسائل تسلم الامر محدودا بحياته، يقول في بعضها "ولك الامر من بعدى (١)" ويقول في بعضها الآخر "وأنت أولى الناس بها (٢)".

وهكذا جاء النص في المعاهدة.

وهكذا فهم الناس الصلح، انتزاعا للسلطة محدودا بعمر معاوية

(١) و (٢) ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٤ ص ١٣).

(٢٧٧)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (٢)، الحسن بن علي (١)، القرآن الكريم (١)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)

صفحة ١٨١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٨

الذى كان يكبر الحسن زهاء ثلاثة عقود، فكان من المتوقع القريب أن يسبقه إلى الموت، وأن يعود الحق إلى نصابه، والحسن بعد فى أوائل كهولته أو أواخر شبابه، لو لا أن للخطط الجهنمية حسابا لا يخضع للمقاييس!!

وطلت المادة الصرحية باستحقاق الحسن الامر بعد معاویة، أبرز مواد المعاهدة في المجتمعات الإسلامية، وأكثرها ذيوعاً بين الناس، مدى عقد كامل من السنين. ثم طغت عليها الدعوات العدوة، وأخذها حملة الأخبار إلى مصانعهم الجديدة، فبدلوا من معالمها وغيروا من حقائقها، وصاغها بعضهم بقوله "ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد." وتلطف آخر بها من عنده فقال : "ويكون الامر بعده شوري بين المسلمين. - "أما الصادقون فروها على حقيقتها. وفات المؤرخين المحترفين، أن صرف الحقيقة عن واقعها في هذا النص، لن يجد لهم في صرف الواقع عن حقيقته في مرحلة التطبيق، فلم يكن من المحتمل عادة، أن يتتجاوز المسلمون - في شوراهم أو في غير شوراهم - ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو قدر له أن يكون حيا يوم يموت معاویة، وقدر للمسلمين أن يختاروا الخليفة أحرازاً، أو يتشاروا أمرهم مختارين. فالروايات - الصحيح والمعرفة - بل الصور الثلاث المزعومة للرواية الواحدة، تتحد عملياً ما دام الحسن حيا.

إذا، فلماذا التهرب من أمانة التاريخ إلا أن يكون تعاوننا رخيصاً مع السلطة القائمة على التمهيد لبيعة يزيد؟!!.
وخليل للمؤرخ البارع الذي أتعينه الصرح، ونقل الامر إلى الشوري، أنه أحسن اتخاذ الأسلوب للوضع والتحريف، وخفى عليه، أنه لم يزد فيما هدف إليه على صاحبه الذي ألغاهما معا، وذلك لأن الشوري التي عنها لا تكون في انتخاب الخليفة، وإنما تكون في الشؤون التي يديرها الخليفة أو رئيس المسلمين من أمورهم، وهكذا كان تشريعها الأول يوم (٢٧٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الموت (٢)

صفحة ١٨٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٩

قال سبحانه " وشاورهم في الامر، " وعلى ذلك مدحهم بقوله تعالى " وأمرهم شوري بينهم. " والآلية في نفي الرئاسات التي جعلها الناس، أصرح منها في فرضها على الناس.

وليس فيما توهمه هذا المؤرخ أو توهمه آخرون، من الاستناد إلى الكتاب في قضية الانتخاب الا الوهم - ولذلك فإن عائشة لما أرادت الدعوة إلى الشوري لم تنسبها إلى الله عز وجل وإنما نسبتها إلى عمر بن الخطاب ولو وجدت في نسبتها إلى الله سبلاً لما تأخرت عنه لأنه كان - إذ ذاك - أدعم لحاجتها، فقالت يوم دخولها البصرة " ومن الرأى أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به، ثم يرد هذا الامر شوري على ما جعله عمر بن الخطاب (١)." (١)

وأخيراً، فإن القرائن القطعية الكثيرة، لا تقبل لهذا النص - موضوع البحث - الا الرواية الصرحية التي ذكرناها في المادة الثانية من صورة المعاهدة.

أما أولاً - فلما دلت عليه كتب معاویة إلى الحسن (ع) - كما أشير إليه قريباً - .
واما ثانياً - فلأنها الأنسب بشروط يضعها الحسن نفسه - كما نبهنا إليه في حديث (الصحيفة البيضاء).
واما ثالثاً - فلأن رواتها أكثر، وروايتها أشهر.

واما رابعاً - فلما أشرنا إليه من ذيوع المادة الثانية بنصها الصرح مدة حياة الحسن عليه السلام، حتى لقد كانت الشاهد في كثير من الخطب والأحاديث.

فنرى سليمان بن صرد يشير إليها فيما يعرضه للحسن

(١) دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى (ج ٤ ص ٥٣٥).

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (٢)، الخليفة عمر بن الخطاب (٢)، سليمان بن صرد الخزاعي (١)، مدينة البصرة (١)، القتل (١)

صفحة ١٨٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٠

بعد الصلح. ونرى جارية بن قدامة يذكر لمعاوية حق الحسن بالأمر بعده كقرار معروف. ونرى الأخفف بن قيس يرسله ارسال المسلمين، في خطبته التي يرد بها على البيعة، ليزيد، وهو إذ ذاك يخاطب معاوية نفسه في حفل حاشد.

قال " وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه مقاصاً. ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الامر من بعدك، فان تف، فأنت أهل الوفاء، وان تغدر تظلم. والله ان وراء الحسن خيولاً جياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً، ان تدن له شيئاً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر. وانك تعلم من أهل العراق، ما أحبوك منذ أغضبوك .. (١)." إلى كثير من الشواهد الأخرى التي يزهدنا في استيعابها رغبتنا في الاختصار.

* * * ٥ - بقية المواد ولقد ترى - إلى هنا - بأن دراستنا للنقاط البارزة في مواد المعاهدة لم تتجاوز المادتين - الأولى والثانية -. أما المادة الثالثة، فقد سبق في (الفصل: ١٤) مناقشة معاوية في موضوعها كما يجب - فليراجع -، وسبق في الكلام على حديث الصحفة البيضاء التي أرسلها معاوية إلى الحسن عليه السلام، ليكتب عليها ما يشاء من شروط، (في الفصل: ١٦) أن حديث هذه الصحفة هو القرينة على ترجيح ما يكون من روایات المعاهدة أقرب إلى صالح الحسن منه إلى صالح خصمه، وعلى هذا فالمادة الثالثة لا تعنى إلا الاطلاق في منع معاوية من شتم

(١) تجد تمام هذه الخطبة وذكر مصادرها في (الفصل ٢٠) عند ذكرنا طريقة التمهيد لبيعة يزيد.

(٢٨٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي الماجتبى عليهما السلام (١)، دولة العراق (٢)، صلح (يوم) الحديبية (١)، جارية بن قدامة (١)، الأخفف بن قيس (١)، الحسن بن علي (١)، المنع (١)

صفحة ١٨٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨١

أمير المؤمنين على عليه السلام، سواء حضر الحسن أو غاب. ولا يؤخذ بما ألحنه بها بعض المؤرخين من اشتراط الامتناع عن السب بحال حضور الحسن واستماعه (١)، ولا هو مما يتمشى مع روح الصلح إذا كان الفريقيان في صدد صلح حقيقي وتفاهم دائم.

وأما المادة الرابعة، فلم تكن في حقيقتها الا استثناء متصلاً من الماديات التي اشترطت المعاهدة تسليمها لمعاوية. ومعنى ذلك أن المعاهدة سلمت لمعاوية ما أراد من الملك عدا المبالغ المنوّه عنها في هذه المادة، فاستأثر الحسن بها لنفسه ولأنجيه ولشيعته، وكانت من حقوقه التي جعل لها الله تعالى التصرف فيها. واختار من الخراج الحال - فيما استثنى - أبعدة عن الشبهات من الوجهة الشرعية، وهو خراج دار ابجرد (٢).

أقول:

وأين هذا التفسير مما طاول به بعضهم من التحامل الجري والافتئات البذىء، على مقام الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، حين أساء فهم هذه المادة فخلق من هذه الأموال ثمناً للخلافة ومن الحسن بائعاً ومن معاوية مشترياً. وان الأولى بهذا الفهم البليد - الذي هان عليه أن يتصور الثمن والمثمن كليهما من البائع، ثم يدعى مع ذلك وقوع البيع - ان لا- يتعرض فيما يكتب للموضوعات التي

تكشف لقارئه بладته، فيسىء إلى نفسه قبل أن يسىء إلى موضوعه.

(١) قاله ابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٢)، وقال بعده "ثم لم يف به أيضا".!!

(٢) قال في الكامل (ج ٣ ص ١٦٢): وأما خراج دار ابجرد فان أهل البصرة منعوه، وقالوا هو فيئنا لا نعطيه أحدا. "قال": وكان منعهم بأمر معاوية أيضا.!!

(٢٨١)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، البيع (١)، السب (١)، ابن الأثير (١)، مدينة البصرة (١)، المنع (١)

صفحة ١٨٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٢

وقد مر في معنى الخلافة (لذاتها)، وفي قابلities معاوية للخلافة ما يكفينا القول باستحالة هذا الهدر، ولا نعيد.
واما المادة الخامسة، فللفصول القرية الآتية ما تحمله عنها:

الاجتماع في الكوفة
(٢٨٢)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)

صفحة ١٨٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٤

وكان طبيعياً أن يتافق الفريقان بعد توقيعهما الصلح، على مكان يلتقيان فيه على سلام، ليكون اجتماعهما في مكان واحد تطبقاً عملياً للصلح الذي يشهده التاريخ، وليعرف كل منهما على مسمع من الناس بما أعطى صاحبه من نفسه وبما يلتزم له من الوفاء بعهوده. واختارا الكوفة، فأفقلوا إليها، وأفقل معهما سيل من الناس غصت بهم العاصمة الكبرى، وهم - على الأكثر - أجناد الفريقين، تركوا معسكريهما وخروا لليوم التاريخي الذي كتب على طالع الكوفة النحس أن تشهد راغمةً أو راغبةً. وللمرة الأولى تزخر عاصمة العراق بعشرات الألوف من أجناد الشام الحمر - مسلمين ومسيحيين -. ولهذين المعسكرين - الكوفة والشام - سوابقهما التي لا تعهد الهوادة في سلسلة العادات التاريخية والواقع الدامي، منذ حادث سلمان الباهلي وحبيب بن مسلم الفهري (على عهد عثمان بن عفان) والتي يوم الصلح هذا. فما ظنك يومئذ بحال الجندي الكوفي الثابت على الوفاء، الذي قدر له ان يلقى سلاحه تحت موجة طاغية من مكاء الجنود الشاميين وتصديتهم التي عجبت بها أروقة المسجد الجامع، الذي كان أسس على تقوى من الله.

وكانت الفجيعة القاتلة للفئة المخلصة من أنصار أهل البيت عليهم السلام، وللذين جهلوها من هؤلاء الأنصار أهداف الحسن في الصلح، أو جهلوها حقيقة الوضع بدواتفعه التي اقتادت الحسن إلى الصلح. أما الأكثريّة الخائنة فقد مزقت الستار في يومها المنشود، وظهرت على المسرح باللون الذي لا تشتبه فيه الإبصار، وشوهد بين جماهير الشاميين زمر من الكوفيين يساهمونهم الفرح المغبون في مهرجاناتهم الباردة، وانتصارهم

(٢٨٤)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآله (١)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٣)، صلح (يوم) الحديبية (٥)، سلمان الباهلي (١)، الشام (٢)، الشهادة (١)، الهدف (١)، السجدة (١)

صفحة ١٨٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٥

المغلوب !!.

ونودى فى الناس إلى المسجد الجامع، ليستمعوا هناك إلى الخطيبين الموقعين على معايدة الصلح.

وكان لا بد لمعاوية أن يستبق إلى المنبر، فسبق إليه وجلس عليه (١)، وخطب في الناس خطبته الطويلة التي لم ترو المصادر منها إلا فقراتها البارزة فحسب.

منها (على رواية العقوبي):

"أما بعد ذلكم، فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها، الا غلب باطلها حقها - "!! قال " : وانتبه معاوية لما وقع فيه. فقال: الا ما كان من هذه الأمة، فان حقها غالب باطلها (٢)." !!

ومنها (على رواية المدائني):

"يا أهل الكوفة، أتروننى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجرون؟، ولكنى قاتلتكم لأنتم عليكم وألى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون!. ألا ان كل دم أصيـب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطـته فتحـت قدمـي هـاتـين !!. ولا يصلـحـ الناسـ الاـ ثـلـاثـ: اخـرـاجـ العـطـاءـ عـنـ محلـهـ، وأـفـالـ الجنـودـ لـوقـتهاـ، وـغـزوـ العـدـوـ فـيـ دـارـهـ، فـانـ لـمـ تـغـزوـهـمـ غـزوـكـمـ."

وروى أبو الفرج الأصفهانى عن حبيب بن أبي ثابت مسندًا، أنه ذكر في هذه الخطبة علياً فناً منه، ثم نال من الحسن (٣) !!.

(١) قال جابر بن سمرة : ما رأيت رسول الله يخطب الا وهو قائم، فمن حدثك أنه خطب وهو جالس فكذبه "رواه الجزارى فى آيات الاحكام (ص ٧٥)، والظاهر أن معاوية أول من خطب وهو جالس.

(٢) تاريخ العقوبي (ج ٢ ص ١٩٢).

(٣) شرح النهج (ج ٤ ص ١٦).

(٢٨٥)

مفآتيح البحث: أبو الفرج الإصفهانى (الإصفهانى) (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، حبيب بن أبي ثابت (١)، الحج (١)، السجدة (١)، الغل (٢)، الصلاة (١)، جابر بن سمرة (١)

صفحة ١٨٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٦

وزاد أبو اسحق السبيسي (١) فيما رواه من خطبة معاوية قوله " : الا وان كل شئ أعطيت الحسن بن على تحت قدمي هاتين لا أفي به !!".

قال أبو اسحق " : وكان والله غدارا (٢)." !!

ثم تطلع الناس، فإذا هم بابن رسول الله الذى كان أشبههم به خلقاً وخلقـا وهـيـةـ وـسـوـدـداـ، يـخـطـوـ منـ نـاحـيـةـ مـحـرابـ أـبـيهـ فـيـ المسـجـدـ العـظـيمـ ليـصـعدـ عـلـىـ منـبـرـهـ. وـفـىـ غـوـغـاءـ النـاسـ وـلـعـ بـالـفـضـولـ لـاـ يـصـبـرـ عـنـ اـسـتـقـراءـ الدـقـائقـ مـنـ شـؤـونـ الـكـبـراءـ، فـذـكـرـواـ لـجـلـجـةـ مـعاـوـيـةـ فـىـ خطـبـتـهـ، وـرـبـاطـةـ الـجـائـشـ الـمـوـفـرـةـ فـىـ الـحـسـنـ وـقـدـ اـسـتـوـىـ عـلـىـ أـعـوـادـهـ، وـأـخـذـ يـسـتـعـرـضـ الـجـمـوعـ الـزـاخـرـةـ الـتـىـ كـانـ تـضـغـطـ الـمـسـجـدـ الـرـحـ عـلـىـ سـعـتـهـ، وـكـلـهـاـ إـذـ ذـاكـ - أـسـمـاعـ مـرـهـفـةـ لـاـ هـمـ لـهـ إـلـاـ أـنـ تـعـىـ مـاـ يـرـدـ بـهـ عـلـىـ مـعاـوـيـةـ، فـيـماـ خـرـجـ بـهـ عـنـ مـوـضـعـ الـصـلـحـ، فـنـقـضـ الـعـهـودـ وـأـهـدـرـ الـدـمـاءـ وـتـطاـولـ عـلـىـ الـأـوـلـيـاءـ. وـكـانـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ (ع)ـ أـسـرـعـ النـاسـ بـدـيـهـةـ بـالـقـوـلـ، وـأـبـرـعـ الـخـطـبـاءـ الـمـفـوـهـينـ عـلـىـ

تلحين الموضوعات، فخطب في هذا الموقف الدقيق، خطبته البليغة الطويلة التي جاءت من أروع الوثائق عن الوضع القائم بين الناس وبين أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووعظ ونصح ودعا المسلمين - في أولها - إلى المحبة والرضا والاجتماع، وذكرهم - في أواسطها - مواقف أهله بل مواقف الأنبياء، ثم رد على معاویة - في آخرها - دون أن يناله بسب أو شتم، ولكنه كان بأسلوبه البليغ، أوجع شاتم وساب.

قال "الحمد لله كلما حمد حامد، وأشهد ان لا اله الا الله كلما شهد له شاهد. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى، وائتمنه على

(١) هو عمرو بن عبد الله الهمданى التابعى، الذى يقال عنه أنه صلى أربعين سنة صلاة الغداة بوضوء العتمة، وكان يختتم القرآن فى كل ليلة، ولم يكن فى زمانه أعبد منه ولا أوثق فى الحديث.

(٢) شرح النهج (ج ٤ ص ٤٦).

(٢٨٦)

مفatisح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الحسن بن علي (١)، الشهادة (٢)، الصبر (١)، السجدة (٢)، الضغط (١)، الوفاة (١)، عمرو بن عبد الله (١)، القرآن الكريم (١)، الصلاة (١)، الوضوء (١)

صفحة ١٨٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٧

الوحى، صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعد، فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه، وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مریدا له سوءا ولا غائلة. ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة، خير لكم مما تحبون فى الفرقه، إلا وانى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردوا على رأىي. غفر الله لى ولكم، وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا (١)."

ثم قال "أيها الناس، ان الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وان لهذا الامر مده، والدنيا دول. قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل ان ادرى أقرب أم بعيد ما توعدون. انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون. وان ادرى لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين (٢)."

ثم قال .. "وان معاویة زعم لكم انى رأيته للخلافة أهلا، ولم ار نفسي لها أهلا، فكذب معاویة. نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه. ولم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه. فالله بيننا وبين من ظلمنا، وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمنا ما جعل لها رسول الله. واقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله، لاعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاویة.. فلما خرجت من معدها، تنازعتها قريش بينها، فطمع فيها الطلعاء وأبناء الطلعاء، أنت وأصحابك. وقد قال رسول الله: ما ولت أمة أمرها رجالا وفيهم من هو أعلم منه، الا لم ينزل أمرهم يذهب سفالا، حتى يرجعوا إلى ما تركوا. فقد ترك بنو

(١) الارشاد للشيخ المفيد (ص ١٦٩ - طبع إيران).

(٢) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٦١ - ٦٢)، وابن كثير (ج ٨ ص ١٨)، والطبرى (ج ٦ ص ٩٣).

(٢٨٧)

مفatisح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الجهر والإخفاف (١)، الجماعة (١)، كتاب الإرشاد للشيخ

المفید (١)، دوله ایران (١)، ابن الأثیر (١)

صفحة ١٩٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٨

إسرائیل هارون وهم يعلمون أنه خليفة موسى فيهم، واتبعوا السامری، وتركت هذه الأمة أبي وبایعوا غيره وقد سمعوا رسول الله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا النبوة، وقد رأوا رسول الله نصب أبي يوم غدیر خم، وأمرهم أن يبلغ أمره الشاهد الغائب. و Herb رسول الله من قومه وهو يدعوه إلى الله، حتى دخل الغار، ولو أنه وجد أعواناً لما هرب، كف أبي يده حين ناشدهم واستغاث فلم يفتح. فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، وجعل الله النبي في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعواناً. وكذلك أبي وأنا في سعة من الله، حين خذلتنا هذه الأمة. وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً (١).^(١)

ثم قال:

"فالذى بعث محمداً بالحق، لا ينقص من حقنا - أهل البيت - أحد إلا نقصه الله من عمله، ولا تكون علينا دوله الا وتكون لنا العاقبه، ولتعلم من نباء بعد حين (٢)." ^(٢)

ثم دار بوجهه إلى معاویة ثانياً، ليرد عليه نيله من أبيه، فقال - وما أروع ما قال :-
"أيها الذاكر علينا! أنا الحسن وأبي على، وأنت معاویة وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدى رسول الله وجدك عتبة بن ربیعه، وجدتی خديجة وجدتك فتیله - فعلن الله أخمنا ذکرها، وألأننا حسباً وشرنا قدیماً وحدیثاً، وأقدمنا کفراً ونفاقاً!!"
قال الراوى " : فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل بن الحسن: قال يحيى بن معین: وانا أقول آمين. قال أبو الفرج قال أبو عبید قال الفضل: وانا أقول آمين. ويقول على بن الحسين الأصفهانی
(١) البحار (ج ١٠ ص ١١٤).
(٢) المسعودی (هامش ابن الأثیر ج ٦ ص ٦١ - ٦٢).
(٢٨٨)

مفاید البحث: على بن الحسين (١)، الفضل بن الحسن (١)، الفرج (١)، غدیر خم (١)، الوسعة (٣)، السجود (١)، ابن الأثیر (١)

صفحة ١٩١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٩

(أبو الفرج): آمين قال ابن أبي الحديدة: قلت ويقول عبد الحميد بن أبي الحميد مصنف هذا الكتاب (يعنى شرح النهج): آمين (١).^(١)
أقول: ونحن بدورنا نقول: آمين.

وهذه الخطبة هي الوحيدة في تاريخ الخطابات العالمية، التي حظيت بهتاف الأجيال على طول التاريخ.
وكذلك قول الحق، فإنه لا يفك يعلو صعداً ولا يعلى عليه.

* * * وتجهز الحسن - بعد ذلك - للشخص إلى المدينة، وجاءه من سرآء شيعته المسيب بن نجية الفزارى وظبيان بن عمارة التيمى ليودعاه، فقال الحسن " : الحمد لله الغالب على أمره. لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا. " وتتكلم المسيب وعرض أخلاصه الصميم لأهل البيت (ع). فقال له الحسين (ع): يا مسيب نحن نعلم أنك تحبنا " وقال الحسن (ع): سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ يقول: من أحب قوماً كان معهم. " ثم عرض له المسيب وظبيان بالرجوع، فقال " : ليس إلى ذلك سبيل. " فلما كان من غد خرج من الكوفة، وشيعه الناس بالبكاء!! ولم تكن اقامته فيها بعد الصلح إلا أياماً

قلائل.

فلما صار بدير هند (٢) (الحيرة) نظر إلى الكوفة وقال:

ولا- عن قلی فارقت دار معاشری * * * هم المانعون حوزتی وذماری (٣) أقول: وأی نفس ملائکیة هذه التي لقيت من نشور هذه الخاصرة ومن بوائقها ما لقيت، ثم هی تودعها بهذا البيت من الشعر، فلا تذكر من (١) شرح النهج (ج ٤ ص ١٦).

(٢) هند هذه، هي بنت النعمان بن المنذر، وكانت متربه في ديرها هذا بالحيرة.

(٣) يراجع عما سبق شرح النهج (ج ٤ ص ٦).

(٢٨٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، ابن أبي الحديد المعترض (٢)، مدينة الكوفة (٢)، صلح (يوم) الحديبية (١)، طبيان بن عمارة (١)، عبد الحميد (١)، الفرج (١)

صفحة ١٩٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٠

تاریخها الطویل العریض، الا وفاء الأولياء "المانعين الحوزة والذمار" وهم الذين منعوا عنه من أراده في المدائين، والذين ثبتوا على طاعته يوم العسرة في مسكن، فكانوا أخوان الصدق وخيرة الأنصار، على قتلهم.

ثم سار الموكب الفخم الذي كان يقل على رواحله، بقية الله في الأرض، وتراث رسول الله (ص) في الإسلام، وقد ضاقت بهم الكوفة أو ضاقوا بها، فيمموا شطر وطنهم الأول، ليتمكنوا هناك بجوار قبر جدهم الأعظم من مكاره الدهر الخوان.

وصب الله على الكوفة بعد خروج آل محمد منها، الطاعون الجارف، فكان عقوبتها العاجلة على موقفها من هؤلاء البرءة الميامين. وهرب منها وإليها الأموي [المغيرة بن شعبة] خوف الطاعون، ثم عاد إليها فطعن به فمات (١).

(١) ارجع إلى المسعودي على هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٩٧).

الميدان الجديد

(٢٩٠)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (٢)، القبر (١)، الصدق (١)، الخوف (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٩٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٢

لعلك تتفق معى على أن من أدق المقاييس التي توزن بها شخصيات الرجال فيما يضطربون فيه من محاولات، هو موقفهم من شروطهم التي يأخذونها على أنفسهم راغبين مختارين. وما من إنسان معنى يأنسنته يعطي الشرط من نفسه، إلا وانه ليعلم ما يستوي له في شخصيته وفي سمعته وفي ذمامه إذا هو حنث في شرطه أو رجع عن وعده أو نقض ميثاقه الذي واثق على الوفاء به. ومن السهل ان نتصور إنساناً يستميت في سبيل الوفاء لقول قاله أو عهد أعطاه، لأنه إنما يموت ضحية حلق رفيع خسر به الحياة المحدودة فربح به الحياة التي لا حد لها، وبني - إلى ذلك - لبني جديدة في صرح الإنسانية المثلية التي لا تفتأتعاون على نشر الخير في المجموع.

أما ذلك الخائن بعهده الحانت بيمنه الكاذب بمواعيده، الذى بسم لصاحبه وهو يخادعه على شروطه، ثم عبس وتولى وندم على ما أعطى، فليس من السهل أن نتصوره إنساناً، ولكنه عدو الإنسانية بما هدم من قواعدها وشل من مقرراتها، وعدو نفسه بما عرضها للنقمه والاحتقار وسوء السمعة والحرمان من ثقة المجتمع. ولن ينفعه - بعد ذلك - أن يقول أو يقال عنه: إن الغاية تبرر الواسطة - فان هذا الاعتذار بذاته جريمة كاملة لا يتسع لها صدر الغفران. وللغایات - على اختلافها - قيمتها الاعتبارية التي توافر عليها الناس، فليكن لكل غاية واسطتها التي تتناسب وغايتها في الاعتبار، ولن تكون الغاية شريفة قط إلا إذا قامت على وسائل شريفة أيضاً.

وكان من الخير العام، أن يتواضع المجتمع منذ بداية المجتمع، على اعتبار "اليمين" و"العهد" ضماناً في الأخذ والرد، وأن تتضافر الأديان

(٢٩٢)

مفاتيح البحث: الموت (١)، الخسران (١)

صفحة ١٩٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٣

السماوية كلها على أن العهد كان مسؤولاً ...

ولعل من الأفضل أن نستمع هنا إلى ما عهد به أمير المؤمنين على عليه السلام للأشر터 النجعي في هذا الموضوع، قال:

"وان عقدت بينك وبين عدوك عقد، أو ألبسته منك ذمة فحط عهلك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت. فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهلك ولا تختن عدوك، فإنه لا يجرئ على الله الا جاهل شقى. وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، وحرى ما يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره." ...

أقول: وإذا رجعنا بعد الالامام بهذه الحقائق إلى موضوعنا، رأينا أن الشروط التي أخذها الحسن بن علي (ع) على معاوية فيما تم بينهما من التعاهد على الصلح، كانت أكثر شروط عرفها التاريخ عهوداً مؤكدة وأيماناً مغلظة، وكان معاوية هو الذي كتب نسختها الأخيرة بقلمه ووقعها بخطامه.

ولم يكن بدعاً أن يترقب الرأي العام الإسلامي، يومها، الوفاء بها كما يجب لمثل هذه العهود والإيمان، وكما هو الأنسب بشخصيتين من هذا الطراز في الإسلام.

اما تلك المفاجأة الغريبة التي سبق إليها معاوية في خطابه على منبر الكوفة، ولما يمض على امضائه المعاهدة إلا أيام ربما كانت لا تزيد على أسبوع واحد، فقد وقعت في المجتمع الإسلامي وقع الصاعقة التي لا يسبقها انذار. فقال (على رواية المدائني) كما أشير إليه آنفاً: وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ! وصرح (على رواية أبي اسحق السبيعى) بقوله : "ألا ان كل شئ أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي

(٢٩٣)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، اللبس (١)، الجهل (١)

صفحة ١٩٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٤

هاتين لا أفي به^١ ثم شهد عليه الحسين بن المنذر الرقاشي قائلًا: ما وفى معاویة للحسن بشيء مما أعطاه، قتل حجرا وأصحاب حجر، وبایع لابنه، وسم الحسن !! (١.)^٢

وهكذا قدر لهذا الرجل الواسع الممتلكات الضيق الملوكات أن يعود بعد حنته بأيمانه علينا، ونقضه لمواثيقه صراحة، وبعد الناس عن ثقة الناس، وأقلهم وزنا في المقاييس المعنوية التي يتواضع عليها الناس، وكان جزاء وفaca، أن ينكره أكثر المغرورين بما كان أنكر هو عهوده ومواثيقه، وأن يضعه من أنفسهم في محل الذي وضع هو شروطه من نفسه..

وما يدرينا، فعلنا الآن عند مفترق الطريق بين الماضي المغلوب والمستقبل الغالب، الذي سينكشف عنه الصراع التاريخي بين الحسن ومعاویة. ولعلنا الآن على أبواب الخطة الجبارية التي نزل الحسن بن على (ع) من طريقها إلى الصلح، والتي فرضت ارادتها على معاویة وبعد ما يكون في المعروف من دهائه عن الفشل في الخطط التي تمسه في الصميم من مصالحة.

وكان الحسن - كما نعلم - أعرف الناس بمعاویة وبحظه من الصدق والوفاء، وهو إذ يأخذ عليه الصيغة المغلظة في الإيمان والعهود، لا يقصد من ذلك إلى التأكيد من صدقه أو وفائه، ولكن ليكشف للأجياء قابليات الرجل في دينه وفي ذمامه وفي شرفه بالقول.

وانها للمبادأة الأولى التي ابتدأ الحسن عليه السلام زحفه منها إلى ميدانه الثاني. ومن هنا وضع أول حجر في البناء الجديد لقضية أهل البيت (ع). ثم مشى موكب الزمان، فإذا بالخطوات الموقفة تمشى وئيدا مع الزمان وإذا بطلائع النجاح كفيالق الجيش التي تتلاحم تباعاً لتعاون على الفتح. وإن من الفتوح ما لا يعتمد في أداته على السلاح، ومنها ما يكون وسائله الأولية أشبه بالهزيمة، حتى ليخاله الناس تسليماً محضاً، ولكنه

(١) يراجع ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٦ و ٦ و ٧).

(٢٩٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أucher الكوفي (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الحسين بن المنذر (١)، الوعرة (١)، الشهادة (١)، القتل (١)، الصدق (١)، ابن أبي الحديد المعتلى (١)

صفحة ١٩٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٥

في منطق العقلاء، ظفر لام وفتح مبين.

وكان من أبرز الخطوات التي وفقت إليها خطأ الحسن عليه السلام عن طريق الصلح، في سبيل التشهير بمعاویة حياً وميتاً، والنكاية ببني أمیة إطلاقاً.

١ - أنها أثبتت على معاویة في بداية عهده الاستقلالي عدداً ضخماً من الشخصيات البارزة في المملكة الإسلامية. فلعنه صراحة بعضهم، وخبيثه آخر، وقرعه وجاهها ثالث بل ثلاثة، وقطاعه رابع، وانكر عليه حتى مات غالباً كبير خامس، وقال فيه أحدهم " : وكان والله غداراً " . وقال الآخر (١) " : اربع خصال كن في معاویة لو لم يكن فيه منها لا واحدة لكان موبقة " . وقابلة على مثل ذلك كثير من سادة وسيدات، لسنا الآن بصدد إحصائهم، أو استيعاب كلماتهم.

٢ - وخلقت له معارضه الطبقات التي شملتها بنود المعاهدة، سواء في الأمان المفروض فيها، أو في الحقوق المالية المنصوص عليها. فإذا بعالم عظيم من الناس أصبح ينظر إلى معاویة نظره إلى العدو الواتر في النفس والمال، بما نقضه من شروطهم، في نفوسهم وأموالهم.

٣ - وظن معاوية أنه سيجعل من نقضه معاهدة الحسن وضعاً شكلياً لبيعة ابنه يزيد، يتغلب به على عنونات الإسلام المقررة بين المسلمين في أمر البيعة وصلاحية الخلافة.

ولكنه لم يلبث أن اصطدم بالواقع، فإذا بهذه البيعة الجديدة،

(١) كان الذي لعنه صاحبه سمرة، والذى وصفه بأخت الناس صديقه المغيرة، وكان الذي قرعه وجهاً عائشةً وآخرون، والذى قاطعه مالك بن هبيرة السكونى، والذى مات غماً من فعاله الربيع بن زياد الحارثى، وكان السادس أبو اسحق السباعى، والسابع الحسن البصري. ويراجع عن ذلك شرح النهج وابن الأثير ومروج الذهب وغيرها.

(٢٩٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، بنو أمية (١)، الموت (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، ابن الأثير (١)، الربيع بن زياد (١)، الحسن البصري (١)

صفحة ١٩٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٦

مثار النقطة الإسلامية العامة التي أصبحت تتحسس منذ ترشيح يزيد للخلافة بنوياً بنى أمية من الإسلام.

٤ - ثم كانت البوائق الدامية التي جهر بها معاوية بعد نقض الصلح، في قتل خيار المسلمين - من صحابة وتابعين - بغير ذنب، عوامل أخرى للتشهر به، ولتحطيم معنوياته المزعومة، تمشياً مع الخطأ المكين، التي أرادها الإمام الحسن (ع) منذ قرار الاقدام على الصلح.

٥ - وقضية الحسين في كربلاء سنة (٦١) هجرى، كبرى قضايا الحسن فيما مهد له من الزحف على عدوهما المشترك، وعدو أيهما من قبل.

ولا ننسى أنه قال له يوم وفاته " ولا يوم كيومك أبا عبد الله."

وهذه الكلمة على اختزالها - المقصود - هي الرمز الوحيد الذي سمع من الحسن عليه السلام، فيما يشير به إلى الخطأ المقنعة بالسر، التي اعتبرها الغموض من ست جهاتها، منذ يوم الصلح إلى يوم صدور هذا الكتاب. وانك لتقرأ من هذه الكلمة لغة " القائد الاعلى " الذي يوزع القواد لوعائهم، ويوزع الأيام لمناسباتها، ثم يميز أخاه ويوم أخيه فيقول " ولا يوم كيومك .."

وكان من طبيعة الحال ان تبعث المناسبات الزمانية حلقات الخطأ كلام يومها. وكان لا بد لكل حلقة أن توقف الأخرى، وأن تورث السابقة اللاحقة، وتوقف الأولى جذوة الثانية، وهكذا دواليك.

وحسب الحسن لكل هذه الخطوات حسابها المناسب لها، منذ قاول معاوية على هذا الصلح المعلوم، ودرس - إلى ذلك - نفسيات خصوصه بما كانت تشرب له من النقطة عليه وعلى أخيه وعلى شيعته وعلى أهدافه جميعاً. وكانت هذه المطالعات بنطاقها الواسع، الأساس الذي بنى عليه الحسن خطواته المستقبلة فيما مهد له لنفسه ولعدوه معاً.

(٢٩٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٢)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٤)، بنو أمية (١)، الوسعة (١)، القتل (١)، الإختيار، الخيار (١)

صفحة ١٩٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٧

وكان من طبيعة الحال، أن تلقى هذه الخطوات قيادتها إلى الحسين فيما لو حيل بين الحسن وبين قيادتها بنفسه. وهذا هو ما أردناه في

بداية هذا القول.

وهكذا كانت نهضة الحسين الخالدة الخطوة الجباره في خطه أخيه العبرى العظيم.

ولا تزال فاجعة كربلاء التي استوعبها كل لغات الأرض، اللطخة السوداء التي صبغت تاريخ أمية بالعار، ما دام لكرباء رسم، ولأميه اسم.

٦- ثم لم تزل الخطه بعيدة الأهداف، تستعرض في الفترات المتقاربة التاريخ، بعد واقعة الحسين عليه السلام بكرباء، سلسلة أحداث قانية انبثقت من صميم الوضع الأموي المشابه في أكثر ملامحه - بين عهد معاوية وابن عمّه "الحمار" (١) -.

وعادت الأموية في عرف المسلمين المعنين باسلامتهم الحكومة الجائرة المتغلبة بالظلم والاسراف وبالتحلل من كثير كثير من النوميس الدينية. واشتدت نفقة الناس عليها مع تمادي الأيام، وكان أى علم يرفع لحرب بنى أمية، لا يعدم الألوف وعشرات الألوف من المبايعين له على الموت.

* * *

(١) هو مروان الأموي الذي انقضت دولته بنى أمية على يده - ويُلقب "بالحمار" و "بالجعدى" نسبة إلى مربيه (الجعد بن درهم). وكان ابن درهم زنديقا فعلمه مذهبة، وكان الناس يذمونه ببنسبته إليه. ولما تعقب الفاتحون العباسيون مروانا في هزيمته، أودع حرمته (الكتيسة) في بوصیر! فأين هو عن المساجد يا ترى؟ - يراجع ابن الأثير (ج ٥ ص ١٥٩ و ١٦٠).

(٢٩٧)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الدولة الأموية (١)، مدينة كربلاء المقدسة (٣)، بنو أمية (٢)، الموت (١)، الظل (١)، الخلود (١)، ابن الأثير (١)، السجود (١)

صفحة ١٩٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٩٨

إذا، فلتكن عملية الصلح - على هذا - البذرية المستمدة من صميم مصلحة الاسلام ومصلحة أهل البيت عليهم السلام، ومن الوحي أيضا. وليرعد الحسن بن علي عليهما السلام بعد أقل من قرن، الغالب المنتصر على الخصوم المغلوبين، المنهزمين في التاريخ. خطوات موقفات، وسياسة صاعدة لا تبلغها السياسات، في صمت وتواضع واتباد، وتحت ظل اصلاح وتسليم وحقن دماء. وهل العظماء شيء آخر غير هذا، يا ترى؟.

الوفاء بالشروط

(٢٩٨)

مفاتيح البحث: أهل بيته صلى الله عليه وآلـه (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)

صفحة ٢٠٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٠

عرفنا - إلى هنا - بواعث كل من الفريقين فيما تطلعا به إلى الصلح. وعرفنا شروط كل فيما اعتبره ضمانا لبواعثه تلك. وعرفنا - بعد ذلك - أنهما أرادا الجنوح إلى التصالح عمليا، فاجتمعوا في الكوفة، وكان من المنتظر لهذا الاجتماع التاريخي أن يبعث بينهما من التقارب ما لم تبعه الصكوك التحريرية ولا المقاولات الرسمية، التي تبودلت بينهما في الصلح، لو لا أن معاوية لم يشأ ان

يلترم في هذا الاجتماع جانب المجاملة، رغم أنه كان في ظرفه الخاص أحوج الرجلين إلى هذا النمط من السلوك، وانه ليمر - إذ ذاك - بأدق امتحان في سياساته العامة وفي شخصيته كملك يريد ان يحكم شعباً ما أحبه منذ أبغضه - على حد تعبير الأحنف بن قيس -، فاجتمع بالحسن ولكن كما يجتمع "ابن أبي سفيان" بابن فاتح مكة، لا كما يجتمع متناجزان ألياً السلاح وتبادلًا وثائق الصلح، وكان من هذا الخلق الثابت لمعاوية - رغم ما يتكلفه من الحلم الكبير أحياناً - ما هو أداء الحسن في حملته المنظمة التي جردها عليه في (ميدانه الثاني) - كما أشير إليه في آخر فصل مضى -.

وإذ قد عرفنا بذلك كله من فصولنا القريبة السابقة، فلنعرف الآن موقف كل من شروطه وفاء ونقضاً. وها نحن أولاء من هذه المرحلة بإزاء النقطة الحساسة التي طال حسابها في التاريخ.

وكان بودنا لو طوياناً كشحاً عن استطاق هذا الموضوع، بما تشيره تفاصيله من ذكريات: بعضها ألم، وبعضها فضيحة سافرة، وقليل منها تاريخ تعافه الأمجاد. ولتكنا - وقد أخذنا على أنفسنا في هذا الكتاب مهمة البحث التحليلي المكشوف، عن قضية الحسن ومعاوية - لا نجد مجالاً (٣٠٠)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (١)، الحديبية (٣)، الأحنف بن قيس (١)، البعث، الإنبعاث (١)، البعض (١)

٢٠١ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠١

للتفاوض عن عناصر الموضوع التي كان لها أروع الأثر في النتائج التي توخاها الحسن بن علي من صلحه مع معاوية بن أبي سفيان. ولذلك، ولما لهذه التفاصيل الحساسة الثقيلة على النفس من الأهمية القصوى لموضوعنا العام، فلابد لنا من مسيرة هذا الموضوع في سائر خطواته، حتى ينتهي بنا أو ننتهي به إلى النتائج الواضحة المملاة عن مقدماتها المسلمة، بما في هذه النتائج من مجد المظلوم (الغالب) وخزيانة الظالم (المغلوب)، فنقول:

١ - الوفاء بالشرط الأول كان هذا الشرط هو الشرط الوحيد الذي لمعاوية على الحسن.
فكان هو الشرط الوحيد الذي حظى بالوفاء من شروط هذه المعاهدة إطلاقاً.

ثم لا يعهد من الحسن بعد توقيعه الصلح، أى محاولة لنقض شرطه هذا ولا التحدث بذلك، ولا الرضا بالحديث عنه. وجاءه زعماء شيعته بعد أن أعلن معاوية التخلف عن شروطه، فعرضوا عليه - وقد رجع إلى المدينة - أنفسهم واتباعهم للجهاد بين يديه، ووعده الكوفيون منهم بآخلاقه الكوفة من عاملها الأموي، وضمنوا له الكراع والسلاح لإعادة الكرة على الشام، فلم تهزه العواصف ولا قلقته حواري الأنصار المؤثرين.

فقال له سليمان بن صرد، وهو إذ ذاك سيد العراق ورئيسهم - على حد تعبير ابن قتيبة عنه "وزعم - يعني معاوية - على رؤوس الناس ما قد سمعت: أني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عادات ومنيتهم أمانى.."

(٣٠١)

مفاتيح البحث: معاوية بن أبي سفيان لعنهم الله (١)، سليمان بن صرد الخزاعي (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم)
الحديبية (١)، الحسن بن علي (١)، الشام (١)، الظلم (٢)

٢٠٢ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٢

فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين، والله ما عنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه، فأعد الحرب خدعة وأذن لي شخص إلى الكوفة، فأخرج عاملها منها وأظهر فيها خلعة، وأنبذ اليه على سواء، إن الله لا يهدى كيد الخائبين.

"ثم سكت ابن صرد، فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته، وكلهم يقول: أبعث سليمان بن صرد وابعثنا معه، ثم أحقنا، إذا علمت أنا قد أشخصنا عامله، وأظهرنا خلعة (١)." (١)

وجاءه - أيضاً - حجر بن عدى الكندي، ومركزه القوى في العراق مركزه، كما سمعت قريباً.

وجاءه المسيب بن نجية، فارس مصر الحمراء كلها، إذا عد من أشرافها عشرة كان هو أحدهم - على حد تعبير زفر بن الحارث الكلابي عنه -. -

وجاءه آخرون من نظرائهم، وكلهم لم يحظ من الحسن إلا بالردد الجميل والاستمهال إلى موت معاوية، لأنه صاحب عهده فيما تعاهدا عليه، ولأنه كان قد درس من أحوال الكوفة في تجربته الأولى، ما أغناه عن تجارب أخرى.

وكان آخر جوابه إليهم قوله "ليكن كل رجل منكم حلس من أحلاس (٢) بيته ما دام معاوية حيا، فإن يهلك معاوية، ونحن وأنت أحياء، سأله الله العزيمه على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (٣)." (١)

(١) ابن قتيبة (ج ١: ص ١٥١).

(٢) فلان حلس بيته يعني (ملازم بيته لا يبرحه).

(٣) الإمامة والسياسة (ج ١ ص ١٥٢).

(٣٠٢)

مفاتيح البحث: دولة العراق (١)، سليمان بن صرد الخزاعي (١)، مدينة الكوفة (٢)، حجر بن عدى الكندي (١)، الهلاك (١)، البعث، الإبعاث (١)، الحرب (١)، السكوت (١)

صفحة ٢٠٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٣

٢ - الوفاء بالشرط الثاني أجمع المؤرخون - بما فيهم المتأذبون والمستقلون - على أن العهد لذى أعطاه معاوية للحسن فى شروط الصلح، هو أن لا يعهد بالأمر من بعده إلى أحد، ومعنى ذلك رجوع الأمر من بعده إلى صاحبه الشرعى، أعني الحسن بن على فان لم يكن فللحسين أخيه، تمثيا مع مفهوم الشرط القائل بتسلیم الامر محدودا بحياته، ومفهوم سلبه صلاحية العهد إلى أحد من بعده. وأجمع المؤرخون - بعد ذلك - على أن معاوية نقض هذا العهد علينا، وعهد من بعده إلى ابنه يزيد (المعروف!!!).

ولستا الآن بصدد مناقشة معاوية على نقضه العهد بعد ميثاقه، وهو - على كل حال - جماع غلطاته التي أركسه "الصلح" فيها من حيث يدرى أو لا يدرى، ولكن وقد مررنا على موقف معاوية من عهوده مرات ومرات، لا نريد ان نمر هنا على تعينه يزيد ابنه لخلافة المسلمين دون أن نقول: انه ارتكب بهذا العمل الجرى أكبر اثم في دينه، وأفظع جريمة في الصالح العام. وقد كان من أبرز النتائج لاعمال معاوية الارتجالية الجريئة هذه، ان تنحرف قيادة الاسلام عن منهجهما القوي، وان تفقد الرعية قدوتها العملية، وان تسود الأثره، ويضطرب حبل الثقة بين الانفراد والجماعات، وأن ينعدم التجاوب والتفاعل الوجданى بين القادة والاتباع. فتتوزع الميول وتتبادر المقاصد، ثم لا يزال الامر يأخذ بهم سفالا، حتى يستعد إلى الثورات الدامية والانتفاضات الداخلية التي كان لابد منها لتدارك الأخطاء والتنبه على الاخطار. دع عنك ما كان يقال عن يزيد هذا، وعن قابلاته الشخصية والخلقية التي عجبت بها التواريخ، من يومه إلى يومنا، والتي

(٣٠٣)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (٢)، الحسن بن على (١)

صفحة ٢٠٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٤

كان من آثارها - في حكومته - ما كان (مما لا نريد التوسيع في ذكره)، وإنما جل ما نريد هو التنبية على الغلط الكبير التي أثارها معاوية، فتقمص بها مسؤولية الحرمات الإسلامية التي انتهكها بهذه الغلط غير منحرج ولا متأثم.

وكان من الأساليب العجيبة التي توفر على روایتها أصدقاء الرجل فضلاً عن أعدائه، فيما لجأ اليه يوم نصب ابنه ولیاً لعهد المسلمين، ما يكفينا للتأكد من وزنه كمسلم فضلاً عن وزنه كخليفة!!!.. وإنها لصفحة من أنكى صفحات التاريخ، وأبعدها عن "الإسلام" روحًا ومعنى وأهدافاً، ولو لا أنها - بنتائجها التي تكشف عنها في معاوية وفي المجتمع الذي كان يدور في فلك معاوية - أحد شرائين بحثنا الواسع فيما يهدف إليه هذا البحث من بيان أسرار الحسن فيما أثاره من الصلح، لأعرضنا عن ذكرها، ولكننا أحtrinsic على سترها، رغم إفضالها المكشوف مدى ثلاثة عشر قرنا.

أما الآن فسنعرض خلاصة من نصوص المؤرخين، دون أن نعتمد الشرح والتعليق في الأثناء، لأن هذه النصوص بذاتها غنية عن الشرح والتعليق.

هكذا بايع معاوية ليزيد قال أبو الفرج الأصفهاني " بأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن وسعد بن أبي وقاص، فدس اليهما سما، فماتا منه (١)." (١)

وقال ابن قتيبة الدينوري " ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق (٢)." (٢)

وقال ابن الأثير " وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبه، فان

(١) المقاتل (ص ٢٩).

(٢) الإمامة والسياسة (ج ١: ص ١٦٠).

(٣٠٤)

مفاتيح البحث: عمر بن سعد لعنه الله (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، ابن الأثير (١)، المغيرة بن شعبه (١)، الشام (١)، الوسعة (١)، الهدف (١)، الوفاة (١)

صفحة ٢٠٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٥

معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة، ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك، فقال: الرأى ان أشخص إلى معاوية فاستعفية، ليظهر للناس كراحتي للولاية، فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل اليه: ان لم أكسبكم الآن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبداً، ومضى حتى دخل على يزيد (١) وقال له: انه ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم، وكبراء قريش وذوو أستانهم! (٢) وإنما بقى أبناءهم، وأنت من أفضلهم! وأحسنهم رأيا! وأعلمهم بالسنة!! والسياسة!، ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟ قال: أو ترى ذلك يتم؟ قال: نعم. فدخل على أبيه، وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له: ما يقول يزيد؟. فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد خلف (!)، فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفاً منك، ولا تسفك دماء (!!). ولا تكون فتنه (!!). قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل

البصرة، وليس بعد هذين المصررين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عملك، وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى.
"فودعه ورجع إلى أصحابه. فقالوا: مه؟ قال: لقد وضع رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمّة محمد!!، وفقت عليهم فتقا لا يرتفق أبدا! (٣.)"

"وطوأطًا معاوية مع رؤسائه الوفود المناصبين له، أن يخطبوا ويذكروا

(١) وذكر البيهقي في المحسن والمساوي (ج ١: ص ١٠٨) مناورة المغيرة بن شعبة هذه، ولكنه رأى أو روى أن المغيرة ابتدأ بمعاوية أولاً، وأن معاوية لما وثق منه أرجعه إلى عمله وقال له: "انصرف إلى عملك، وأحكام الامر لابن أخيك، وأعاده على البريد يركض (كذا)." (٣)

(٢) انظر إلى مكانة السن في عرف المغيرة..

(٣) كامل ابن الأثير (ج ٣: ص ١٩٨ - ٢٠١). وفي هذا الحديث ما يشعرك بروحية المغيرة بن شعبة ومدى غيرة هذا الصحابي ذي الفتوح على أمّة محمد (ص)!. (٣٠٥)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (١)، المنع (١)، العقد (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، المغيرة بن شعبة (٢)

صفحة ٢٠٦

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٦

فضل يزيد!!!. فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار، وفيهم الأحنف بن قيس الفهري، فقال له: إذا جلست على المنبر، وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذن للقيام فإذا أذنا لك، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد، وقل فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه!!!. ثم ادعني إلى توليه!. ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعيبد الله بن مسعدة الفزارى وثور بن معن السلمى وعبد الله بن عاصام الأشعري، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغوا خطبتك، وان يصدقو قوله!! فقام هؤلاء النفر خطباء يشيدون بيزيد!!! إلى أن قام الأحنف بن قيس [ولم يكن من الممثلين الذين رتبهم معاوية لهذه الرواية] فقال:

"صلاح الله الأمير، إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان مؤتنف، وقد حلبت الدهور وجربت الأمور، فاعرف من تسند إليه الامر بعدك، ثم أعص من يأمرك، ولا يغرك من يشير عليك ولا ينظر إليك، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق، لا يرضون بهذا، ولا يبايعون لزيد ما دام الحسن حيا."

ثم أردف قائلاً:

"وقد علمت يا معاوية، أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه مقاصداً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الامر من بعدك (١). فان تف فأنت أهل الوفاء، وان تغدر تظلم. والله ان وراء الحسن خيولاً جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً. وان تدن له شبراً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر. وانك تعلم من أهل العراق، ما أحبوك من ذذ أغضوك، ولا أغضوا عليك وحسننا من ذذ أحبوهما، وما نزل

(١) وأخطأ فهم هذه الحقيقة من الزمن كثير من كتب عنها، فقال حسن مراد في "الدولة الأموية" (ص ٧٠): ومن هنا نرى أن عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد على ما سيجيء لم يكن انتقالاً غير متضرر. !! وقد عرفت من كلام الأحنف هنا ومن كلامنا في البحوث الآئفة أنه كان انتقالاً غير متضرر.

مفاتيح البحث: دولة العراق (٣)، الأحنف بن قيس (٢)، الحسن بن علي (١)، عثمان الثقفي (١)، الدولة الأموية (١)، يوم عرفة (١)

صفحة ٢٠٧

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٧

عليهم في ذلك غير من السماء، وان السيف التي شهرواها عليك مع على يوم صفين، لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لين جوانحهم (١.)."

أقول: وكلام الأحنف هذا، صريح بأن معاوية حاول البيعة لابنه يزيد في حياة الحسن بن علي، بينما صرخ آخرون، بأن بيعة يزيد إنما وقعت بعد وفاة الحسن، حتى قال أبو الفرج : انه سم الحسن وسعد بن أبي وقاص تمهدًا لبيعة ابنه يزيد (" كما أشير إليه). إذا فقد كان لمعاوية محاولات لها التصميم: إدراهما في حياة الحسن رغم العهود والأيمان والمواثيق، وهي إنما فشلت لمكان وجود صاحب العهد حيا. وثانيهما بعد وفاة الحسن عليه السلام، وهي التي تمت بأساليبها الظالمة التي عرضها أكثر المؤرخين.

"فعزل مروان عن المدينة حين عجز عنأخذ البيعة على أهلها ليزيد، وولى المدينة سعيد بن العاص، فاظهر الغلطة وأخذهم بالعزل والشدة، وسطا بكل من أبطأ عن البيعة ليزيد، فأبطأ الناس عنها الا يسير، لا سيما بنى هاشم، فإنه لم يجبه منهم أحد.

"أما مروان فذهب إلى الشام مغاضبا، وواجه معاوية بكلام طويل قال فيه: وأقم الامر يا ابن أبي سفيان، وأهدأ من تأمرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراء، وأنهم على مناؤتك وزراء..

- ثم سكت لأنه رزقه الف دينار في كل هلال !! - وكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والى الحسين بن علي، يدعوهם إلى البيعة ليزيد!.

- وكان كتابه إلى الحسين عليه السلام ما لفظه :-

"أما بعد. فقد انتهت إلى منك أمور، لم أكن أظنك بها، رغبة

(١) ابن قتيبة (ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٨)، والمسعودي - هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ١٠٠ - ١٠٢).

(٣٠٧)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المحبتي عليهما السلام (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، عبد الله بن عباس (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (١)، عبد الله بن الزبير (١)، الحسين بن علي (١)، بنو هاشم (١)، الحسن بن علي (١)، الشام (١)، الفرج (١)، الموت (١)، السكوت (١)، الهلال (١)، الوفاة (٢)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٠٨

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٨

بك عنها، وان أحق الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرك وشرفك ومتلتك التي أنزلتك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله!! ولا تردن هذه الأمة في فتنه!! وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الدين لا يوقنون!!

- فكتب اليه الحسين بما يلى :-

"اما بعد فقد جاءنى كتابك، تذكر فيه أنها انتهت إليك مني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد عليها الا الله تعالى. واما ما ذكرت انه رقى إليك عنى، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنمية، المفرقون بين الجمع. وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حربا ولا خلافا. وانى أخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظلم وأعوان الشيطان الرجيم. المست قاتل حجر وأصحابه العابدين المحبتين، الذين كانوا يستفطعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر؟. فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعقود المؤكدة، جراءة على الله واستخفافاً بعهده، أولست بقاتل عمر بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم (١) لنزلت من شعف (٢) الجبال. أولست المدعى زياداً في الإسلام فزعمت أنه ابن أبي سفيان؟، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف و يصلبهم على جذوع النخل! سبحان الله يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك!! أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين على؟، ودين على هو دين ابن عمك صلى الله عليه وسلم الذي

(١) العصم [جمع أعصم] وهو: (الظبي في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر).

(٢) الشعفة بالتحريك: (رأس الجبل). وشعفة كل شيء: (أعلاه) وجمعه: [شعف] محركاً في النص.

(٣٠٨)

مفاتيح البحث: الامر بالمعروف (١)، النهى عن المنكر (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عمر بن الحمق

(١)، الظلم (٢)، القتل (٢)، الإبداع، البدعة (١)

صفحة ٢٠٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٩

أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولو لا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منه عليكم!.

وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنه. واني لا أعلم فتنه لها أعظم من أمارتك عليها.

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولا ملة محمد، واني والله ما أعرف أفضل من جهادك (أى: قاتلك)، فان أ فعل، فإنه قربة إلى ربى، وان لم أفعل، فأستغفر الله لذنبي، واسأله التوفيق لما يحب ويرضى.

وقلت فيما قلت: متى تكدرني أكدرك، فكدرني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقد يملا يكاد الصالحون، واني لأرجو ان لا تضر الا نفسك، ولا تمحيق الا عملك، فكدرني ما بدا لك!.

"واتق الله يا معاوية!، واعلم ان الله كتابا لا- يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها! واعلم ان الله ليس بناس لك قتلوك بالظنة وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب!! ما أراك الا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام (١)."!

ثم قدم معاوية بعد ذلك إلى المدينة، ومعه خلق كثير من أهل الشام عدهم ابن الأثير بألف فارس. قال " ثم دخل على عائشة، وكان قد بلغها انه ذكر الحسين وأصحابه وقال: لأقتلنهم ان لم يبايعوا.. فقالت له فيما قالت: وارفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب، ان شاء الله!! (٢)."!

وقال الدينوري (٣) بعد ذكره ورود معاوية إلى المدينة " ثم جلس معاوية صبيحة اليوم الثاني، وأجلس كتابه بحيث يسمعون ما يأمر به،

(١) ابن قتيبة (ج ١ ص ٦٣ - ٦٥).

(٢) أقول: ولنا ان نفهم من هذه اللغة أن أم المؤمنين نفسها كانت قد صارت إلى ما يحب معاوية من البيعة ليزيد!!

(٣) (ج ١ ص ١٦٨ - ١٧٢).

(٣٠٩)

مفاتيح البحث: ابن الأثير (١)، الشام (١)، أمهات المؤمنين، ازواج النبي (ص) (١)

صفحة ٢١٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١٠

وأمر حاجبه ان لا- يأذن لأحد من الناس وان قرب. ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس، فسبق ابن عباس، فأجلسه عن يساره، وشاغله بالحديث حتى أقبل الحسين ودخل، فأجلسه عن يمينه، وسأله عن حال بنى الحسن (!!) وأسنانهم، فأخبره.

"ثم خطب معاوية خطبة أثني فيها على الله ورسوله وذكر الشيختين وعثمان، ثم ذكر أمر يزيد، وانه يحاول بيعته سد خلل الرعية!، وذكر علمه بالقرآن والسنّة!، واتصافه بالحلم!، وأنه يفوقهما سياسة ومناظرة! وان كانا أكبر منه سنا (١)، وأفضل قرابة. واستشهد بتولية النبي صلى الله عليه (والله) وسلم عمرو بن العاص في غزوة "ذات السلاسل" على أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة ثم استجابهما لها ذكر".

قال "فتھیاً ابن عباس للكلام، فقال له الحسين: على رسلک، فانا المراد (٢)، ونصیبی فی التھمة أوفر.

وقام الحسين، فحمد الله تعالى وصلی على الرسول صلى الله عليه وآله وقال:

"أما بعد - يا معاوية -، فلن يؤدى القائل وان أطرب في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزء، وقد فهمت ما لم يست به الخلف بعد رسول الله (٣) من ايجاز الصفة، والتkick عن استبلاغ البيعة. وهيئات هيئات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجا، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستثارت حتى أحافت ومنت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذى حق من اسم حقه

(١) سبق ان معاوية كان يتحجج على الحسن بكبر سنّه، ولم تكن له حجة غيرها على استحقاقه الخلافة دونه. فما لهذه الباء لا تجر هنا؟!!.

(٢) لأنّه هو صاحب الحق بالخلافة بعد الحسن، كما نص عليه جده رسول الله (ص) أولاً، وكما نصت عليه معاهدة الصلح ثانياً.

(٣) يشير إلى اعراضه عن ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيمن ذكره بعد رسول الله (ص).

(٣١٠)

مفاتيح البحث: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، عبد الله بن عباس

(٣)، عمرو بن العاص (١)، الحسين بن علي (١)، القرآن الكريم (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، صلح

(يوم) الحديبية (١)، الحج (١)

صفحة ٢١١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١١

من نصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر (١)، ونصبيه الأكمel.

"فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد، تزيد أن توهن الناس في يزيد، لأنك تصنف محظوظاً أو تنتهي غالباً، أو تخبر عما كانك احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فأخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراره الكلاب المهاشرة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعافف، وضروب الملاهي - تجده ناصراً.

ودع عنك ما تحاول!!.. فما أغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلًا في جور، وحنقا في ظلم، حتى ملئت الأسقيه، وما بينك وبين الموت الا غمضة، فتقديم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولا ت حين مناص..

"وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صار ذلك لعمرو يومئذ، حتى أنف القوم امرته، وكرهوا تقديمها، وعدوا عليه أفعاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا جرم معاشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم. فكيف تحتاج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكرد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف ضاهيت بصاحب تابعاً؟ وحولك من يؤمن في صحبتها، ويعتمد في دينه وقرباته، تتخاطهم إلى مصرف مفتون، ت يريد أن تلبس الناس شبهة، يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك. إن هذا لهو الخسران المبين، واستغفر الله لك ولهم".

قال "فنظر معاوية إلى ابن عباس، فقال: ما هذا يا ابن عباس؟ ولما عندك أدهى وأمر!.. فقال ابن عباس: لعمري الله، انه لذرية الرسول، وأحد أصحاب الكسأء، ومن البيت المطهر فالله عما ت يريد، فان لك في

(١) يريد ان هذا الاجحاف المقصود كان هو منية الشيطان في تأثير الخلاف..

(٣١١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، عبد الله بن عباس (٣)، أهل الكسأء (١)، الموت (١)

صفحة ٢١٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١٢
الناس مقنعا، حتى يحكم الله بأمره، وهو خير الحاكمين.

ثم خرج معاوية إلى مكة كما يحدثنا ابن الأثير وغيره من المؤرخين، قال "وبقيه الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر إليها. ولما كان آخر أيامه بمكة، أحضر هؤلاء... وقال لهم: أني أحببت أن أتقدم إليكم، انه قد أعدد من اندر، أني كنت اخطب فيكم، فيقوم إلى القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح. واني قائم بمقاله، فأقسم بالله لمن رد على أحدكم كلمة في مقامي هذا، لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجال إلا على نفسه!.

ثم دعا صاحب حرسه بحضورهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء الرجالين، ومع كل واحد سيف، فان ذهب رجال منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضربوه بسيفهماء!!!..

ثم خرج وخرجوا معه، حتى أتى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يبتر أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم. وانهم قد رضوا وباعوا يزيد!! فباعوا على اسم الله!. فبائع الناس. انتهى ملخصا.

وولدت هذه البيعة البغيضة ولكن بعد اعصار شديد، لم تنفع فيه إلا السيف المشهورة على رؤوس الرجال، فإذا هي بنت مؤامرات ومناورات وإرهاب!.

وإذا كانت هذه هي خلافة الإسلام، فعلى الإسلام السلام.

وأخرج البخاري في صحيحه عن النبي (ص): ما من وال يلي رعيه من المسلمين فيماوت وهو غاش لهم، الا حرم الله عليه الجنة." (٣١٢)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، ابن الأثير (١)، عبد الله بن الزبير (١)، الحسين بن علي (١)

صفحة ٢١٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١٣

٣ - الوفاء بالشرط الثالث قال ابن الأثير "ان معاوية كان إذا قفت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر (١)." ونقل أبو

عثمان الجاحظ في كتاب [الرد على الامامية]: ان معاویة كان يقول في آخر خطبته: اللهم ان أبا تراب - يعني عليا - الحد في دينك، وصد عن سيلك، فالعنہ لعنا وبيلا وعذبه عذابا أليما. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر (٢)."

وقيل لمروان : ما لكم تسربونه على المنابر ؟ فقال : لا يستقيم لنا الامر الا بذلك..!!

وكان من مجاهود معاویة في هذا السبيل ما طفحت به السير والتاريخ. وهو - على هذا - أول من سن الجهر بسب الصحابة الرسول، وأول من فتح هذا الباب على مصراعيه لمن جاء من بعده، ولا نعرف أن أحدا سبقه إلى مثل هذا اللهم الا ما كان من عائشة يوم قالت: "قتلوا نعشلا فقد كفر، !! ثم لا نعهد في علماء المسلمين من حكم على عائشة بالكفر، ولا على معاویة بالمرور من الدين، لأنهما استباحا سب الصحابة، أو لأنهما أو غلا- في السب حتى عمدا إلى التكفير. ومما لا شک فيه أن حكم الأمثال واحد لا يختلف مع الزمان، ولذلك، فانا لا نجد مساغا إلى الحكم على من نال من معاویة أو نال من صحابي آخر، الا بما حكم به علماء المسلمين على معاویة وعائشة في نيلهما من على وعثمان، لا أقل ولا أكثر.

وأما الأثر المزعوم القائل " بأيهم اقتديتم اهتديتم، " فقد خص حتى سقط عمومه عن الحجية، والا لكان السبابون للصحابة من الصحابة أولى

(١) "النصائح الكافية" لابن عقيل (ص ١٩ - ٢٠).

(٢) "النصائح الكافية" لابن عقيل (ص ١٩ - ٢٠).

(٣١٣)

مفاتيح البحث: سب الصحابة (٢)، الجهر والإخفافات (١)، عبد الله بن عباس (١)، ابن الأثير (١)، السب (٢)، كتاب الكافية للشيخ المفید (٢)

صفحة ٢١٤

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١٤

بالعمل به. ولو كف معاویة لسانه عن النجوم من آل محمد (ص) الذين كان عليه ان يقتدى بهم ليهتدى، لكف الناس ألسنتهم عنه وعن أمثاله من الظالمين، ولمات النعرات ولتـم الصلح بصلاح المسلمين.

ولكنها كانت البذرـة الخبيثـة التي زرـعها الرجل عامـدا، ثم تعـاهـدـها هو وذـوهـ بالـتـغـذـيـةـ والـسـقـىـ، فإذا بها شـجـرـةـ العـوـسـجـ فـيـ تـارـيخـ الـاسـلامـ، استـغـفـلـوـ بـهـاـ الـبـسـطـاءـ وـلـبـسـوـ بـهـاـ عـقـولـ الـجـهـلـاءـ، وـجـعـلـوـ مـنـ السـبـةـ فـيـ التـارـيخـ "سـنـةـ" فـيـ الـمـسـلـمـينـ، يـتـنـادـوـنـ عـلـيـهـاـ، ويـحـتـفـلـوـ بـهـاـ، ويـحـتـجـوـنـ (١) عـلـىـ تـرـكـهاـ إـذـاـ تـرـكـتـ!!!ـ

ومـاـ لـمـ مـعـاوـيـةـ فـيـ قـدـمـ لـنـفـسـهـ مـنـ عـذـرـ يـرجـيـ، وـلـاـ فـيـ أـخـرـ لـتـارـيـخـهـ مـنـ مـجـدـ يـحـسـدـ عـلـيـهـ أـوـ يـطـرـىـ. وـإـذـاـ كـانـ الـدـهـاءـ هـوـ فـشـلـ الـأـنـسـانـ فـيـمـاـ قـدـمـ وـفـيـمـاـ أـخـرـ، فـمـعـاوـيـةـ أـدـهـيـ الـدـهـاءـ!!ـ

وـكـانـ مـنـ أـرـوـعـ مـظـاـهـرـ الـدـهـاءـ فـيـ مـوـقـعـ الـصـلـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـمـاـ جـرـ عـلـيـهـ هـذـاـ الصـلـحـ مـنـ وـيـلـاتـ مـعـنـوـيـةـ وـنـكـباتـ تـارـيـخـيـةـ فـيـ حـيـاتـهـ وـبـعـدـ مـمـاتـهـ!!ـ

وـكـانـ مـعـنـىـ الصـلـحـ فـيـ مـفـهـومـ النـاسـ، وـأـعـنـىـ الصـلـحـ الـذـىـ لـجـ هـوـ فـيـ تـحـصـيـلـهـ حـتـىـ أـقـامـ الدـنـيـاـ وـأـقـعـدـهـ - هـوـ اـنـ يـحـطـمـ السـنـانـ وـاـنـ يـكـمـ اللـسـانـ وـاـنـ يـكـونـ كـلـ وـشـائـهـ. وـفـقـ الـحدـودـ الـتـىـ سـتـقـرـرـهـ الـمـعـاهـدـةـ فـيـماـ يـتـفـقـ عـلـيـهـ الـفـرـيقـانـ. وـجـاءـتـ الـمـادـةـ الـثـالـثـةـ مـنـ اـتـفـاقـيـتـهـمـاـ، وـهـيـ صـرـيـحـةـ بـوـجـبـ الـكـفـ عـنـ السـبـ، فـكـانـ عـلـيـ مـعـاوـيـةـ اـنـ يـكـفـ، لـوـ اـنـ اـرـادـ الـصـلـحـ حـقـيـقـةـ، اوـ اـرـادـ الـوـفـاءـ بـالـشـرـوـطـ كـمـاـ يـفـرـضـهـ الـذـمـامـ وـالـعـهـدـ وـالـاـيمـانـ.

وـلـكـنـ الرـجـلـ لـمـ يـطـلـبـ الـصـلـحـ لـاـ لـيـسـرـ الـجـنـوـدـ، وـلـيـأـمـنـ غـائـلـةـ حـرـبـهـ مـعـ الـحـسـنـ اـبـنـ رـسـوـلـ الـلـهـ (صـ)ـ - كـمـاـ أـشـيـرـ اـلـيـهـ -، لـمـ يـشـأـ اـنـ يـرـجـعـ

في صلحه إلى التزام المقررات، أو الاكتئاث بالمعاهدات، فوقع الصلح ولكنـه انما وقعـه حبرا على ورق، وحلـف الـايمـان وأعطـى الموـاثـيق ولـكـنه

(١) سبق في الفصل (١٤) زيادة توضيـح للـبحث مع ذكر المصادر بأـرقـامـها.

(٣١٤)

مفاتـيح الـبـحـثـ: أـهـلـ بـيـتـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ (١)، الإـمـامـ الحـسـنـ بنـ عـلـىـ المـجـبـىـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ (١)، الرـسـوـلـ الـأـكـرـمـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ (١)، صـلـحـ (يـوـمـ) الـحـدـيـيـةـ (٨)، التـارـيـخـ الـإـسـلـامـيـ (١)، الـظـلـمـ (١)، الـسـبـ (١)

صفحة ٢١٥

صلحـ الحـسـنـ (عـ)ـ -ـ السـيـدـ شـرـفـ الدـيـنـ -ـ الصـفـحـةـ ٣١٥ـ

أـرـسـلـهـ اـرـسـالـاـ لـاـ يـتـحـسـسـ مـنـ وـرـائـهـ ذـمـةـ وـلـاـ سـؤـالـاـ وـجـاءـ الـكـوـفـةـ، وـسـبـقـ إـلـىـ مـنـبـرـهـاـ فـذـكـرـ عـلـيـاـ وـنـالـ مـنـ الـحـسـنـ، فـقـامـ
الـحـسـنـ لـيـرـدـ عـلـيـهـ، فـأـخـذـ الـحـسـنـ بـيـدـهـ فـأـجـلـسـهـ، ثـمـ قـامـ فـقـالـ مـاـ شـاءـ أـنـ يـقـولـ مـنـ أـسـلـوـبـ حـكـيـمـ، وـدـعـوـةـ حـقـ إـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ.. [وـقـدـ
مـرـتـ خـطـبـةـ الـحـسـنـ بـطـولـهـاـ وـمـاـ قـالـهـ مـعـاوـيـةـ قـبـلـهـاـ فـيـ الـفـصـلـ (١٨ـ)].

وـكـانـ فـيـمـاـ هـتـفـ النـاسـ بـهـ لـلـحـسـنـ عـلـىـ خـطـابـهـ وـجـوـابـهـ، مـاـ لـمـ يـرـضـ لـهـ مـعـاوـيـةـ، وـهـوـ إـذـ ذـاكـ لـاـ يـزالـ ثـمـلاـ بـخـمـرـةـ الـاـنـتـصـارـ الـمـوـهـومـ، فـرأـيـ
أـنـ يـنـظـمـ حـمـلـةـ جـدـيـدـةـ لـتـرـبـيـتـ الـخـلـقـ الـذـىـ لـاـ يـحـسـدـ عـلـيـهـ -ـ خـلـقـ السـبـابـ وـالـشـتـمـ وـالـطـعـنـ فـيـ النـاسـ -ـ، رـغـمـ أـنـ المـثـالـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ تـنـاقـضـ
هـذـاـ الـخـلـقـ وـتـنـكـرـهـ عـلـىـ النـاسـ وـتـدـعـوـهـ إـلـىـ التـراـحـمـ وـالـتـحـابـ وـالـاـخـوـةـ فـيـ الـدـيـنـ، وـتـقـوـلـ فـيـمـاـ تـقـوـلـ "ـلـاـ يـكـونـ الـمـؤـمـنـ سـبـابـاـ وـلـاـ
فـحـاشـاـ وـلـاـ طـعـانـاـ وـلـاـ لـعـانـاـ".

"ـفـقـالـ أـبـوـ الـحـسـنـ عـلـىـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ يـوسـفـ الـمـدـائـىـ فـيـ كـتـابـ الـاـحـدـاتـ: كـتـبـ مـعـاوـيـةـ نـسـخـةـ وـاحـدـةـ بـعـدـ عـامـ الـجـمـاعـةـ، أـنـ بـرـئـ
الـذـمـةـ مـنـ روـيـ شـيـئـاـ مـنـ فـضـلـ أـبـيـ تـرـابـ -ـ يـعـنـىـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ -ـ وـأـهـلـ بـيـتـهـ. فـقـامـتـ الـخـطـبـاءـ فـيـ كـلـ كـورـةـ وـعـلـىـ كـلـ مـنـبـرـ، يـلـعـنـونـ
عـلـيـاـ وـبـيـرـؤـونـ مـنـهـ، وـيـقـعـونـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـهـ، وـكـانـ أـشـدـ النـاسـ بـلـاءـ حـيـثـنـذـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ لـكـثـرـةـ مـنـ بـهـاـ مـنـ شـيـعـةـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ (١ـ)."
وـدـعـاـ الـمـغـيـرـةـ بـنـ شـعـبـةـ وـهـوـ يـرـيدـ أـنـ يـسـتـعـمـلـهـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ -ـ بـعـدـ الـصـلـحـ -ـ فـقـالـ لـهـ: أـمـاـ بـعـدـ. فـانـ لـذـىـ الـحـلـمـ قـبـلـ الـيـوـمـ مـاـ تـقـرـعـ الـعـصـاـ، وـلـاـ
يـجـزـىـ عـنـكـ الـحـلـيمـ بـغـيرـ الـتـعـلـيمـ، وـقـدـ أـرـدـتـ إـيـصـاءـكـ بـأـشـيـاءـ كـثـيـرـةـ، اـنـ تـارـكـهـاـ، اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ بـصـرـكـ. وـلـسـتـ تـارـكـاـ إـيـصـاءـكـ بـخـصـلـةـ
وـاحـدـةـ، لـاـ تـرـكـ شـتـمـ عـلـىـ وـذـمـهـ!! (٢ـ)."

ثـمـ خـلـفـ الـمـغـيـرـةـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ زـيـادـ "ـفـكـانـ يـجـمـعـ النـاسـ بـبـابـ قـصـرـهـ

(١) أـبـيـ الـحـدـيـدـ (جـ ٣ـ صـ ١٥ـ).

(٢) أـبـنـ الـأـثـيـرـ (جـ ٣ـ صـ ١٨٧ـ)، وـالـطـبـرـيـ (جـ ٦ـ صـ ١٤١ـ).

(٣١٥)

مـفـاتـيحـ الـبـحـثـ: الإـمـامـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ (١)، مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ (٤)، صـلـحـ (يـوـمـ) الـحـدـيـيـةـ (١)، الـمـغـيـرـةـ بـنـ
شـعـبـةـ (١)، عـلـىـ بـنـ مـحـمـدـ (١)، الـجـمـاعـةـ (١)، إـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيـدـ الـمـعـتـلـىـ (١)، إـبـنـ الـأـثـيـرـ (١)

صفحة ٢١٦

صلـحـ الحـسـنـ (عـ)ـ -ـ السـيـدـ شـرـفـ الدـيـنـ -ـ الصـفـحـةـ ٣١٦ـ

يـحـرـضـهـمـ عـلـىـ لـعـنـ عـلـىـ، فـمـنـ أـبـيـ عـرـضـهـ عـلـىـ السـيـفـ!! (١ـ.١ـ)."

وـأـمـاـ فـيـ الـبـصـرـةـ. إـنـهـ اـسـتـعـمـلـهـ عـلـيـهـ بـسـرـ بـنـ أـرـطـاـءـ "ـفـكـانـ يـخـطبـ عـلـىـ مـنـبـرـهـاـ فـيـشـتـمـ عـلـيـاـ، وـيـقـوـلـ: نـاـشـدـتـ اللـهـ رـجـلـاـ عـلـمـ أـنـيـ صـادـقـ الـاـ

صدقني أو كاذب لا- كذبني. " قال الطبرى فى تاریخه " : فقال له أبو بكره: اللهم انا لا- نعلمك الا كاذبا!، قال: فأمر به فخفق، ثم أنقذه منه !! (٢.)"

واما فى المدينة، وواليه عليها مروان بن الحكم، فكان لا يدع سب على عليه السلام على المنبر كل جمعة. قال ابن حجر المکى": وكان الحسن يعلم ذلك ولا يدخل المسجد الا عند الإقامه، فلم يرض بذلك مروان، حتى أرسل إلى الحسن في بيته بالسب البليغ لأبيه وله !! (٣.)"

"ولما حج معاویه - بعد الصلح - طاف بالبيت ومعه سعد بن أبي وقاص، فلما فرغ انصرف معاویه إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، ووقع معاویه في على وشرع في سبه، فزحف سعد، ثم قال: أجلسنی معک على سریرک ثم شرعت في سب على!. والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس!. والله لأن تكون صهر الرسول صلى الله عليه وسلم، لي من الولد ما لعلی، أحب إلى من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس!. والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قاله يوم خیر: لأعطيين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفරار، يفتح الله على يديه، أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس!. والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قاله له في غزوة تبوك: ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبی بعدي، أحب إلى من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس!، وأیم الله

(١) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٩٩).

(٢) الطبرى (ج ٦ ص ٩٦) وابن الأثير (ج ٣ ص ١٠٥).

(٣) يراجع النصائح الكافية (ص ٧٣ الطبعة الأولى).

(٣١٦)

مفاید البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیہما السلام (١)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآلہ (٣)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، معرکہ تبوك (١)، صلح (يوم) الحدبیة (١)، مروان بن الحكم (١)، مدینۃ البصرة (١)، خیر (١)، الطواف، الطوف، الطائف (١)، السجود (١)، السب (٢)، الحج (١)، إبن الأثير (٢)

صفحة ٢١٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١٧
لا دخلت لك دارا ما بقيت (١.)."

وروى المسعودي من جواب معاویه لسعد، ما نربأ بقلمنا عن التصريح به لقبه، ولكنه على كل حال دليل جديد على مبلغ إسفاف الرجل في خلقه وفي آدابه وفي مجاملاته..

٤ - الوفاء بالشرط الرابع قال الطبرى (ج ٦ ص ٩٥)": وحال أهل البصرة بينه - يعني بين الحسن - وبين خراج دار ابجرد، وقالوا: فيينا".

وقال ابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٢)": وكان منعهم - يعني منع أهل البصرة - بأمر من معاویه أيضا.!!

٥ - الوفاء بالشرط الخامس وكان الشرط - كما علمت - هو العهد بالأمان العام، والأمان لشيء على على الخصوص، وأن لا يبغى للحسنين علیہما السلام وأهل بيتهما غائلة سرا ولا جهرا.

وللمؤرخين فيما يرجع إلى موضوع هذا الشرط نصوص كثيرة، بعضها وصف للكوارث الداجنة التي جوبه بها الشيعة من الحكم الأمويين في عهد معاویه، وبعضها قضايا فردية فيما نکب به معاویه الشخصيات الممتازة من أصحاب أمیر المؤمنین، وبعضها خيانة تجاه الحسن والحسين خاصة. ول يكن عرضنا لهذه النصوص هنا على الترتيب المذكور أيضا.

(١) المسعودي (هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٨٢ - ٨١).

معاوية وشيعة على "عليه السلام"
(٣١٧)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، ابن الأثير (٢)، مدينة البصرة (٢)، المنع (١)، الترتيب (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)

صفحة ٢١٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٠

كانت السياسة الأموية التي وضعها معاوية ثم تبعه عليها الامراء الأمويون من بعده، هي أن يخلقوا من أنفسهم سادة يستأثرون بكل مجدية في الناس، فما الكرم ولا الحلم ولا الدهاء ولا الشجاعة ولا الفصاحة الا بعض هباتهم الخاصة التي احتجزوها من دون الناس جميعاً، وقد وضعوا في سبيل تركيز هذه السياسة المتعتمدة، التاريخ الزائف الذي ظل يفيض بسلسلة من الأحاديث الموضوعة، والقصص المصطنع، والأكاذيب المنوعة، والادعاء الفارغ، وأمرروا الواقع المأجورين، ومعلمى الكتاتيب فىسائر بلدان المملكة الاسلامية، بدراسة الأموال الأموية بما فيها من مدح زائف أو قدح كاذب، وعملوا كل ما كان بسعتهم أن يعملوه ليثروا في قلوب الناشئة من أولاد الناس الغرور بحبهم، والانقياد المطلق لدهائهم، فإذا بهذه الناشئة بعد لأى جنود لامية يتخاصمون بدمائهم البريئة لأهدافها، وإذا بسيول الدماء تصبح بقاع الأرض لستقيم صفوف الخدم والحسن والوكلا والمقديمين في بلاد الأسياد المتغلبين.

ولم يكن ثمة هدف آخر غير هدف الاستئثار بالسيادة والملك والثراء واللذات الدنيوية الرخيصة، وهو ما كان يضيق به المعنيون بدينهم من آل محمد صلى الله عليه وآله، ومن المسلمين الثابتين على الأخلاق الصالحة في إسلاميتهم، ومن هنا كان مبعث الشقاوة المتواصلة للحلقات بين هذه الطبقة من أموية الإسلام، وتلك الفتنة من حملة تراث الإسلام ودعاته المخلصين.

جاء في تاريخ الطبرى (ج ٧ ص ١٠٤) استطراد مقتضب يرفعه إلى زيد بن أنس عن الوضع العام الذى كان يرزح تحته معاشر الشيعة في أيام معاوية، وكان فيما يقوله أحدهم وهو يخاطبهم : " انكم كتم تقتلون (٣٢٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب أمالى الصدوقي (١)، الدولة الأموية (٣)، الأحاديث الموضوعة (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)، القتل (١)، البعث، الإنبعث (١)، الكرم، الكرامة (١)

صفحة ٢١٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢١

وتطقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيتك وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم !!

والحديث على اقتضابه تفصيل غريب ومعرض رهيب لم يحدثنا المسعودي الا بطرف منه فيما نقلناه عنه قريباً.
أما المدائى المتوفى سنة ٢٢٥، وسليم بن قيس المتوفى سنة ٧٠، فإنهما عرضاً صورة كاملة من هذه المعارض الرهيبة والماسى الكئيبة، وكان سليم بن قيس أحد شهودها المروعين بها، لأنّه عاش معاصراً لمعاوية ومات بعده بعشرين سنة، ولا شاهد كشاهد عيان، ولذلك فلنؤثر لفظه، وإن كان المدائى يكاد لا يختلف عنه في قليل ولا كثير، قال:

"قدم معاوية حاجا - في خلافته - بعد ما قتل أمير المؤمنين صالح الحسن.. واستقبله أهل المدينة وفيهم قيس بن سعد - وكان سيد

الأنصار وابن سيدهم - فدار بينهما الحديث حتى انتهى إلى [الخلافة]. فقال قيس: ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعلم في الخلافة حق مع على وولده من بعده. فغضب معاوية.. ونادى مناديه وكتب بذلك نسخة واحدة إلى عماله: (ألا برئ الذمة من روى حديثا في مناقب على وأهل بيته!!). وقامت الخطباء في كل كورة ومكان على المنابر بلعن على بن أبي طالب والبراءة منه، والحقيقة في أهل بيته، واللعنة لهم بما ليس فيهم. ثم ان معاوية مر بحلقة من قريش، فلما رأوه قاموا إليه غير عبد الله بن عباس، فقال له: يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة على بقتالي إياكم يوم صفين، يا ابن عباس ان ابن عمي عثمان قتل مظلوما، قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما فسلم الأمر إلى ولده، وهذا ابنه. قال: ان عمر قتله مشركا، قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتل المسلمين، قال: فذلك أدحض لحجتك، ان كان المسلمين قتلوا وخذلوه فليس إلا بحق، قال: فانا كتبنا إلى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب على وأهل بيته، فكف

(٣٢١)

مفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (٥)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، على بن أبي طالب (١)، سليم بن قيس (٢)، قيس بن سعد (١)، القتل (٦)، الشهادة (١)، الظلم (٢)، الوفاة (١)

صفحة ٢٢٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٢

لسانك يا ابن عباس. قال: فتنها عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: فتنها عن تأويله؟ قال: نعم، قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به؟ قال: نعم، قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟ قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تأوله أنت وأهل بيتك، قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط؟! قال: فاقرأوا القرآن ولا ترووا شيئا مما أنزل الله فيكم ومما قال رسول الله، وارووا ما سوي ذلك! قال ابن عباس: قال الله تعالى: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون. قال معاوية: يا ابن عباس اكتفى نفسك وكف عنى لسانك، وإن كنت لابد فاعلا فليكن سرا ولا تسمعه أحدا علانية! - ثم رجع إلى منزله واستند البلاء بالأمسار كلها على شيعة على وأهل بيته، وكان أشد الناس بليه أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل عليها زيادا، وجمع له العراقين، وكان يتبع الشيعة وهو بهم عالم، لأنه كان منهم، فقتلهم تحت كل كوكب، وتحت كل حجر ومدر وأحلائهم وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل منهم، وصلبهم على جذوع النخل، وسلم أعينهم، وطردتهم وشردتهم، وكتب معاوية إلى قضااته وولاته في الأمصار أن لا يحيزوا لأحد من شيعة على الذين يرونون فضلهم ويتحدثون بمناقبه شهادة!! وكتب إلى عماله، انظروا من قبلكم من شيعة عثمان الذين يرونون فضله ويتحدثون بمناقبه فأكرموهم وشرفوهم، واكتبو إلى بما يروى كل واحد منهم فيه باسمه واسم أبيه، وبعث إليهم بالصلات والكسا، وأكثر القطائع للعرب والموالي فكثروا، وتنافسوا في المنازل والضياع، واتسعت عليهم الدنيا، ثم كتب إلى عماله: ان الحديث قد كثر في عثمان فإذا جاءكم كتابي هذا فادعواهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر، فقرأ كل قاض وأمير كتابه على الناس، وأخذ الناس في الروايات فيهم وفي مناقبهم، ثم كتب نسخة جمع فيها جميع ما رووا فيهم من المناقب، وأنفذها إلى عماله، وأمرهم بقراءتها على المنابر. وفي كل

(٣٢٢)

مفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (٣)، مدينة الكوفة (١)، القرآن الكريم (٣)، الشهادة (١)

صفحة ٢٢١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٣

كوره، وفي كل مسجد، وأمرهم أن ينفذوا إلى معلمى الكتاتيب أن يعلموها صبيانهم حتى يرووها ويتعلموها كما يتعلمون القرآن حتى علموها بناتهم ونساءهم وخدمتهم - ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة: (انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان)، ثم كتب كتابا آخر: (من اتهمتموه ولم تقم عليه بینة فاقتلوه!!) فقتلوا هم على التهم والظن والشبه تحت كل كوكب، حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فتضرب عنقه!! وجعل الامر لا يزداد الا شدة، وكثر عددهم، وأظهروا أحاديثهم الكاذبة فنشأ الناس على ذلك، لا يتلذذون الا منهم. وكان أعظم الناس في ذلك القراء المرأون المتتصعنون الذين يظهرون الحزن والخشوع والنسك ويكتذبون، ليحظوا عند ولاتهم، ويصيروا بذلك الأموال والقطاع والمنازل. حتى صارت أحاديثهم في أيدي من يحسب انها حق فروعها وعلوها. وصارت في أيدي المتدلين الذين لا يستحلون الكذب، فقبلوها وهم يرون أنها حق، ولو علموا أنها باطل لم يرووها ولم يتذذوا بها، فلما مات الحسن بن علي عليه السلام. لم تزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدان."

أقول: وروى مثل ذلك بكماله أبو الحسن المدائى فيما أخذه عنه ابن أبي الحديد (ج ٣ ص ١٥ - ١٦) وقال في آخره: "فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض".

وكان هذا أسلوبا من الحوادث تستسيغه المحاكمه في ظروف الفريقيين، ويصدقه التناقض التاريخي في تسلسل الاحداث. ولا يضيره اغفال المؤرخين الآخرين لأنهم - ولنعتذر لهم - انما كانوا يكتبون لسياسة القائمة، أو لما لا يضرها على الأقل. وتقديم أن الطبرى والمسعودى المعاى إلى كل ذلك باختصار. وعلى

(٣٢٣)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، ابن أبي الحديد المعترى (١)، أبو الحسن المدائى (١)، القرآن الكريم (١)، الكذب، التكذيب (١)، القتل (١)، الموت (٢)، الحزن (١)، الخوف (١)، السجود (١)

صفحة ٣٢٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٤

هذا فمصادره هذه المادة: سليم بن قيس، المدائى، ابن أبي الحديد، الطبرى، المسعودى. وفي سبيل الله أشلاء مضرجة، وشمل شتى، وحطام من مساكن يشد أهلها أو يساقون إلى الجزر سوق القطيع! فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يتنتظر وما بدلوا تبديلا. وتلك هي تبعية معاوية لاقتناص الخلافة في الإسلام له ولبنيه!. وتلك هي طريقته البكر في وفائه بعهود الله ومواثيقه!. *** وزاد سليم بن قيس بعد ذلك فقال:

"ولما كان قبل موت معاوية بستة، حج الحسين بن على وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر فجمع الحسين بنى هاشم، ثم رجالهم ونساءهم وموالיהם ومن حج منهم من الأنصار، ممن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم أرسل رسلا: لا تدعوا أحدا حج العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك الا أجمعوهم لى، فاجتمع اليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل، وهم في سرادقة، عامتهم من التابعين، ونحو من مائتى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقام فيهم خطيا.

"فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيئتنا ما قد رأيتم وعلمت وشهدتم. وانى أريد أن أسألكم عن شيء فان صدقت فصدقوني وان كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي، واكتبا قولى، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنت من

الناس، ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا. فاني أتخوف أن يدرس هذا الامر ويذهب الحق ويغلب، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

"وما ترك شيئاً مما أنزله الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره، ولا

(٣٢٤)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، عبد الله بن عباس (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (١)، الحسين بن علي (١)، بنو هاشم (١)، سليم بن قيس (٢)، سليمان (١)، القرآن الكريم (١)، الكذب، التكذيب (١)، التعبادة، العبء (١)، الحج (٣)

صفحة ٢٢٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٥

شيئاً مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أخيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه.. وكل ذلك يقول أصحابه، اللهم نعم وقد سمعنا وشهدنا. ويقول التابع: اللهم قد حدثني به من أصدقه وأثمنه من الصحابة. فقال: أنشدكم الله إلا حدثتم به من تثقون به وبدينه".

* * * معاویة وزعماء الشیعه وكان موقف معاویة من زعماء الشیعه بعد صلحه مع الحسن موقف المتنقم الحاقد الذى لا تأخذه بهم رأفه ولا ذمه ولا "عهد" وكان لخوفه من الدعاوة الفعالة التي يحملها هؤلاء السادة من زعماء الشیعه أثره فيما توفر عليه من القصد إلى ايدائهم وإقصائهم وقتلهم والتنكيل بهم. ولسنا الآن بسبيل استقصاء ما عمله معاویة تجاه هؤلاء الشیعه، ولا استقصاء ما كان ينويه بهم من خطط بعيدة الأهداف. ولكننا - لندل على مدى وفاء هذا الأموي بشرطه وإيمانه - سنورد في هذا الفصل بعض أعماله تجاههم وبعض نوایاهم. وفي قليل من هذه الأمثلة كفاية عن الكثير آثرنا تركه أو خفى علينا علمه.

وقد خسر تاريخ هؤلاء الشیعه انصاف المؤرخين بعد ذلك، ولعب التعصب الذميم دوره المهم في طمس معالم هذا التاريخ أحفل ما يكون بالقضايا البارزة التي كان من حقها أن تأخذ مكانها من عبرة الأجيال. وكان للسلطات الحاكمة عملها في توجيه ما يكتب للتاريخ أو يملئ للحديث، حتى فيما يتناول أئمۃ الشیعه فضلا عن زعمائهم أو سوادهم.

"روى ابن عرفة المعروف بنبطويه وهو من أکابر المحدثین وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا.. قال: ان أكثر الأحادیث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بنى أمیة تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم!"

"وقال المدائی عن عصر معاویة: وظهر حديث كثير موضوع،

(٣٢٥)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)، الأحادیث الموضوعة (١)، يوم عرفة (١)، بنو أمیة (١)، بنو هاشم (١)، القتل (١)، الظن (١)، الخسان (١)

صفحة ٢٢٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٦

وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليه القراء المرأون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك في فعلون الأحادیث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجلسهم، ويصيروا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحادیث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحقون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق،

ولو علموا انها باطلة لما رأوها ولا تدينوا بها (١)."

وقال ابن أبي الحديد " : وذكر شيخنا أبو جعفر الإسکافى .. أن معاویة وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على روایة أخبار قبیحه في على عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغم في مثله، فاختلقو ما أرضاه. منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة. ومن التابعين عروة بن الزبير (٢)."

أقول: وشئ قليل من حيده في النظر ودقه في الاستنتاج يكفيانا للقناعة بألوان التصرفات الكيفية الواسعة النطاق التي نكب بها كل من حدیث الاسلام وتاريخ أحداشه معا. حتى لقد يعز على المتبع في ما جريات الحوادث الاسلامية الأولى ان لا يجد قضية من مهمات القضايا الاسلامية يومئذ سلمت في تناقضها التاريخي من الاصطدام بالمخالفات البعيدة التي تغمرها بالشك، ثم لا تزال تأخذ بها بين التيارات المتعاكسة ذات اليمين وذات الشمال.

ولا حاجة بنا بعد ذلك إلى جمع الشهادات والتصريحات على شیوع الوضع (٣) وكثرة الوضاعین، لأن خیر شہود کل شیع ما كان منه مباشرة.

وكانت قضية الحسن بن علي عليهما السلام بملابساتها وذيلها احدى

(١) و (٢) ابن أبي الحديد (ج ٣ ص ١٦) و (ج ١ ص ٣٥٨).

(٣) وللعلامة الأميني النجفی في "كتاب الغدیر" ج ٥ من ص ١٨٥ إلى ٣٢٩ (٣) بحثه القيم عن الوضاعین الكذابین جمع فيه ستة وعشرين كذبا وضاعاً من سلکهم القوم في رواة الحديث والتاريخ. فليراجع.

(٣٢٦)

مفatisح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، ابن أبي الحديد المعتلى (٢)، أبو هريرة العجلی (١)، المغيرة بن شعبه (١)، عمرو بن العاص (١)، الكذب، التكذيب (١)، الشهادة (١)، الظن (١)، العزة (١)، الوسعة (١)

صفحة ٢٢٥

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٧

هاتيك القضايا التي لعبت الأھواء في التحدث عنها وضعا ورفعا وجمعوا وتفريقا، فقدت تحت تأثير هذا التلاعيب المؤسف الذي لم يكن كله مقصودا، كما لم يكن كله غير مقصود، روعة واقعها الأول. وكان من طبيعة هذا الوضع أن تختلف عليه الأفهام، ويكثر حوله النقض والابرام. وما هي الا كنموذج واحد من قضايا كثيرة في تاريخ الإسلام ظلمها التاريخ وجللها بالظلم.

وانهم ليعرفون، وهم يؤرخون الحسن، مكانة الحسن في التاريخ ويعلمون أنهم إنما يكتبون عن "أحد الأحدين" في العالم الإسلامي كله.

فكيف بهم إذا جاوزوا فيما يؤرخون مثل هذه النقطة المركبة، إلى نقاط لا تبلغ في موضوعها خطورة امام؟.

لذلك يجب أن لا نطبع في موضوع [معاوية وزعماء الشيعة] بالحصول على الحقائق الكافية التي تملأ نهم البحث، ولا بالوقوف على الاحصاءات الصحيحة التي تسد نطاق الموضوع، بما يتناسب وحديث المدائني، وتفاصيل سليم بن قيس.

ذلك لأن كل شيء من هذا القبيل، وكل شيء من تاريخ الشيعة الصحيح، قد طغت عليه التصرفات المعاصرة، وأكلته الأكاذيب المأجورة على طول التاريخ.

وليس لنا الآن، إلا أن نعود فنتسقّط الأخبار من هنا ومن هناك لنعرض شيئا له صورته التاريخية التي نعتقد أنها - على فضاعتتها - قليل من كثير، وبعض من كل.

واليك الآن القائمة المحزونة التي تحمل أسماء هؤلاء بما فيهم من صحابة وتابعين، ولندرس على ضوء هذه القائمة جواب معاویة

على الشرط الخامس من شروط معاهدة الصلح. ثم لتدرج مع فقرات هذا الشرط فيما نأتي عليه من فصول.

أ - الشهداء المقتولون صبرا ..

(١) - حجر بن عدى الكندي) يعرف بحجر الخير، ويكنى بأبى عبد الرحمن بن عدى بن الحرت بن عمرو بن حجر المقلب بأكمل المرار [ملك الكنديين]. وقيل هو ابن معاویة بن جبلة بن عدى بن ریعه بن معاویة الأکرم من کندة (١)، ومن ذؤابتها العلما.

وقد هو وأخوه هانئ بن عدی على النبي صلی الله علیه وآلہ، قال فی الاستیعاب : "کان حجر من فضلاء الصحابة، وصغر سنہ عن کبارهم، " وذکرہ بمثیل ذلک فی أسد الغابۃ، ووصفہ الحاکم فی المستدرک بأنه : راہب

(١) وكندة هي من بنى كهلان، وبладهم في اليمن، ثم كان من كبرائهم في العراق - وكهلان وحمير ابنا سباً بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسباً اسم يجمع القيلتين كلتيهما. وكان يقال: إن العرب تعد البيوتات المشهورة بالكم والشرف بعد بيت هاشم بن عبد مناف أربعة بيوت: بيت قيس الفزارى، والدارميين، وبني شيبان، وبيت اليمن من بنى الحارث بن كعب - وأما كندة فلا يعدون من أهل البيوتات إنما كانوا ملوكاً. ومنهم "الملك الضليل - امرؤ القيس" وكان لهم ملك باليمن وبالحجاز - وبقى ل肯دة مجدها في الإسلام، فمن كندة من كان له ذكر في الفتوح والثورات، ومنهم من ولى الولايات، ومنهم من تقلد القضاء كحسين بن حسن الحجرى، ومنهم الشعراء كجعفر بن عفان المكوف شاعر الشيعة، وكان هانئ بن الجعد بن عدى - ابن أخي حجر - من أشراف الكوفة، وكان جعفر بن الأشعث وابنه العباس بن جعفر من شيعة الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر وابنه الرضا عليهما السلام. أما الأشعث بن قيس الكندي فكان أكبر منافقى الكوفة. أسلم ثم ارتدى بعد النبي ثم أسلم وقبل أبو بكر اسلامه، وزوجه أخته وهي أم محمد بن الأشعث، وتزوج الإمام الحسن ابنته، وهي التي سقطت السُّمْ باغراء معاوية إياها.

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المعجبي عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب أسد الغابة لإبن الأثير (١)، كتاب الكافلة للشيخ المفید (١)، مدينة الكوفة (٣)، صلح (يوم) الحديبية (١)، حجر بن عدى الكندي (١)، التاريخ الإسلامي (١)، سليم بن قيس (١)، الشهادة (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعمش الكوفي (١)، دولة العراق (١)، أشعث بن قيس الكندي (١)، العباس بن جعفر (١)، محمد بن الأشعث (١)، موسى بن جعفر (١)

صفحه ۲۲۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢٩

"أصحاب محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم."

وبلغ من عبادته أنه ما أحدث إلا توضأ وما توضأ إلا صلي. وكان يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان ظاهر الزهد، مجاب الدعوة (١)، ثقء من الثقات المصطفين، اختار الآخرة على الدنيا حتى سلم نفسه للقتل دون البراءة من امامه، وانه مقام تزل فيه الاقدام وتزيغ الأحلام.

كان في الجيش الذى فتح الشام، وفي الجيش الذى فتح القادسية، وشهد الجمل مع على، وكان أمير كندة يوم صفين، وأمير الميسرة يوم النهروان، وهو الشجاع المطرق الذى قهر الضحاك بن قيس فى غربى تدمر. وهو القائل "نحن بنو الحرب وأهلها، نلقيها وننتجهما، قد ضارستنا وضارستناها".

قتله وستة من أصحابه معاویة بن أبي سفیان سنة ٥١ فی "مرج عذراء" بغوطة دمشق علی بعد ١٢ ميلاً منها. وقبره إلى اليوم ظاهر مشهور، وعليه قبة محکمة تظهر عليها آثار القدم في جانب مسجد واسع، ومعه في ضريحه أصحاب المقتولون معه وسناتی على ذكرهم.

وهدم زیاد ابن أبيه دار حجر في الكوفة.

(١) قال في الإصابة (ج ١ ص ٣٢٩): أصابته جنابة - وهو أسير - فقال للموكلا به أعطني شرابي أتطهر به، ولا تعطني غدا شيئاً، فقال: أخاف أن تموت عطشاً فيقتلني معاویة. قال: فدعا الله فانسكبت له سحابة بالماء، فأخذ منها الذي احتاج إليه فقال له أصحابه: ادع الله أن يخلصنا، فقال: اللهم خر لنا."

السبب في قتله أنه كان يرد على المغيرة وزیاد حين يشتمان علياً عليه السلام، ويقول: "أنا أشهد أن من تذمرون أحق بالفضل، ومن تزكون أولى بالذم، وكان

(٣٢٩)

مفاییح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، معاویة بن أبي سفیان لعنهم الله (١)، كتاب الثقات لابن حبان (١)، مدينة الكوفة (١)، الضحاك بن قيس (١)، الشام (١)، دمشق (٢)، القتل (١)، الوسعة (١)، الزهد (١)، السجود (١)، الحرب (١)، الشهادة (١)، الموت (١)

صفحة ٢٢٧

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٠

"إذا جهر بكلمه هذه، وافقه أكثر من ثلثي الناس، وقالوا: "صدق والله حجر وبر."

أما المغيرة بن شعبه فقد قدر المعنويات التي تعزز حجراً كصاحب فاضل، وكرأس من رجالات على في الكوفة، وكأمير عربي يرث تاج الكنديين من أقرباء الجدد، وسمع بأذنيه تأييد الناس دعوته غير آبهين بالقوءة، ولا خائفين نومة السلطان، فرأى أن يتمهل في أمره وأن يعتذر إلى ذوى مشورته الذين كانوا يحرضونه على التشكيل به. ثم قال لهم: "أنا قد قتلتة." قالوا: "وكيف ذلك؟" قال: "إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثل فيصنع به شيئاً بما ترون، فإذا خذنه عند أول وهلة فيقتله شر قتله." وكان المغيرة في موقفه من حجر المنافق الحكيم، وكذلك كان فيما أجاب به صعصعة بن صوحان يوم فتنه المستورد بن علفة الخارجي سنة ٤٣ قال له: "إياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل على علانية، فإنك لست بذلك من فضل على شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك!! ولكن هذا السلطان - يعني معاویة - قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيده للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد من ذكره بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية (١.)."

ولى ابن سمية الكوفة بعد هلاك المغيرة سنة ٥٠ أو ٥١، فرأى أن يخدم أمويته "المزعومة" بقتل حجر بن عدى ليريحها من أكبر المشاغبين عليها. ولكنه جهل أن دم حجر سيظل يشاغب على تاريخ أمية ما عرف الناس هذين الاسمين.

وأطال الوالى الجديد خطبته يوم الجمعة حتى ضاق وقت الصلاة - ولصلاة الجمعة وقتها المحدود - فقال حجر - وكان لا يفارق جمعتهم وجماعتهم -: الصلاة! فمضى زیاد في خطبته. فقال ثانياً: الصلاة! فمضى في خطبته. وخشي حجر فوت الفريضة فضرب بيده إلى كف من (١) الطبرى (ج ٦ ص ١٠٨).

(٣٣٠)

مفاییح البحث: مواقيت الصلاة (١)، مدينة الكوفة (٢)، صلاة الجمعة (١)، حجر بن عدى الكندي (١)، صعصعة (١)،

بن صوحان (١)، القتل (٤)، التصديق (١)، الخوف (١)، الجهل (١)، الصلاة (٢)، النفاق (١)

صفحة ٢٢٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣١
الحسنا، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه.

وما كان أبو عبد الرحمن بمكانته الاجتماعية وبروشه العابدة الراهبة بالذى يترخص فى دينه أو يلجأ إلى مجاملة المترخصين، وكان يظن ان فى هؤلاء بقية من الحسن قد تنفعها الذكرى وقد يجدى معها الانكار، فأنكر انتصافاً للحق المهمضوم، وجاهد لدينه ولإمامه ولصلاته بلسانه، كما كان يجاهد بسيفه فى فتوح الاسلام.

وجاءت قائمة جرائمه - فى عرف بنى أمية - أنه يرد السب عن على عليه السلام، وأنه يريد الصلاة لوقتها، ولا شيء غير ذلك!.
ودعا زياد "حواشيه الطيعة" الذين كانوا يبادلونه الذم بالنعم أمثال عمر بن سعد [قاتل الحسين عليه السلام]، والمنذر بن الزير، وشمر بن ذى الجوشن العامرى، وإسماعيل واسحق ابنى طلحه بن عبد الله، وخالد بن عرفطة، وشبت بن ربى، وحجر بن أبجر، وعمرو بن الحجاج، وزجر بن قيس.. و "درازن" أخرى من هذه النماذج التى طلقت المروءة ثلاثة، وكانوا سبعين رجالاً عدهم الطبرى فى تاريخه واحداً واحداً [٦ ص ١٥٠ - ١٥١]، وماز من بينهم أبا بردة بن أبي موسى الأشعري لأنه كان أضعفهم عنده أو لأنه كان أقواماً عند معاوية، وقال له اكتب : " - بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الله رب العالمين !!، أشهد أن حجر بن عدى نزع الطاعة، وفارق الجماعة!! ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب، وجمع إليه الجموع يدعوه إلى نكث البيعة، وكفر بالله عز وجل كفرة صلقاء. !!! ..".

وقال للسبعين " على مثل هذه الشهادة فأشهدوا. أما والله لأجهدنا على قطع خيط هذا الخائن الأحمق. !! فشهادته على هذه الصحيفة الخائنة الحمقاء سبعون من اشراف الكوفة و "أبناء البيوتات!!! " وكتب إلى معاوية في حجر وكثر عليه فكتب إليه معاوية " شده في الحديد وأحمله إلى ".

(٣٣١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليهما السلام) (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، مدينة الكوفة (١)، حجر بن أبجر (١)، شبت بن ربى اليربوعى (١)، حجر بن عدى الكندي (١)، طلحه بن عبد الله (١)، شمر بن ذى الجوشن لعنه الله (١)، بنو أمية (١)، الشهادة (٣)، القتل (١)، الصلاة (٢)، الحرب (١)، الظل (١)، السب (١)، الجماعة (١)

صفحة ٢٢٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٢

وللتذكرة هنا سوابق هذه الحفنة من أبناء بيوتات الكوفة في قضية الحسن بن على عليهما السلام أيام خلافه، وهل كان الفارون من الزحف في مسكن، والمتألبو على الشر في المدائن، والمكتابون معاوية على الغدر بالأمام وتسليمه إياه إلا هؤلاء؟. فمن هو إذا الذي نزع الطاعة وفارق الجماعة ونكث البيعة أحجر بن عدى أم هم؟

ثم للتذكرة مواقف هؤلاء أنفسهم في فاجعة الحسين عليه السلام بكربلاء، وكانوا يومئذ سيف الجبارية الأمويين الذين تحملوا مسؤوليات تلك الأحداث المؤلمة التي لا حد لفظاعتها في تاريخ العرب والاسلام.

موقف الكوفة في حادثة حجر وكان باستطاعه حجر أن يشعل نار الثورة التي تقض مضجع مصعب بن عبد الله في الكوفة، لو انه شاء المقاومة

بالسلاح. وفهم معاویه ذلك حين راح يقول - بعد مقتل حجر ":- لو بقى حجر لأشفقت أن يعيدها حرباً أخرى، " وفهم زياد ذلك حين اتبع حجراً ببريه وقال له ":- اركض إلى معاویه وقل له: إن كان لك في سلطانك حاجة فاكفني حجراً". ولكن الزعيم الشيعي الذي كان قد درس على الإمام الحسن بن علي عليهما السلام تضحياته الغالية في سبيل حقن الدماء، منع قوله من الحرب صريحاً.

ولكن جماعة من أصحابه اشتبكت بشرطة زياد و(بخاريته) عند أبواب كندة، وجماعة أخرى التهمت بهم عند باب داره - قرب جبانة كندة - وكان من ابطال هاتين الموقعتين عبد الله بن خليفة الطائي، وعمرو بن الحمق المخزاعي - وسألتني على ذكرهما في الفصول القريبة -، وعبد الرحمن بن محرز الطمحى، وعائذ بن حملة التميمي، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وقيس بن شمر، وعمير بن يزيد الكندي المعروف (بابى العمرطة). قالوا ":- وكان سيف أبي العمرطة أول سيف ضرب (٣٣٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الدولة الأموية (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة الكوفة (٣)، عبد الله بن خليفة الطائي (١)، عبيدة بن عمرو (١)، قيس بن يزيد (١)، عمرو بن الحمق (١)، المنع (١)، الضرب (١)، الحرب (١)، القتل (١)، الجماعة (٢)

صفحة ٢٣٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٣

به في الكوفة يوم حجر. - " وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له، يسير في مجالس كندة يحرضهم على الحرب. وحسب أهل الكوفة زياداً (١) - وكان ذلك هو ميراثه الشرعي من أمه سمية. أما حجر نفسه فأصر على قومه بأن يردوا السيف إلى أغمادها، وقال لهم ":- لا تقاتلوا فاني لا أحب ان أعرضكم للهلاك.. وانا آخذ في بعض هذه السكك".

وأخذته عيون زياد التي كانت تلاحقه، لأن الناس كلهم أو أكثر من ثلثي الناس كانوا يمنعون حجراً من هذه العيون. وهكذا صاق زياد بحجر وأصحابه، فجمع اشراف الكوفة وقال لهم ":- يا أهل الكوفة: أتشجون بي وتأسون بأخرى، أبدانكم معى، وأهواوكم مع حجر، أنتم معى واخوانكم وأبناؤكم وعشائركم مع حجر. هذا والله من دحسكم وغضكم. والله لظهورن لي براءةكم، أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم.. ثم قال ":- فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر. فليدع كل رجل منكم أخيه وابنه وذا قرابته ومن يطليعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم أن تقيموه."

ثم أمر زياد أمير شرطته [شداد بن الهيثم الهمالي] بالقبض على حجر. وعلم أن شرطته ستعجز عنه، فدعا محمد بن الأشعث الكندي، وقال له ":- يا أبا ميثاء، أما والله لتأتني بحجر، أو لا ادع لك نخلة الا قطعتها، ولا دارا الا هدمتها، ثم لا تسلم حتى أقطعك إرباً!" قال له ":- أمهلني حتى أطلبها. " قال ":- أمهلتكم ثلاثة، فان جئت به والا عذر نفسك في الهلكي.!"

أقول: ولم كل هذا الحق؟ أللدين وما كان ابن سمية بأولى به

(١) قال الطبرى ":- ومن يومه اتخد المقصورة (ج ٦ ص ١٣٢).

(٣٣٣)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٤)، محمد بن الأشعث (١)، القتل (١)، الهدم (١)، الحرب (١)، الجماعة (١)

صفحة ٢٣١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٤

من الصحابي العابد الذى كان يصلى كل يوم وليله الف ركعة، ثم لا ذنب له الا أن ينهى عن المنكر ويريد الفرائض لوقتها؟! - أم للدنيا، وقد خسروا فى مقتل حجر صبابة معنوياتهم فى التاريخ !!

وحاول زياد ان يقتل الكنديين بعضهم ببعض بما أمر به ابن الأشعث الكندى، وكان ذلك من جملة الأساليب الرثة التى يتوارثها الحاكمون بأمرهم فى الشعوب المغلوبة على أمرها فى القديم والحديث.

وعلم حجر ما أراده زياد فى الكنديين وأصحابهم فقال : "ولكن سمع وطاعة".

ودارت الشرطة للقبض على الأسماء البارزة من مؤازريه، فجمعوا تسعة من أهل الكوفة وأربعة من غيرها - برواية المسعودى -. وعدهم ابن الأثير هكذا : حجر بن عدى الكندى، والأرقم بن عبد الله الكندى، وشريك بن شداد الحضرمى، وصيفى بن فسيل

الشيبانى، وقيصصة بن ضبيعة العبسى، وكريم بن عفيف الخصمى، وعاصر بن عوف البجلى، وورقاء بن سمى البجلى، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العتزيان، ومحرز بن شهاب التميمى، وعبد الله بن حوبة السعدي التميمى. " قال : " فهولاء اثنا عشر رجلا.

وابتعهم زياد بргلين وهما: عتبة بن الأختس من سعد بن بكر، وسعد بن نمران الهمданى. فقاموا أربعة عشر رجلا."

ونشط - إذ ذاك - المشاؤون بالنميم، وما كان أكثرهم فى هذا البلد المنكوب !

ومكث حجر فى سجن الكوفة عشرة أيام حتى جمعوا اليه من أصحابه من ذكرنا، ثم أمر بهم فسيقوا إلى الشام. وكان كل ما فى الكوفة يدل على تمخض الوضع عن وثبة لا يدرى مدى بلائها على الحاكم والمحكوم .

ولكن زيادا فطن إلى ذلك، فأمر بخارجهم "عشية" ليتستر بالظلام،

(٣٣٤)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٣)، ابن الأثير (١)، حجر بن عدى الكندى (١)، صيفى بن فسيل (١)، سعد بن بكر (١)، الشام (١)، القتل

(٢)

صفحة ٢٣٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٥

فيخفف من عرامة هذا الظلم المفظوح.

ونظر قيسصة بن ربيعة - أحد أصحاب حجر - فإذا هو يمر على داره فى جبانة " عزم " وإذا بناته مشرفات يبكيه، فكلمهن ووعظهن بما سألتى على ذكره عند ترجمته، ثم انصرف .

وأنشأت ابنة حجر فى احدى لياليها السود وقد قطع الخوف على أبيها نياط قلبها وهى تخاطب القمر - وقيل بل الآيات لهند بنت زيد الأنصارية ترشى حجرا:

ترفع أيها القمر المنير * * لعلك أن ترى حجرا يسير يسير إلى معاوية بن حرب * * * ليقتله كما زعم الأمير ويصلبه على بابى دمشق * * * وتأكل من محاسنه النسور تجبرت الجبار بعد حجر * * * وطاب لها الخورنق والسدير وأصبحت البلاد له محولا * * * كأن لم يحيها مزن مطير ألا- يا حجر حجر بنى عدى * * تلقتك السلامه والسرور أخاف عليك ما أردتى عليا * * * وشيخا فى دمشق له زئير فان تهلك فكل عميد قوم * * من الدنيا إلى هلك يصير * * مقتله وصاروا بهم إلى عذراء، وكانت قرية على اثنى عشر ميلا- من دمشق، فحبسوه هناك، ودار البريد بين معاوية و زياد، فما زادهم التأخير إلا عذابا. وجاءهم أبور معاوية فى رهط من أصحابه يحملون أمره بقتالهم ومعهم أكفانهم فقال لحجر : " أن أمير المؤمنين أمرنى بقتلتك يا رأس الضلال!!.. ومعدن الكفر والطغيان!!.. والمتولى لأبى تراب، وقتل أصحابك الا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا أصحابكم وتتبرأوا منه - " فقال حجر وأصحابه :

"ان الصبر على حد السيف لا يسر علينا مما تدعوننا

(٣٣٥)

مفاتيح البحث: دمشق (٣)، الظلم (١)، الأكل (٢)، الحرب (١)، القتل (١)، الضلال (١)، الخوف (١)، الهاك (١)، الصبر (١)

صفحة ٢٣٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٦

الى ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب اليها من دخول النار."

وحرفت القبور، وقام حجر وأصحابه يصلون عاملاً الليل، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر "اتركوني أنوncia وأصل فاني ما توپأ الا صليت." فتركوه فصلى ثم انصرف، وقال "والله ما صليت صلاة أخف منها، ولو لا أن تظنوا في جزعاً من الموت لاستكثرت منها."

ثم قال "اللهم انا نستديرك على أمتنا، فان أهل الكوفة شهدوا علينا، وان أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمني بها، فاني لأول فارس من المسلمين هلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبنته كلابها (١)." .

ثم مشى اليه هدبة بن فياض القضايع بالسيف، فارتعد - فقالوا له "زعمت أنك لا ترجع من الموت، فابرأ من صاحبك وندعك!!" .

فقال "مالى لا أرجع وأرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وانى والله ان جزعت من القتل، لا أقول ما يسخط رب." وشفع في سبعة من أصحاب حجر ذوي حرانتهم من المقربين لدى معاوية في الشام.

وعرض الباقيون على السييف، وقال حجر في آخر ما قال "لا تطلقوا عنى حديداً، ولا تغسلوا عنى دماً، فاني لاق معاوية غداً على الجادة وانى مخاصم." وذكر معاوية كلمة حجر هذه فغضض بها ساعة هلك - معاوية - فجعل يغرغر بالصوت ويقول "يومى منك يا حجر يوم طويل."

(١) ابن الأثير (ج ٣ ص ١٩٢) وقال ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه عند ذكر حجر "وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية وكان حجر هو الذي افتحها فغدر بها." أقول: وهو معنى قوله هنا "أول رجل من المسلمين نبنته كلابها" يعني يوم فتحها. فاجعلته في المسلمين حج معاوية بعد قتله حجراً وأصحابه فمر بعائشة " واستأنذن عليها

(٣٣٦)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، الشام (٢)، الموت (٣)، القتل (٤)، القبر (١)، الهاك (٢)، الشهادة (١)، الصلاة (٢)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٣٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٧

فاذنت له، فلما قعد قالت له: يا معاوية أمنت ان أخبئ لك من يقتلنك؟ قال: بيت الامن دخلت، قالت: يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ (١). " وقالت "لولا-انا لم نغير شيئاً الا- صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر، أما والله ان كان ما علمت لمسلم حجاجاً معتمراً (٢)." .

وكتب شريح بن هانى إلى معاوية يذكر حجراً ويفتيه بحرمة دمه وما له ويقول فيه "انه من يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويديم الحج والعمر، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال (٣)." .
وكان ابن عمر - منذ أخذ حجر - يتخبر عنه فأخبر بقتله وهو بالسوق فأطلق حبوته وولى وهو يبكي (٤).

ودخل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على معاوية وقد قتل حجرا وأصحابه، فقال له "أين غاب عنك حلم أبي سفيان"؟ قال "غاب عنى حين غاب عنى مثلك من حلماء قومي، وحملنى ابن سميه فاحتملت" !! قال "والله لا تعد لك العرب حلما بعد هذا أبدا ولا رأيا، قتلت قوما بعث بهم إليك أسرى من المسلمين" ..

وقال مالك بن هبيرة السكوني حين أبي معاوية أن يهب له حجرا، وقد اجتمع اليه قومه من كندة والسكون وناس من اليمين كثير، فقال "والله لنحن أغني عن معاوية من عنا وانا لنجد في قومه (٥) منه بدلا ولا يوجد منا في الناس خلفا" ..

وقيل لأبي اسحق السبعي "متى ذل الناس"؟ فقال "حين مات الحسن، وادعى زياد، وقتل حجر بن عدي (٦)"

وقال الحسن البصري "أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه

(١) الطبرى (ج ٦ ص ١٥٦).

(٢) ابن الأثير (ج ٣ ص ١٩٣).

(٣) و (٤) الطبرى (ج ٦ ص ١٥٣).

(٥) يعني بنى هاشم.

(٦) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٨).

(٣٣٧)

مفاتيح البحث: الامر بالمعروف (١)، حجر بن عدي الكتدى (١)، شريح بن هانى (١)، الحسن البصري (١)، الحج (١)، الزكاة (١)، القتل (٥)، الموت (١)، الصلاة (١)، ابن أبي الحديد المعترلى (١)، ابن الأثير (١)، بنو هاشم (١)

صفحة ٢٣٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٨

منهن الا- واحدة ل كانت موبقة: انتراؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابترها أمرها - يعني الخلافة - بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زيادا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتل حجرا. ويل له من حجر وأصحاب حجر - مرتين - (١)." ومات الربيع بن زياد الحارثى غما لمقتل حجر، وكان عاملاً لمعاوية على خراسان. قال ابن الأثير (ج ٣ ص ١٩٥) "؛ وكان سبب موته أنه سخط قتل حجر بن عدي، حتى انه قال: لا تزال العرب تقتل صبراً بعده، ولو نفرت عند قتله، لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها قرت فذلت، ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة، ثم خرج يوم الجمعة فقال: أيها الناس، اني قد مللت الحياة فاني داع بدعوة فأمنوا. ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال: اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى إليك عاجلا، وأمن الناس - ثم خرج، فما توارت ثيابه حتى سقط (٢)." وكتب الحسين عليه السلام إلى معاوية في رسالة له "؛ ألسنت القاتل حجراً أخاً كندة، والمصلين العابدين، الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم؟ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدهما كنت أعطيتهم اليمان المغلظة والمواثيق المؤكدة [يشير إلى نصوص المادة الخامسة من معاهدة الصلح] أن لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا ياحنة تجدها في نفسك عليهم (٣)" .

ثم جاء دور التاريخ فخصص نصر بن مزاحم المنقري كتاباً في مقتل حجر بن عدي، ولوط بن يحيى بن سعيد الأزدي كتاباً (٤)، وهشام بن محمد

(١) الطبرى (ج ٦ ص ١٥٧) وغيره.

(٢) وذكر ذلك كل من الاستيعاب وأسد الغابة والدرجات الرفيعة والشيخ في الأمالى.

(٣) البحار (ج ١٠ ص ١٤٩).

(٤) فهرست ابن النديم (ص ١٣٦).

(٣٣٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، ابن الأثير (١)، حجر بن عدى الكندي (٢)، الريبع بن زياد (١)، يحيى بن سعيد (١)، هشام بن محمد (١)، نصر بن مزاحم (١)، خراسان (١)، الظلم (١)، القتل (٧)، الموت (١)، الصلاة (١)، اللبس (١)، الإبداع، البدعة (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب أسد الغابة لإبن الأثير (١)، ابن النديم (١)

صفحة ٢٣٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٣٩

ابن السائب كتاباً في حجر، وكتاباً آخر في مقتل رشيد وميثم وجويرية بن مشهر (١.)

(١) النجاشي (ص ٣٠٦).

الأحاديث في حجر وأصحابه قال ابن عساكر " إن عائشة بعد أن انكرت على معاوية قتله حجر وأصحابه، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: سيقتل بعذراء - الموضع الذي قتل فيه حجر وأصحابه - أناس يغضب الله لهم وأهل السماء ".
وروى مثله بطريق آخر عنها.

وروى البيهقي في الدلائل ويعقوب بن سفيان في تاريخه " عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: سمعت على بن أبي طالب عليه السلام يقول: يا أهل العراق، سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ".
الشهداء من أصحاب حجر علمنا - مما سبق - أن أصحاب حجر صفوة من رجال الله القليلين، وأنهم " المصلون العابدون، الذين ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم " على حد تعبير الحسين عليه السلام عنهم فيما كتبه إلى معاوية.
ورأينا - إلى ذلك - كيف يذكرهم كبراء المسلمين الآخرون كلما ذكروا حجرًا.

وإذا شاءت المقادير، أو شاءت الرقابات الأموية طمس أخبارهم وتناسى آثارهم، فإنهم شهداء المبادئ، وقربان الحق المغضوب، وكفاهم ذلك فضلاً ومجداً وظهوراً في التاريخ.

(٣٣٩)

مفاتيح البحث: القتل (٣)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (١)، ابن عساكر (١)، الظلم (١)، الشهادة (١)، الإبداع، البدعة (١)

صفحة ٢٣٧

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٠

ولقى معاوية في حجته " المقبولة " .. بعد قتل هذه الزمرة الكريمة، الحسين بن على عليهما السلام في مكان، فقال له - مزهوا " : هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه شيعة أبيك؟ " قال " : وما صنعت بهم؟ " قال " : قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم !! " .
فضحك الحسين عليه السلام، ثم قال " : خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك، ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، ولا قربناهم (١) " .

* * * واليكم الآن أسماء الشهداء الممتحنين مرتبة على الحروف وملحقة بما يتصل بكل منهم من معلومات:
أ - شريك بن شداد أو ثداد الحضرمي وسماه آخر عريشك بن شداد.

ب - صيفي بن فسيل الشيباني، رأس في أصحاب حجر حديد القلب شديد العقيدة سديد القول. القى القبض عليه واحضر لزياد فقال له " يا عدو الله!! ما تقول في أبي تراب؟" قال " ما اعرف أبا تراب" قال " ما اعرفك به؟" قال " ما اعرفه" قال " اما تعرف على بن أبي طالب؟" قال " بل" قال " فذاك أبو تراب" قال " كلا" ذاك أبو الحسن والحسين عليه السلام. " فقال له صاحب الشرطة " يقول لك الأمير: هو أبو تراب، وتقول أنت لا؟" قال " وان كذب الأمير أتريد ان أكذب انا واشهد على باطل كما شهد [!!؟ انظر إلى خلقه وصلابته] قال له زياد " وهذا أيضا مع ذنبك!! على بالعصا، " فأتي بها، فقال " ما قولك؟" قال " أحسن قول أنا قاتله في عبد الله المؤمنين، " قال " اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض، " فضرب حتى لزم الأرض!! ثم قال " أقلعوا عنه - ايه ما قولك في على؟"

(١) البحار وغيره، وروى مثلها الطبرى عن الحسن ولا يصح لأن فجائع حجر وأصحابه كانت بعد وفاة الحسن بستين. وروى مثلها ابن الأثير عن الحسن البصرى قال " فقال: حجوهم ورب الكعبة".

(٣٤٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، مدينة مكة المكرمة (١)، علي بن أبي طالب (١)، صيفي بن فسيل (١)، الكذب، التكذيب (٢)، الشهادة (١)، القتل (١)، الكرم، الكراهة، المشاركة (١)، ابن الأثير (١)، الحسن البصرى (١)، الوفاة (١)

صفحة ٢٣٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤١

قال " والله لو شرحتنى بالمواسى والمدى ما قلت الا ما سمعت مني. " قال " لتنعنته، او لأضربن عنقك" ! قال " إذا تضربها والله قبل ذلك، فان أبىت الا ان تضربها، رضيت بالله وشقيت أنت."!
قال " ادفعوا فى رقبته - " ثم قال " :- أوقروه حديدا، وألقوه فى السجن."!
ثم كان فى قافلة الموت مع حجر، ومن شهداء عذراء الميامين.

ج - عبد الرحمن بن حسان العتى. كان من أصحاب حجر وسيق معه مكبلا بالحديد، ولما كانوا في مرج عذراء طلب ان يبعثوا به إلى معاوية - وكأنه ظن أن معاوية خير من ابن سمية -. فلما دخل عليه، قال له معاوية " يا أخا ربيعة! ما تقول في على؟" قال " : دعني ولا تسألني، فهو خير لك، " ! قال " والله لا أدعك، " قال: أشهد انه كان من الذاكرين الله كثيرا، والأمراء بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. " قال " : مما قولك في عثمان، " ؟ قال " : هو أول من فتح باب الظلم وأغلق أبواب الحق، " قال " : قتلت نفسك، " قال " : بل إياك قتلت، ولا ربيعة بالوادى - " يعني ليشفعوا فيه أو يدفعوا عنه -. فرده معاوية إلى زياد في الكوفة وأمره بقتله شر قتلة!!..

وكان عبد الرحمن هذا هو القائل يوم كبسهم جلادو معاوية في مرج عذراء " اللهم اجعلنى من تكرم بهوانهم وأنت عنى راض، فطالما عرضت نفسي للقتل فأبى الله الا ما أراد".

وذكره جبهة العرنى، فيما حدث عنه في تاريخ الكوفة، (ص ٢٧٤) قال " : وكان عبد الرحمن بن حسان العتى من أصحاب على عليه السلام، أقام بالكوفة يحرض الناس على بنى أمية، فقبض عليه زياد، وأرسله إلى الشام، فدعاه معاوية إلى البراءة من على عليه السلام، فأغاظ عبد الرحمن بالجواب، فرده معاوية إلى زياد فقتله".

(٣٤١)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (٣)، بنو أمية (١)، الشام (١)، القتل (٣)، الظلم (١)، الشهادة (٢)، الموت (١)، الظنّ (١)

صفحة ٢٣٩

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٢

وقال ابن الأثير (ج ٣ ص ١٩٢) والطبرى (ج ٦ ص ١٥٥) أنه دفنه حيا بقس الناطف (١).

أقول: ولو أدرك معاوية قتلايت زياد لشيعة على في الكوفة، وقطعه الأيدي والأرجل والألسنة، وسمله العيون، لما زاده وصاءة بابن حسان العتزي حين أمره بان يقتله شر قتلة، وهل قتلة شر من هذه الفتلات والمثلثات؟ ولكن زيادا نزل على وصيئه معاوية فابتعد قتلة الدفن حيا!!! (٢).

وما أدراك ما سيلقى معاوية على هذه الوصاءة، وما سيجازى زياد على هذه القتلات يوم يردون جمیعا إلى الله مولاهم الحق؟؟؟.

* * * د - قبيصة بن ربيعة العبسى. وسماه بعضهم ابن ضبيعة - بدل ربيعة - وهو الشجاع المقدام الذى صمم على المقاومة بسلامه وبقومه، لولا أن صاحب الشرطة آمنه على دمه وماله، فوضع يده فى أيديهم، ايمانا ببراءة "الأمان" الذى كان لا يزال متبعا لدى العرب فضلا عن أهل الإسلام، ولولا أن الخلافة الإسلامية والعربية معا، كانت قد تبخرت عند القوم، أو انهم كانوا قد فهموها على أنها وسائل للغلبة والبطش فحسب!.

وأحضر ابن ضبيعة العبسى لزياد فقال له "اما والله لأجعلن لك شاغلا عن تلقيح الفتنة والتوب عن الامراء [!!] انظر إلى المنفذ الصيق الذى

(١) موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ويقابلها "المروحة" على شاطئها الغربى كانت فيه موقعة أبي عبيد والد المختار الثقفى.

(٢) ثم كان هذا النوع من القتل السننة السنية التى تبعه عليها الجبارية من بعده. ولما غضب بنو أمية على عمر المقصوص وهو مؤدب معاوية بن يزيد بن معاوية، الذى استقال من خلافتهم احتجاجا عليهم، أخذوه ودفونه حيا! الدميرى فى حياة الحيوان (ص ٦٢) وروى هناك خطبة معاوية هذا التى يشرح فيها حديثاته استقالته بما يشعر بتشيعه لأهل البيت عليهم السلام.

(٣٤٢)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٢)، ابن الأثير (١)، القتل (٥)، الدفن (١)، الوصيئ (١)، أهل بيته عليه وآلها (١)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (١)، المختار بن أبي عبيدة الثقفى (١)، نهر الفرات (١)، يزيد بن معاوية لعنهم الله (١)، بنو أمية (١)، الدميرى (١)

صفحة ٢٤٠

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٣

ينظر منه الأقوباء، قال "انى لم آتك الا على الأمان،" قال "انطلقا به إلى السجن."

ثم كان بعد ذلك فى الركب المثقل بالحديد الذى يسار به إلى القتل صبرا. وفي الحديث "من آمن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وان كان المقتول كافرا (١.)"

ومروا به - ولما يخرجوا بالقافلة من الكوفة - على داره فإذا بناته مشربات اليه يبكيه، فقال للحرسرين وائل وكثير "إئذنا لى فأؤوصى

إلى أهلی، " فلما دنا منهن وهن يبکین سكت عنهن - ساعة -، ثم قال لهن : " اسکتن ، فسکتن " : اتقین الله عز وجل واصبرن فانی أرجو من ربی فی وجھی هذا احدى الحسنيين: اما الشهادة وهي السعادة، واما الانصراف ليکن في عافية. وان الذی يرزقکن مؤونتكن هو الله تعالى، وهو حی لا یموت [انظر إلى النفس الملائکية في اهاب البشر الانسانی] أرجو ان لا یضيیکن، وأن یحفظنى فيکن. " ثم انصرف.

وباتت الأسرة اليائسة الولھی (كما یشاء معاویة) تخلط البکاء بالبكاء، وتصل الدعاء بالدعاء، وكم لبات قبیصه يومئذ من أمثال. قال الطبری : " وقع قبیصه من ضبیعه في يدی أبي شریف البدی فقال له قبیصه: ان الشر بين قومی وبين قومک آمن فلیقتلنی سواک، فقال: برتك رحم! ثم قتلہ القضاۓی. "

أقول: وأی نفس قویة هذه التي تنتبه في مثل هذه اللحظة إلى الحؤول دون الشر بين القومین والاحتیاط على الاصلاح.

هـ - کدام بن حیان العتری.

و - محز بن شهاب بن بجیر بن سفیان بن خالد بن منقر التمیمی (٢)

(١) الإصابة (ج ٤ ص ٢٩٤).

(٢) يراجع عما كتبناه في حجر وأصحابه: الدينوری وابن الأثیر والطبری وابن أبي الحدید والاستیعاب والنصائح الكافیة وتاريخ الكوفة.

(٣٤٣)

مفاتیح البحث: مدینة الكوفة (٢)، سفیان بن خالد (١)، البکاء (١)، القتل (٣)، الموت (١)، الشهادة (١)، السکوت (١)، ابن أبي الحدید المعزلی (١)، كتاب الكافئة للشيخ المفید (١)، ابن الأثیر (١)

٢٤١ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٤

وكان من رؤساء الناس، ومن نقاوة الشیعۃ المعروفين بتشيیعهم، وكان محز هدا على میسره جیش معقل بن قیس في حربه للخوارج سنة ٤٣، وكان جیش معقل في هذه الحرب ثلاثة آلاف هم نقاوة الشیعۃ وفرسانهم على حد تعبیر الطبری فيما وصفهم به (ج ٦ ص ١٠٨).

* * * ٢ - عمرو بن الحمق الخزاعی هو ابن الكاھن بن حییب بن عمرو بن القین بن ذراھ بن عمرو بن سعد بن کعب بن عمرو بن ربیعه الخزاعی.

أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى المدینة، فكان الصحابی البر الذي حظی بدعاۃ النبي صلی الله علیه وآلہ بآله بأن یمتعه الله بشبابه، فمررت عليه ثمانون سنة ولم یر له شعرة بیضاء على صباھة في وجهه كانت تزيده بهاء. وصحب بعده أمیر المؤمنین عليا علیه السلام، فكان الحواری المخلص الذي يقول له بحق : " لیت في جندی مائة مثلک ". " وشهد معه الجمل وصفین والنھروان.

ودعا له أمیر المؤمنین بقوله : " اللهم نور قلبے بالتقى، واهدہ إلى صراطک المستقيم ". " وقال له : " يا عمرو انک لمقتول بعدی، وان رأسک لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الاسلام. والويل لقاتلک (١.١)"

قال ابن الأثیر (ج ٣ ص ١٨٣) : ولما قدم زیاد الكوفة قال له عمارۃ بن عقبة بن أبي معيط : ان عمرو بن الحمق یجمع اليه شیعه أبي تراب، فأرسل اليه زیاد: ما هذه الجماعات عندک؟ من أردت کلامه ففى المسجد (٢.٢)

(١) سفینة البحار (ج ٢ ص ٣٦٠).

(٢) وذكر الطبری وشایة عمارۃ بن عقبة ثم قال : " ويقال ان الذي رفع على عمرو بن الحمق وقال له: قد انغل المتصرين هو يزيد بن

رويـم ."

(٣٤٤)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، ابن الأثير (١)، عمرو بن الحمق (٣)، معقل بن قيس (١)، عمرو بن سعد (١)، كعب بن عمرو (١)، الخوارج (١)، السجود (١)، الحرب (١)، السفينـة (١)

صفحة ٢٤٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٥

"ثم لم يزل عمرو [فيما يروى الطبرى] خائفاً متربقاً حتى كانت حادثة حجر بن عدى الكندي فأبلى فيها بلاء حسناً وضربه رجل من الحمراء - شرطة زياد - يدعى بكر بن عبيد بمودع على رأسه فوق وحمله الشيعة فخأه في دار رجل من الأزد، ثم خرج فاراً وصبه الزعيم الآخر [رفاعة بن شداد] فيما المدائـن ثم ارتاحلاً حتى أتياً أرض الموصل فكمنا في جبل هناك، واستنكر عامل ذلك الرستاق شأنهما فساراً بهما بالخيل، فاما عمرو فلم يصل الموصل الاً مريضاً بالاستسقاء، ولم يكن عنده امتناع. واما رفاعة بن شداد - وكان شاباً قوياً - فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتل عنك، قال: وما ينفعني ان تقاتل، انج بنفسك ان استطعت. فحمل عليهم فأفرجوا له، فخرج تنظر به فرسه، وخرجت الخيل في طلبه - وكان رامياً - فأخذ لا يلحقه فارس الا رماه فجرحه أو عقره فانصرفاً عنه. وسألوا عمراً: من أنت؟ فقال: من ان تركتموه كان أسلم لكم، وان قاتلتموه كان أضر لكم!. فسألوه فأبى ان يخبرهم، فبعث به ابن أبي بلتعة، عامل الرستاق، إلى عامل الموصل، وهو (عبد الرحمن بن عثمان الثقفى)، فلما رأى عمرو بن الحمق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فأمره معاوية بأن يطعنه تسع طعنات كما كان فعل بعثمان فطعن ومات بالأولى منهـن أو الثانية."

وخالف ابن كثير رواية الطبرى هذه، فقال: "ان أصحاب معاوية عثروا عليه في الغار ميتاً، فحزروا رأسه، وبعثوا به إلى معاوية، وهو أول رأس طيف به في الإسلام. ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته (آمنة بنت الشريد) وكانت في سجن معاوية [انظر إلى أسطع ألوان الإرهاب] فألقى في حجرها، فوضعت كفها على جبينه، ولثمت فمه، وقالت: غيبيتموه عنى طويلاً، ثم أهديتموه إلى قتيلـاً، فأهلاً به من هدية غير قالـية ولا مقلـية".

"ثم كان فيما كتب به الحسين عليه السلام إلى معاوية: المست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله - العبد الصالـح الذي أبلـته العبـادة - فانحلـت جـسمـه، وصـفـرت لـونـه، بعدـما أـمـتهـ وأـعـطـيهـ (٣٤٥)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، يوم عرفة (١)، حجر بن عدى الكنـدي (١)، عبد الله بن عثمان (١)، رفاعة بن شداد (٢)، عمرو بن الحـمق (٢)، الزوجـة (١)، الجـود (١)، القـتل (١)

صفحة ٢٤٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٦

من عهـود الله ومواـثـيقـه ما لو أعـطـيـتهـ طـائـراً لـنـزـلـ إـلـيـكـ من رـأسـ الجـبـلـ، ثـمـ قـتـلـتـهـ جـرـأـهـ عـلـىـ ربـكـ وـاسـتـخـفـافـاـ بـذـلـكـ الـعـهـدـ." أقول: هو يشير بذلك "العهد" إلى نصوص المادة الخامسة في معاهدة الصلـحـ.

وقـالـ فـيـ سـفـينـةـ الـبـحارـ": وـقـبـرـهـ بـظـاهـرـ المـوـصـلـ، اـبـتـدـأـ بـعـمارـتـهـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ سـعـيدـ بـنـ حـمـدانـ، أـبـنـ عـمـ سـيـفـ الدـوـلـةـ، فـيـ شـعـبـانـ مـنـ سـنـةـ ٣٣٦ـ."

وجـاءـ فـيـ أـصـوـلـ التـارـيخـ وـالـأـدـبـ (جـ ٩ـ صـ ٢ـ):

"قال أبو الحسن على بن أبي بكر الهروي في كتاب الزيارات: وظاهر الموصل على الشرف الاعلى مشهد عمرو بن الحمق، دفت جثته، ورأسه حمل إلى دمشق، وقيل هو أول رأس حمل في الإسلام، وفي المشهد بعض الأشراف من ولد الحسين عليه السلام."

* * * ٣ - عبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه عن محمد بن بحر الشيباني في كتابه "الفروق بين الأباطيل والحقوق" فيما أسنده إلى القاسم بن مجيبة "ما وفى معاوية للحسن بن على بشئ عاهده عليه، وانى قرأت كتاب الحسن إلى معاوية يعدد عليه ذنبه اليه والى شيعة على عليه السلام فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ومن قتلهم معه (١)." أقول: ولا نعرف الآن من أحوال الحضرمي وحادثة قتله وعدة أصحابه المستشهدين شيئاً، ولكننا نعرف أن هذا الرجل كان من رجال أمير المؤمنين وأنه الذي قال له يوم الجمل "ابشر يا ابن يحيى أنت وأبوك".

وعلمنا فيما علل به بعضهم تقديم الحسن عليه السلام ذكر الحضرمي

(١) البحار (ج ١٠ ص ١٠١).

(٣٤٦)

مفاتيح البحث: مولد الإمام الحسين (ع) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، شهر شعبان معظم (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، عبد الله بن يحيى الحضرمي (٢)، أبو عبد الله (١)، عمرو بن الحمق (١)، محمد بن بحر (١)، دمشق (١)، القتل (٣)، الشهادة (٢)، السفينة (١)

صفحة ٢٤٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٧

على غيره من قتلهم معاوية من الشيعة، أن الحضرمي هذا كان أبعدهم عن الدنيا وأقربهم إلى حياة الرهبنة التي لا توهم أى خطر على سياسة الملك. قالوا "علم معاوية ما كان عليه ابن يحيى وأصحابه من الحزن لوفاة على أمير المؤمنين، وحبهم إياه، وإفاضتهم في ذكره وفضله، فجاء بهم وضرب أعناقهم صبراً. ومن أنزل راهباً من صومعته فقتله بلا جنائية منه إلى قاتله أعجب من يخرج قساً من دير فيقتله، لأن صاحب الدير أقرب إلى بسط اليد لتناول ما معه من صاحب الصومعة الذي هو بين السماء والأرض، فتقديم الحسن - فيما عدده على معاوية من الذنوب - العباد على العباد، والزهاد على الزهاد، ومصابيح البلاد على مصابيح البلاد، لا يتعجب منه، بل يتعجب لو قدم في الذكر مقصراً على مخبث ومقتصداً على مجتهد (١)." وفاجئة (عبد الله بن يحيى) أشبه بفاجئة حجر بن عدى، وكلاهما قتل معهما أصحاب، وكلاهما أخذَا بغير ذنب إلا الذنب الذي هو عنوان فضيلتها.

* * *

(١) البحار (ج ١٠ ص ١٠٢).

٤ - رشيد الهرجي (٢) تلميذ على عليه السلام، وصاحب المنقطع إليه، والعالم المعترف له بعلم البلايا والمنايا، يروى عنه ناس كثيرون، ولكنهم جميعاً سكتوا عن اسمه خوف السلطان الأموي، فلم ترو عنه علناً إلا ابنته الوحيدة التي كانت قد حضرت مقتله، وهي التي جمعت أطرافه - يديه ورجليه - وقد قطعها ابن سميه!. قالت تسأله حين قطعت أطرافه "يا أباً هل تجد ألمًا لما أصابك؟ فقال "لا يا بنى لا كالزحام بين الناس!" (٢) رشيد [بالتصرير] وهجري (فتح أولية) نسبة إلى بلاد الهرج - البحرين -

(٣٤٧)

مفاتيح البحث: عبد الله بن يحيى (١)، حجر بن عدى الكندي (١)، صاحب الصومعة (١)، القتل (٥)، الحزن (١)، الإمام أمير المؤمنين

على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، رشيد الهمجي (١)، الخوف (١)

صفحة ٢٤٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٨

أتي به إلى زياد فقال له " : ما قال لك خليلك - يعني عليا عليه السلام - انا فاعلون بك، "؟ قال " : تقطعون يدي ورجلی وتصلبوني ، " فقال زياد " : أما والله لا كذبن حدیثه، خلوا سبیله. " فلما أراد أن يخرج، قال " : ردوه، لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال صاحبك، انك لن تزال تبغى لنا سوءاً ان بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، " فقطعوها وهو يتكلم !، فقال " : أصلبوه خنقاً في عنقه، " فقال رشيد " : قد بقى لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه، " فقال زياد " : اقطعوا لسانه، " فلما أخرجوا لسانه قال " : نفوساً عنى حتى أتكلم كلمة واحدة ، " فنفسوا عنه فقال " : هذا والله تصدق خبر أمير المؤمنين ، أخبرني بقطع لسانی. " وأخرج من القصر مقطعاً، فاجتمع الناس حوله، ومات من ليلته رضوان الله عليه.

قالت ابنته " : قلت لأبي: ما أشد اجتهادك، " ! قال " : يا بنية يأتي قوم بعدها بصائرهم في دينهم أفضل من اجتهادنا. " وقال لها " : يا بنية أميتي الحديث بالكتمان، واجعلى القلب مسكن الأمانة (١). " *

(١) سفينه البحار (ج ١ ص ٥٢٢).

٥ - جويرية بن مسهر العبدى قال ابن أبي الحديد " : ونظر اليه على عليه السلام يوماً فناداه: يا جويرية الحق بي فاني إذا رأيتكم هويتكم، ثم حدثه بأمور سراً، وفي آخر ما حدثه قال: يا جويرية أحب حبيبنا ما أحبنا فإذا أبغضنا فأبغضه، وبغضنا بغيضنا فإذا أحبنا فأحبه. وكان من اختصاصه بعلي عليه السلام ما روى أنه دخل يوماً عليه وهو عليه السلام مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيها النائم استيقظ فلتضرن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك. قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم (٣٤٨)

مفاسد البحث: الأمانة، الإيثمان (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، ابن أبي الحديد المعترلى (١)، جويرية بن مسهر (١)، السفينه (١)

صفحة ٢٤٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٤٩

قال: وأحدثك يا جويرية بأمرك، أما والذى نفسى بيده لتعتلن (١) إلى العتل الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك ول يصلبك تحت جذع كافراً قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية فقطع يده ورجله، وصلبه إلى جانب جذع ابن معكير، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه."

أقول: وروى هذا الحديث أيضاً حبة العرنى رحمه الله. وزاد قوله " : وكان زياد ابن أبيه من نصب العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام وكان يتبع أصحاب على وهو بهم أبصر فيقتلهم تحت كل حجر ومدر. "

* * * ٦ - أوفى بن حصن أحد فرائس الظلم الأموي. طلبه زياد فأبى مواجهته، واستعرض زياد الناس فمر به فقال " : من هذا ؟ فقيل له " : أوفى بن حصن، " فقال زياد " : أتتك بخائن رجاله، " وقال له " : ما رأيك في عثمان ؟ قال " : ختن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم على ابنته " قال " : فما تقول في معاوية ؟ قال " : جواد حليم. " وكان أوفى لبقاً في لغته وأسلوبه فلم يجد عليه زياد ملزاً.

وعاد عليه فقال له " : فما تقول في "؟ قال " : بلغنى أنك قلت بالبصرة: والله لآخذن البريء بالسقيم والمقبول بالمذير، " قال " : قد قلت ذاك (٢) " قال " : خبطةها خطط عشواء.!"

أقول: وكان من لباقه هذا الرجل الحصيف أنه تدرج في أجوبيه لزياد - كما ترى - إلى طريقة حكيمه من الوعظ حاول بها تنبئه إلى أخطائه. ولا تنس أنه كان يقف من عدوه ساعتين بين النطع والسيف،

(١) عتله: جذبه - والعتل - الجافى الغليظ - والزنيم: الدعى.

(٢) روى خطبته أكثر المؤرخين، وروينا هذا الفصل منها في هوامش الفصل الحادى عشر.

(٣٤٩)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)،
الجود (١)، الظلم (١)

صفحة ٢٤٧

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٠

ومن ذمته بين الحق والباطل. وهذا هو ما يزيدنا اعجابا بهؤلاء الابطال من تلاميذه على عليه السلام، ولكن شيئا من وعظه لم يوجد نفعا سوى أن يقول زياد فيه " : ليس النفاخ بشر الزمرة " ثم أمر به فقتل (١.١.).

" ولا أدرى، ولا أظن زيادا نفسه يدرى، بأى جريمة أخذ ابن حصن فأشاط بدمه و " كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماليه " - كما في الحديث -؟ .

والرجل في أجوبيه كلها كمارأيت لم يفضح سرا، ولم يهتك أمرا. ولكن الذى ناقض الكتاب صريحا فأخذ البريء بالسقيم والمقبول بالمذير خلافا لقوله تعالى " : ولا تزر وازرة وزر أخرى " لحرى بأن لا يفهم لغة الحديث ولا لغة الكتاب.

واعتصم بغلواهه فإذا الناس من حوله فى أشد محن الدنيا: جماعات تساق إلى السجون، وزرافات تطارد أينما تكون، ومئات تعرض عليه كل يوم لتسلّم عيونهم، أو لقطع أطرافهم، أو ليؤمر بهم فتحطم ضلعوهم (٢). وبين الكوفة والشام فرائس أخرى ترثى بالأصفاد. وما في الكوفة الا الإرهاب المميت، وما في الشام لهؤلاء الا الموت المرهوب.

وخشعت الكوفة التي كانت تفوح - في أمسها القريب - بالمؤامرات والمعارضات خشوع الجناح الكسيير، بما وسعها من مظالم الحكماء والأمويين. وكان المتأمرون بالأمس هم المتأمرين بالجور اليوم، وكانوا هم الحاكمين بأمرهم فيما يسنون أو فيما ينفذون، فما بالها لا ترجف فقا؟ وما بال أهلها لا يلوذون بالفرار هربا؟..

(١) يراجع ابن الأثير (ج ٣ ص ١٨٣)، والطبرى (ج ٦ ص ١٣٠ - ١٣٢).

(٢) جيء إلى زياد بعمير بن يزيد (من أصحاب حجر بن عدى) وقد أعطى الأمان على دمه وماليه، فأمر به زياد فأوقر بالحديد، ثم أخذته الرجال ترفعه حين إذا بلغ سورها - أعلى القامة - القوه فوقع على الأرض ثم رفعوه ففعلوا به ذلك مرارا! الطبرى (ج ٦ ص ١٤٧).

(٣٥٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (٣)، الشام (٢)، القتل (١)،
الموت (١)، الباطل، الإبطال، البول (٢)، البول (١)، ابن الأثير (١)، حجر بن عدى الكندي (١)

صفحة ٢٤٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥١

وخفى على معاوية وعلى ابن أبيه ورجال مدرسته أن الامعان بالعنف من أكبر الأسباب التي تغذى المثل الاعلى الذي يحاربه الحاكم العنيف، وان العنف لن يستطيع ان يقتل الفكره التي كتب لها الخلود، ولكنها ستظل نواة الشجرة التي ستبقى مع التاريخ. وهذا حييت مئات الملائين - بعد ذلك - وهى تشارك الكوفة فى فكرتها، وتحمل لمعاوية ورجاله وترها الذى لا تخلقه الأيام. التعذيب بغير القتل وكان للغاره الأموية ألوان أخرى غير القتل والتشريد وهدم البيوت ومصادر الأموال وكم الأفواه. فقال ابن الأثير عند ذكره لفاجعة (أوفى بن حصن "): وكأن أول قتيل قتله زياد، بعد حادثة الثلاثين أو الشهرين الذين قطع أيديهم.!! واستبطن معاوية دخائل البصرة والكوفة فلم يدع فى هذين المصرىن رئيس قوم، ولا صاحب سيف، ولا خطيبا مرهوبا، ولا شاعرا موهوبا من الشيعة، الا ازعجه عن مقره، فسجنه، او غله، او شرده، او أهدر دمه!. واليك فيما يلى أمثلة قليلة من هذه النكبات التى قارفها أبو يزيد فى الشخصيات البارزة من رؤساء الشيعة يومئذ.

* * * ب - زعماء الشيعة المراغون ..

(١) عبد الله بن هاشم المرقال:

كان كبير قريش فى البصرة، ورأس الشيعة فيها.

(٣٥١)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (٢)، ابن الأثير (١)، عبد الله بن هاشم (١)، مدينة البصرة (٢)، القتل (٣)

صفحة ٢٤٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٢

وكان أبوه هاشم - المرقال - بن عتبة بن أبي وقاص، القائد الجرى المقدام الذى لقى منه معاوية فى صفين الرعب المميت، وهو يومئذ على ميسرة على عليه السلام.

كتب معاوية إلى عامله زياد "اما بعد، فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة، فشد يده على عنقه، ثم ابعث به إلى."

فطرقه زياد فى منزله ليلاً وحمله مقيدا مغلولاً- إلى دمشق. فأدخل على معاوية، وعنده عمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو "هل تعرف هذا"؟ قال "هذا الذى يقول أبوه يوم صفين "... وقرأ رجزه وكان يحفظه ثم قال متمثلاً:

"وقد ينبت المراعى على دمن الشرى * * * وتبقى حزازات النفوس كما هي " واستمر قائلاً " دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب، فأشخب أوداجه على أثابجه، ولا ترده إلى العراق، فإنه لا يصبر على النفاق، وهم أهل غدر وشقاق وحزب إبليس ليوم هيجانه، وانه له هوى سيوديه، ورأيا سيطغيه، وبطانة ستقويه، وجزاء سيئة مثلها."

وكان مثل هذا المحضر ومثل هذا التحامل على العراق وأهله هو شنشنة عمرو بن العاص المعروفة عنه، ولا نعرف أحدا وصف أهل العراق هذا الوصف العدو قبله.

أما ابن المرقال فلم يكن الرعديد الذى يغلق التهويل عليه قريحته، وهو الشبل الذى تنبىء الأسود الضراجم - فقال، وتوجه بكلامه إلى ابن العاص " يا عمرو! ان اقتل، فرجل أسلمته قومه، وادركه يومه. أفلأ كان هذا منك إذ تحيد عن القتال، ونحن ندعوك إلى التزال، وأنت تلوذ بشمال النطاف (١)، وعقارب الرصاف (٢)، كالآلة السوداء، والنعجة (١) أى بأشأم الجانبيين من الماء القليل.

(٢) العقائق: سهام الاعتذار. كانوا يرمون بها نحو السماء - والرصاف: الحجارة المرصوف بعضها على بعض فى مسيل الماء، فكأنه يقول له: انك تلوذ فى أرض صلبة عند ماء قليل ترمى سهام الاعتذار.

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، دولة العراق (٣)، عبد الله بن هاشم (١)، عمرو بن العاص (٢)، دمشق (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الصبر (١)، القتل (١)

صفحة ٢٥٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٣

القوداء، لا تدفع يد لامس.؟"

فقال عمرو " أما والله لقد وقعت في لهاذم شدقم (١) للأقران ذى لبد، ولا أحسبك منفلتا من مخالب أمير المؤمنين. "

فقال عبد الله " أما والله يا ابن العاص انك لبطر في الرخاء، جبان عند اللقاء، غشوم إذا وليت، هياب إذا لقيت، تهدى كما يهدى العود المنكوس المقيد بين مجراه الشوك، لا- يستعجل في المدة، ولا- يرتجي في الشدة. أفالا كان هذا منك، إذ غمرك أقوام لم يعنفوا صغارا، ولم يمرقوا كبارا، لهم أيد شداد، والسنّة حداد، يدعون العوج، ويذهبون الحرج، يكرثون القليل، ويشفرون الغليل، ويعزون الذليل؟".

فقال عمرو " أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تحقق (٣) أحشاؤه، وتبق أمعاؤه، وتضطرب اصلاوه (٣) كما انطبق عليه ضمد. "

فقال عبد الله " يا عمرو! أنا قد بلوناك ومقاتلك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً، خلوت بأقوام لا يعرفونك، وجند لا يساومونك، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ (٤) عليك عقلك، ولتلجلج لسانك، ولا تضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله. "

فقال معاوية " أيها عنكمما. " وأمر باطلاق عبد الله لنسيبه. فلم يزل عمرو بن العاص يلومه على اطلاقه ويقول:

" أمرتك أمراً عازماً فعصيتك * * * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم أباًه يا معاوية الذي * * * أغان علياً يوم حز الغاصم؟ فلم يشن حتى جرت من دمائنا * * * بصفين أمثال البحور الخضارم وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه * * * ويوشك ان تقع به سن نادم * * *

(١) أى واسع الشدتين.

(٢) تشتق.

(٣) أوساط الظهر.

(٤) جحظ اليه عمله نظر في عمله فرأى سوى ما صنع، وجحظ اليه عقله أى نظر إلى رأيه فرأى سوء ما ارتأى.

٢ - عدى بن حاتم الطائي صحابيًّاً كريماً، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه إذا دخل عليه، وزعيم عظيم، وخطيب مدره، وشجاع مرهوب. أسلم سنة تسع وحسن اسلامه. قال " : فلما قدمت المدينة استشرفني الناس فقالوا: عدى بن حاتم! وقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عدى أسلمت، قلت: إن لي دينا، قال: أنا أعلم بدينك منك.. قد أظن أنه إنما يمنعك غصاضة تراها ممن حولي، وأنك ترى الناس علينا أبلًا واحدًا. قال: هل أتيت الحيرة؟ قلت: لم آتها وقد علمت مكانها. قال: يوشك أن تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف باليت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز. فقلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته. " قال عدى " : فرأيت اثنين: الظعينة، وكنت في أول خيل غارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجئين الثالثة (١). " وقال " : أتيت عمر في أناس من قومي يجعل يفرض للرجل ويعرض عنى، فاستقبلته فقلت: أتعرفني؟ قال: نعم آمنت إذ كفروا، وعرفت إذ نكروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أذبروا. إن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقة طيء (٢). " وقال " : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء (٣). "

* * * ونازعه الرأيَّة يوم صفين عائذ بن قيس الحزمي الطائي، وكانت بنو حزير أكثر من " عدى (٤) رهط حاتم، فوثب عليهم "

عبد الله بن خليفة الطائي "البولاني عند على عليه السلام فقال": يا بني حزمر أعلى عدى توثبون؟ وهل فيكم مثل عدى؟ أو في آبائكم مثل أبي عدى؟ أليس بحامي القربي؟ ومانع الماء يوم (رويَه)؟ أليس بابن ذي المرباع (١) و (٢) و (٣) الإصابة (ج ٤ ص ٤٢٨ - ٤٢٩).

(٤) هو الأب الخامس لعدي. فعدى الصحابي هو ابن حاتم بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى - هذا -. (٣٥٣)

مفاتيح البحث: عمرو بن العاص (١)، الشام (١)، القتل (١)، صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهمما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، يوم عرفة (١)، عبد الله بن خليفة الطائي (١)، عدى بن حاتم (٢)، الوعرة (١)، المنع (١)، الطواف، الطوف، الطائف (١)، الصلاة (١)، الكرم، الكرامة (١)، الوضوء (١)، التصدق (٢)

صفحة ٢٥١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٥

وابن جواد العرب؟ أليس بابن المنبه ماله ومانع جاره؟ أليس من لم يغدر، ولم يفجر، ولم يجهل، ولم يدخل، ولم يمن ولم يجبن؟. هاتوا في آبائكم مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله! أليس وأفضلكم في الإسلام؟ أليس وأفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أليس برأسكم - يوم النخلة - ويوم القدسية - ويوم المدائن - ويوم جلوس القيمة - ويوم نهاوند - ويوم تستر؟. فما لكم ولهم! والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون.

قال له على عليه السلام "حسبك يا ابن خليفة. هلم أيها القوم إلى، وعلى بجماعة طي. "فأتوه جميعا. فقال على عليه السلام "من كان رأسكم في هذه المواطن؟

، "قالت له طيء": عدى. "قال له ابن خليفة": فسلهم يا أمير المؤمنين: أليسوا راضين مسلمين لعدى الرياسة، "فعمل. فقالوا": نعم . "قال لهم": عدى أحقكم بالرأي. فسلموها له (١.)."

* * * وبعث إليه زياد سنة (٥١) وكان في مسجده الذي يعرف (بمسجد عدى) في الكوفة فأخرجته منه، وحبسه. فلم يبق رجل من أهل مصر من اليمن وربيعة ومصر إلا فزع لعدي بن حاتم. فأتوا زياداً وكلموه فيه، وقالوا: "تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".؟

وطلب زياد من عدى أن يجيئه بعدى بن خليفة الطائي، وكان من أصحاب حجر بن عدى أشدائهم على شرطة زياد "الحرماء" فأبى ثم رضى زياد من عدى أن يغيب ابن خليفة عن الكوفة (٢).

* * * ودخل عدى بن حاتم على معاوية، وان معاوية ليهابه ويعرف سداده (١) الطبرى (ج ٦ ص ٥). (٢) ابن الأثير (ج ٣ ص ١٨٩).

(٣٥٥)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهمما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (٢)، عبد الله بن خليفة الطائي (١)، حجر بن عدى الكندي (١)، عدى بن حاتم (٣)، السجود (٢)، الجود (١)، الجهل (١)، الفزع (١)، الجماعة (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٥٢

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٦

الحصيف في مزالق الفتنة، وتمرسه البصير في الشدائدين، وبصيرته النافذة وتجاربه الكثيرة الماضية، فجرى في حديثه معه عند "موهبة الخاصة" التي كان يفرج إليها في منزلة العظام من أعدائه، فقال: "يا عدى أين الطرفات؟ - يعني بنية طريفاً وطارفاً وطرفه" - قال: "قتلوا يوم صفين بين يدي على بن أبي طالب". فقال: "ما أنصفك ابن أبي طالب، إذ قدم بيتك وأخر بيتك". قال: "بل ما أنصفت أنا عليه، إذ قتل وبقيت بعده". فقال معاویة: "أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شریف من أشراف الیمن".! فقال عدى: "والله ان قلوبنا التي أغضناها بها لفی صدورنا، وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلی عواتقنا، ولئن أدنت لنا من الغدر فترا لندنیں إلیک من الشر شبراً! وان حز الحلقوم، وحش رجہ الحیزوم، لا هون علينا من أن نسمع المساءة في على فسلم السيف يا معاویة لباعت السيف".

قال معاویة: "هذه كلمات حكم فاكتبوها - "هزيمة منكرة من معاویة - وأقبل على عدى يحدّثه كأنه ما خاطبه بشيء (١)." ولا خير في حلم إذا لم يكن له * * بودر تحمي صفوه إن يكدرها ثم قال له: "صف لى علياً". فقال: "إن رأيت ان تعفني". قال: "لا أغفیك". قال:

"كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تفجر الحكم من جوانبه، والعلم من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكر، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلب كفيه على ما مضى. يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن. وكان فينا كأحدنا يجيئنا إذا سأله، ويديننا إذا أتيناه. ونحن مع تقريره لنا وقربه منا لا نكلمه لهبيته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته. فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين،

(١) المسعودي هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٦٥).

(٣٥٦)

مفاتيح البحث: على بن أبي طالب (١)، القتل (٢)، اللبس (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٥٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٧

ويتحبب إلى المساكين. لا يخاف القوى ظلمه، ولا يأس الضعيف من عدله. فأقسم لقد رأيته ليلاً وقد مثل في محاربته، وأرخي الليل سرباله، وغارت نجومه، ودموعه تتحادر على لحيته، وهو يتململ السليم، وي بكى بكاء الحزين، فكأنى الآن أسمعه وهو يقول: "يا دنيا! إلى تعرضت أم إلى أقبلت؟، غرى غيري، لا - حان حينك، قد طلتكم ثلاثة، لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير، وخطرك يسير. آه من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنسيس".

فوكفّت عيناً معاویة، وجعل ينشفهما بكمه. ثم قال: "يرحم الله أبا الحسن، كان كذلك. فكيف صبرك عنه؟"؟ قال: "كصبر من ذبح ولدتها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها". قال: "فكيف ذكرك له؟"؟ قال: "وهل يترکنى الدهر أن أنساه؟ (١)." أقول: وتوفي عدى بن حاتم في عهد المختار بن أبي عبيد سنة (٦٨) (٢) وهو ابن مائة وعشرين سنة فماتت معه نفس كريمة لا تخلق الا في ملك، ورأى حصيف لا يختمر الا في حكيم، وايمان صادق لا يعهد الا في ولی.

٣ - صعصعة بن صوحان سيد من سادات العرب، وعظيم من أقطاب الفضل والحسب. أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه لم يلقة لصغره، وأشكلت على عمر أيام خلافته قضية خطب الناس وسألهم عما يقولون - فقام صعصعة، وهو غلام شاب، فأمامط الحجاب، وأوضح منهاج الصواب -، وعملوا برأيه -، وكان من أصحاب الخطط في الكوفة، وشهاد مع أمير المؤمنين "الجمل" و "صفين". قال في الإصابة (٣) ان المغيرة نفى صعصعة بأمر معاویة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين، وقيل إلى

جزیره این کافان فمات بها."

- (١) البيهقي في المحسن والمساوي (ج ١ ص ٣٣).
 - (٢) تاريخ الكوفة (ص ٣٨٨) والإصابة (ج ٤ ص ١١٩).
 - (٣) (ج ٣ ص ٢٣). (٣٥٧)

^٣ مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (٢)، صعصعة بن صوحان (١)، عدي بن حاتم

- (١)، السكاء (٢)، الخوف (١)

صفحه ۲۵۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٨

و "حبس (١) معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبد الله بن الكواه اليشكري ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوما فقال: نشد لكم بالله الا ما قلتم حقا وصدق، أى الخلفاء رأيتمنى؟ فقال ابن الكواه: لو لا انك عزمت علينا ما قلنا، لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الآخيار، ولكننا نقول: انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الشرى بعيد المرعى، تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات، فقال معاوية: ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذaiين عن بيضته، التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كامثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلين ما حرم الله، والمحرمين ما أحل الله. فقال عبد الله ابن الكواه: يا ابن أبي سفيان ان لكل كلام جوابا، ونحن نخاف جبروتك، فان كنت تطلق ألسنتنا ذبينا عن أهل العراق بأسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم، والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويصوننا على فرحة. قال: والله لا يطلق لك لسان - ثم تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تقصر عما أردت، وليس الامر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، ودanhem كبرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا، أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمي، وما كنت فيه الا كما قال القائل: لا حلى ولا سيرى، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والتغير من أجلب على رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم. وانما أنت طليق ابن طليق، أطلقكم رضي الله صلى الله عليه (والله) وسلم. فإني تصلح الخلافة لطليق؟ فقال معاوية: لو لا أنى ارجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

أطع الناس
قابلت جهلهمو حلماً ومغفرةً * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم لقتلتكم، وسأله معاويه: من البرءة ومن الفسقة؟ فقال: يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع، على وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك. وسأله عن أهل الشام فقال:

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، دولة العراق (٢)، صعصعة بن صوحان (١)، الشام (٢)،
الباطل، الإبطال (١)، الكرم، الكرامة (١)، القتل (١)، الوسعة (١)، الضرب (١)، ابن الأثير (١)

صفحه ۲۵۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٩

لخالق، وأعصابهم للخالق، عصاة الجبار، وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار. فقال معاویة: والله يا ابن صوہان انک لحامل مدیتك منذ أزمان، الا أن حلم ابن أبي سفیان يرد عنک. فقال صعصعه: بل أمر الله وقدرته، ان امر الله كان قدرًا مقدورا."

قال المسعودي " : ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإياضاح عن المعانى على ايجاز واختصار " .

وكان صعصعة شخصية بارزة في أصحاب أمير المؤمنين. ووصفه أمير المؤمنين بالخطيب الشحش، ثم وصفه الجاحظ بأنه من أفضح الناس.

وقال له معاوية يوم دخل الكوفة بعد الصلح " : أما والله انى كنت لأبغض ان تدخل في أمانى. " قال " : وأنا والله أبغض أن أسميك بهذا الاسم. " ثم سلم عليه بالخلافة فقال معاوية " : ان كنت صادقا فاصعد المنبر والعن عليا. " فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال " : أيها الناس أتيتكم من عند رجل قدم شره، وأخر خيره. وانه أمرنى ان العن عليا فالعنوه لعنه الله. " فضج أهل المسجد بأمين. فلما رجع اليه فأخبره بما قال. قال " : لا والله ما عنيت غيري، ارجع حتى تسميه باسمه. " فرجم وصعد المنبر ثم قال " : أيها الناس ان أمير المؤمنين أمرنى أن العن على بن أبي طالب فالعنوه. " فضجوا بأمين. فلما أخبر معاوية قال " : والله ما عنى غيري، أخرجوه لا يساكنتى في بلد. " فأخرجوه (١) .

وقال ابن عبد ربه " : دخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره فقال: وسع له على ترابية (٢) فيه. فقال صعصعة: انى والله لترابي، منه خلقت واليه أعود ومنه ابعث، وانك مارج من نار. "

وقدم وفد العراقيين على معاوية، فقدم في وفد الكوفة عدي بن حاتم، وفي وفد البصرة الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان. فقال عمرو بن

(١) السفينه (ج ٢ ص ٣١).

(٢) يعني على حبه لأبي تراب. ويكون بها عن على عليه السلام.

(٣٥٩)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٢)، صلح (يوم) الحديبية (١)، على بن أبي طالب (١)، مدينة البصرة (١)، الأحنف بن قيس (١)، عمرو بن العاص (١)، صعصعة بن صوحان (٣)، عدي بن حاتم (١)، البعث، الإنبعاث (١)، السجود (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، السفينه (١)

صفحة ٢٥٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٠

العاشر لمعاوية " : هؤلاء رجال الدنيا، وهم شيعة على الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفين فكن منهم على حذر. " وفي أحاديث سيد عبد القيس صعصعة بن صوحان سعة لا يلم بها ما نقصده من الإياضاح. وانما أردنا ان نعطي بهذا صفحة من تاريخه مع معاوية وموقف معاوية منه.

٤ - عبد الله بن خليفة الطائي مسuar حرب. كان من موافقه في العذيب، وجلواء الحقيقة، ونهاؤند، وتسير، وصفين ما شهد له بالبطولة النادرة، وهو الخطيب الذي رد الطائين يوم صفين عن مزاحمة (عدي بن حاتم) على الرأي - كما مر عليك في الحديث عن عدي -. وصحب حجر بن عدي الكندي في موقفه القوي الذي وقفه في الذب عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وطارده شرطة زياد [وهم أهل الحمراء يومئذ] فامتنع عليهم، وهزمهم بقومه. خرجت أخته النوار فقالت " : يا عشر طيء أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة "؟ فشد الطائين على الشرط فضربوهم، وأعitti الحيلة به زيادا فقبض على زعيم قبيلته (عدي بن حاتم) فحبسه أو يأتيه بابن خليفه. وأبي عدي أن يأتيه به ليقتلها، فرضي زياد منه بأن يغيبه عن الكوفة.

فأشعار عدي على عبد الله بمغادرة الكوفة ووعده أن لا يألوا جهدا في ارجاعه إليها، فسار إلى "الجلبين (١)" وقيل إلى "صنعاء". ولم

يزل مشردا هناك مشبوب الأشواق إلى وطنه.

وطال عليه الأمد فكتب إلى عدى يستنجزه وعده، وكان شاعرا يجيد الوصف، وله عدة قصائد ومقطوعات يعاتب بها عديا ويذكره سوابقه وغربته واسارته، ولكن ظروف عدى لم تساعدة على إسعافه، فبقى هناك حتى مات رحمة الله (٢) قبل موت (زياد) بقليل.

(١) هما جيلا طيء: أجا وسلمى، بينهما وبين "فدى" يوم، وبين "خبير" خمس ليال، وبينهما وبين المدينة ثلاثة مراحل.

(٢) يراجع الطبرى (ج ٦ ص ٥ وص ١٥٧ - ١٦٠).

نهاية المطاف

(٣٦٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٢)، عبد الله بن خليفة الطائى (١)، عبد الله بن خليفة (١)، حجر بن عدى الكندى (١)، صعصعة بن صوحان (١)، عدى بن حاتم (٢)، الوسعة (١)، الشهادة (١)، الموت (١)، القتل (١)، الحرب (١)، خبير (١)، الطواف، الطوف، الطائف (١)

٢٥٧ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٢

وبقى بين فجوات هذه الاحداث خلاء ملحوظ في التاريخ، لم تملأ المصادر التي بين أيدينا بالعروض التي تناسب تلك الاحداث. رأينا - إلى هنا - مبلغ وفاء معاوية بما أخذه على نفسه من شروط.

وعلمنا - إلى هنا - ان المعاهدة بأبوابها الخمس، لم تلق من الرجل أية رعاية تناسب تلك العهود والمواثيق والآيمان التي قطعها على نفسه. فلا هو حين تسلم الحكم عمل على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين. ولا ترك الامر من بعده للشوري، أو لصاحب الحق فيه. ولا أفلح عن شتم على عليه السلام. ولكنه زاد حتى ملأ منابر الاسلام سبابا وشتما. ولا وفي بخارج. ولا سلم من غواله شيعة على وأصحابه. ولكنه - وبالرغم من كل هذه الشروط والعقود - طالعهم بالأولياء البكر والأفعيل النكر من بوائقه: فكان أول رأس يطاف به في الاسلام منهم، وبأمره يطاف به.

وكان أول انسان يدفن حيا في الاسلام منهم، وبأمره يفعل به ذلك.

و كانت أول امرأة تسجن في الاسلام منهم، وهو الأمر بسجنتها.

و كان أول شهداء يقتلون صبرا في الاسلام منهم، وهو الذي قتلهم.

واستقصى معاوية بنود المعاهدة كلها بالخلف!!.

فاستقصى أيمانه المغلظة بالحنث، ومواثيقه المؤكدة التي واثق الله تعالى عليها بالنقض!!!..

فأين هي الخلافة الدينية يا ترى؟؟؟..

* * *

(٣٦٢)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الشهادة (١)، الدفن (٢)، الخمس (١)

٢٥٨ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٣

وبقيت آخر فقرة من المعاهدة، تحاماها معاوية لأنها كانت أدق شروطها حساسية وأروعها وقعا. وكان عليه إذا أساء الصنيع بهذه

الفقرة ان يتحدى القرآن صراحة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةً.
فصبّر عليها ثمانى سنين، ثم ضاق بها ذرعاً، وثارت به أمويته التي كان لا يزال يصارع لصاقتها، بامثال هذه الأفعيل، ليعود بها أمويّة
صربيحة تشهد لهند بالبراءة من قاله الناس وشهادات المؤرخين، ولن يكون ابن أبي سفيان حقاً!
فما لابن أبي سفيان ولرسول الله؟ وما لابن هند وكتاب الله؟
وكانت مطفئة الرضف التي أنسَت الناس الرزايا قبلها.
ثم هي أول ذل دخل على العرب - كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه -.
بل أول ذل دخل على الناس - كما قال أبو اسحق السباعي رحمه الله -.
وكانت بطبيعتها، أبعد مواد المعاهدة عن الخيانة، كما كانت بظروفها وملابساتها أجدرها بالرعاية. وكانت بعد نزع السلاح ولف اللواء
والالتزام من الخصم بالوفاء، أفضع جريمة في تاريخ معاوية الحافل بالجرائم.
وما في المدينة - موطن الحسن عليه السلام - ولا في أهل البيت، ولا في شيعة الحسن، ولا في جميع ما يمت إلى الحسن بسبب أو
نسب، أى موجب يستدعي الوهم، أو يوْقِظُ الريبة، أو يثير الظنون بأمر يخشاه معاوية على دنياه.
إذا، فما هذا الغدر وما هو العذر؟..

وأين تلك العهود والعقود والإيمان التي لا تبلغ قواميس اللغة أشد منها ألفاظاً غلاظاً وتأكيداً شديداً؟
ترى، فهل نعتذر عن معاوية بما اعتذر به الأغوار المنسوبون إلى الإسلام عن ابنه يزيد في قتل الحسين ابن رسول الله عليه وعلى جده
أفضل الصلاة والسلام، فقالوا "شاب مغدور، ألهته القرود وغلبت عليه الخمور والفحور".؟.
(٣٦٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المحببي عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله
بن عباس (١)، القرآن الكريم (١)، الخصومة (١)، القتل (١)، الشهادة (١)، الصلاة (١)

صفحة ٢٥٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٤
فأين - إذا - حنكة معاوية ودهاؤه المزعوم؟ وأين سنه الطاعنة وتجاربه في الأمور؟.
ان بائقه الألب هذه، كانت هي السبب الذي بعث روح القدوة في طموح الابن. فيليستر كا - متضامن - في إنجاز أعظم جريمة في
تاريخ الإسلام، تلك هي قتل سيد شباب أهل الجنة الأحدين الذين لا ثالث لهم. وليتعاونا معاً، على قطع "الواسطة الوحيدة" التي
انحصر بها نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. والجريمة - بهذا المعنى - قتل مباشر لحياة رسول الله بامتدادها التاريخي!!..
نعم، والقاتلان - مع ذلك - هما الخليفتان في الإسلام!!!..
فوا ضبيعة الإسلام ان كان خلفاؤه من هذه النماذج!!!..

* * * وكان الدهاء المزعوم لمعاوية هو الذي زين له أسلوباً من القتل فصر عنه ابنه يزيد. فكان هذا "الشاب المغدور" - وكان ذاك
"الداهية المحنك في تصريف الأمور!!!"
ولو تنفس العمر بأبي سفيان إلى عهد ولديه هذين، لأيقن انهما قد أجادا اللعبة التي كان يتمناها لبني أبيه.
فاستعمل معاوية مروان بن الحكم (١)، على إقناع جعدة بنت الأشعث
(١) وروى المسعودي هامش ابن الأثير (ج ٥ ص ١٩٨) والبيهقي (ج ١ ص ٦٤) سعى الحسن عليه السلام بالأمان لمروان يوم الجمل،
وكان قد أخذ أسيراً، وقيل كان مختفياً في بيت امرأة في البصرة.

وقال الشريف الرضي في النهج (ج ١ ص ١٢١) قالوا: "أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلماه فيه فخلى سبيله، فقال له: يا ياعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أولم يبأعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيته، إنها كف يهودية، لو بأعني بكفه لغدر بسبته. أما ان له امرأة كلعقة الكلب أنفه. وهو أبو الأكبش الأربع. وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر." أقول: وجزى مروان سعى الحسن له بالأمان بسعيه إلى جعده بقتله " وكل اباء بالذى فيه ينضح."

(٣٦٤)

مفاتيح البحث: سبطى رسول الله الحسنان عليهما السلام (١)، الرسول الأـكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه (١)، مروان بن الحكم (٢)، التاريخ الإسلامي (١)، الضياع (١)، القتل (٥)، السب (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، ابن الأثير (١)، مدينة البصرة (١)، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (١)

صفحة ٣٦٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٥

ابن قيس الكندي - وكانت من زوجات الحسن عليه السلام - بأن تسقى الحسن السم [وكان شربه من العسل بماء رومء]. فان هو قضى نحبه زوجها بيزيد، وأعطتها مائة الف درهم.

وكانت جعده هذه بحكم بنته للأشعث بن قيس - المنافق المعروف - الذي اسلم مرتين، بينهما ردة منكرة، أقرب الناس روها إلى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام "ان الأشعث شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعده سمت الحسن، وابنه محمد شرك في دم الحسين."

أقول: وهكذا تم لمعاوية ما أراد.

وحكم ب فعلته هذه على مصير أمة بكمالها، فأغرقتها بالنكبات، وأغرق نفسه وبنيه بالذحول والحروب والانقلابات. وتم له بذلك نقض المعاهدة إلى آخر سطر فيها.

وقال الحسن عليه السلام وقد حضرته الوفاة "لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال (١)."*

* * * وورد بريد مروان إلى معاوية، بتنفيذ الخطة المسمومة، فقال "يا عجبا من الحسن شرب شربة من العسل بماء رومء فقضى نحبه (٢)."*

ثم لم يملک نفسه من اظهار السرور بموت الحسن عليه السلام.

"وكان بالخضراء، فكبير، وكبر معه أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف [زوج معاوية] من خوخة (٣) لها، فقالت "سرك

(١) المسعودي هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٥٥ - ٥٦).

(٢) ابن عبد البر.

(٣) هي الكوة التي تؤدى الضوء إلى البيت، والباب الصغير في الباب الكبير.

(٣٦٥)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام

الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٣)، التصديق (١)، الزوج، الزواج (٣)، السجود (١)، النفاق (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٦١

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٦

الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسررت به."؟ قال "موت الحسن بن علي،" فقالت "انا الله وانا اليه راجعون،" ثم بكت وقالت "مات سيد المسلمين، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم" فقال معاوية "نعمما والله ما فعلت، انه كان كذلك، أهل ان يبكي عليه".

وزاد ابن قتيبة على هذا بقوله "فلما أتاه الخبر أظهر فرحا وسرورا حتى سجد وسجد من كان معه، وبلغ ذلك عبد الله بن عباس - وكان بالشام يومئذ - فدخل على معاوية فلما جلس، قال معاوية: يا ابن عباس، هلك الحسن بن علي. فقال ابن عباس: نعم هلك انا الله وانا اليه راجعون ترجعوا مكررا. وقد بلغنى الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أما والله ما سد جسدك حفترك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك. ولقد مات وهو خير منك. ولthen أصبتنا به، لقد أصبتنا بمن كان خيرا منه، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجبر الله مصيبيه وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة.

"ثم شهق ابن عباس وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية. قال الراوى: فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم. فقال معاوية: كم اتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: امر الحسن أعظم من ان يجعل أحد مولده. قال: فسكت معاوية يسيرا ثم قال: يا ابن عباس، أصبحت سيد قومك من بعده. فقال ابن عباس: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا (١)."

* * * وعرض اليعقوبي (ج ٢ ص ٢٠٣) صورة عن الأثر العظيم الذي قوبل به نبأ وفاة الحسن عليه السلام في الكوفة، وما اجتمع عليه زعماء الشيعة هناك في دار كييرهم (سليمان بن صرد) وتعزيتهم الحسين عليه السلام بكتاب مفتح بليغ.

(١) ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦ (ص ١٥٩ - ١٦٠) وذكر مثله أو قريبا منه اليعقوبي والمسعودي أيضا.

(٣٦٦)

مفاسيخ البحث: ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآلها (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلها (١)، عبد الله بن عباس (٧)، سليمان بن صرد (١)، مدینه الكوفة (١)، الحسن بن علي (٢)، الشام (١)، الموت (٢)، الجهل (١)، ال�لاك (٢)، الوفاة (٢)

صفحة ٢٦٢

صلاح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٧

وبلغ نعيه البصرة - وعليها زياد بن سمية - بكى الناس وعلا الضجيج فسمعه أبو بكرة [أحو زياد لامه] - وهو إذ ذاك مريض في بيته - فقال "أراحه الله من شر كثير، وقد الناس بمorte خيرا كثيرا يرحم الله حستا (١)." وأبنه أخوه محمد بن الحنفية، وقد وقف على جثمانه الشريف، واليكم نص تأييه:

"رحمك الله أبا محمد، فوالله لئن عزت حياتك، لقد هدت وفاتك. ونعم الروح روح عمر به بدنك، ونعم البدن بدن ضمه كفنك، ولم لا - تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وحلف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكسae. غذتك كف الحق، وربيت في حجر الاسلام، وأرضعتك ثديا الایمان. فطلب حيا وميتا، فعليك السلام ورحمة الله، وان كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكه في الخيار لك (٢)."*

* * * والنصوص على اعتيال معاوية الحسن بالسم متضاده كاوضحة قضية في التاريخ.

ذكرها صاحب الاستيعاب، والإصابة، والارشاد، وتذكرة الخواص ودلائل الإمامة (٣). ومقاتل الطالبيين، والشعبي، واليعقوبي، وابن سعد في الطبقات، والمدائني، وابن عساكر، والواقدي، وابن الأثير، والمسعودي، وابن أبي الحديد، والمرتضى في تنزيه الأنبياء. والطوسى في أماليه، والشريف الرضى في ديوانه، والحاكم في المستدرك، وغيرهم.

وقال في "الباء والختام": "وتوفي الحسن سنة ٤٩ للهجرة. سنته جعده بنت الأشعث بما دسه معاوية إليها، ومنها بزوج ولده يزيد،

ثم

- (١) ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ٤).
- (٢) اليعقوبي (ج ٢ ص ٢٠٠) والمسعودي هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٥٧) بتفاوت قليل في بعض الكلمات.
- (٣) للطبرى.
- (٣٦٧)

مفاتيح البحث: كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزى (١)، ابن أبي الحديد المعترلى (٢)، أهل الكساء (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، ابن عساكر (١)، ابن الأثير (٢)، مدينة البصرة (١)، الشريف الرضى، أبو الحسن محمد بن الحسين (١)، القتل (١)، الزوج، الزواج (١)

صفحة ٢٦٣

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٦٨
نقض عهدها".

وقال ابن سعد في طبقاته: "سمه معاوية مرارا."

وقال المدائني: "سقى الحسن السم أربع مرات."

وقال الحكم في مستدركه (١): ان الحسن بن على سم مرارا. كل ذلك يسلم حتى كانت المرأة الأخيرة التي مات فيها، فإنه رمى كبده."

وقال اليعقوبي: "ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي ان هذه آخر ثلات مرات سقيت فيها السم، ولم أستقه مثل مرتي هذه، وانا ميت من يومي. فإذا أنا مت فادفني مع رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم، فما أحد أولى بقربه مني، الا أن تمنع من ذلك، فلا تسفك فيه محجمة دم."

وقال ابن عبد البر: "دخل الحسين على الحسن، فقال: يا أخي اني سقيت السم ثلاث مرات، ولم اسق مثل هذه المرأة. اني لأضع كبدى. فقال الحسين: من سقاك يا أخي؟. قال: ما سوالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ كلهم إلى الله."

وقال الطبرى في دلائل الإمامة (٢): وكان سبب وفاته أن معاوية سمه سبعين مرة فلم ي العمل فيه السم، فأرسل إلى امرأته جعده بنت محمد (كذا) بن الأشعث بن قيس الكندي وبذل لها عشرين الف دينار واقطاع عشر ضياع من شعب السواد، سواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجها يزيد ابنته. فسقت الحسن السم في براده من الذهب في السوق المقند."

* * * وقال الله عز من قائل: "فهل عسيتم ان تفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم."

(١) (ج ٦ ص ٥) طبع باريس.

(٢) ص ٦١

خاتمة: في الموازنـة بين ظروف الحسن وظروف الحسين

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، أشعث بن قيس الكندي (١)، الحسن بن علي (١)، الموت (١)

صفحة ٢٦٤

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٧٠

ورأى كثير من الناس، ان الشم الهاشمي الذى اعتاد ان يكون دائما فى الشواهد، كان أليق ب موقف الحسين عليه السلام، منه بموقف الحسن عليه السلام.

وهذه هى النظرة البدائية التى تفقد العمق ولا تستوعب الدقة.

فما كان الحسن في سائر مواقفه، الا-الهاشمى الشامخ المجد، الذى واكب فى مجاداته مثل أبيه وأخيه معا، فإذا هم جميراً أمثلةً المصلحين المبدئيين في التاريخ. ولكل - بعد ذلك - جهاده، ورسالته، وموافقه التي يستمليها من صميم ظروفه القائمة بين يديه، وكلها الصور البكر في الجهاد، وفي المجد، وفي الانتصار للحق المهضوم المغصوب.

* * * وكان احتساء الموت - قتلا - في ظرف الحسين، والاحتفاظ بالحياة - صلحا - في ظرف الحسن، بما مهدا به - عن طريق هاتين الوسائلتين - لضمان حياة المبدأ، ولبرهنة على إدانة الخصوم، هو الحل المنطقي الذي لا مدعى عنه، لمشاكل كل من الطرفين، وهو الوسيلة الفضلى إلى الله تعالى، وإن لم يكن الوسيلة إلى الدنيا. وهو الظفر الحقيقي المتدرج مع التاريخ وإن كان فيه الحرمان حالاً وخسارة السلطان ظاهراً.

وكانت التضحية: تضحية الحسين بالنفس، وتضحية الحسن بالسلطان، بما قصاري ما يسمى إليه الزعماء المبدئيون في مواقفهم الإنسانية المجاهدة.

وكان عوامل الزمن التي صاحبت كلا- من الحسن والحسين في زعامته، هي التي خلقت لكل منهما ظرفا من أصدقائه، وظرفا من أعدائه،

(٣٧٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهم السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى (عليهم السلام) (١)، الموت (١)

صفحة ٢٦٥

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٧١

لا يشبه ظرف أخيه منهما، فكان من طبيعة اختلاف الطرفين اختلاف شكل الجهادين، واختلاف النهايتين أخيراً.

١ - ظروفهما من أنصارهما ومثلت خيانة الأصدقاء الكوفيين، بالنسبة إلى الحسين عليه السلام خطوطه الموقفة في سبيل التمهيد لنجاحه المطرد في التاريخ، ولكنها كانت بالنسبة إلى أخيه الحسن عليه السلام - يوم مسكن والمداشر - عقبته الكؤود التي شلت میدانه عن تطبيق عملية الجهاد. ذلك لأن حوادث نقض بيعة الحسين كانت قد سبقت تعبئته للحرب، فجاء جيشه الصغير يوم وقف به للقتال، منخولاً من كل شائبة تصويره كجيش امام له أهدافه المثلثة.

أما الجيش الذي أخذ موقعه من صفوف الحسن، ثم فر ثلاثة ونفرت به الدسائس المعادية، فإذا هو رهن الفوضى والانتقام والثورة، كذلك هو الجيش الذي خسر به الحسن كل أمل من نجاح هذه الحرب.

ومن هنا ظهر أن هؤلاء الأصدقاء الذين بایعوا الحسن وصحبوا إلى معسكته كمجاهدين، ثم نکثوا بيعتهم وفروا إلى عدوهم أو ثاروا باماتهم، كانوا شرًا من أولئك الذين نکثوا بيعة الحسين قبل أن يواجهوه. وهكذا مهد الحسين لحربه - بعد أن نخلت حوادث الخيانة أنصاره - جيشا من أروع جيوش التاريخ أخلاصا في غايته وتفاديًا في طاعته وان قل عددا.

أما الحسن فلم يعد بامكانه أن يستبقى حتى من شيعته المخلصين أنصارا يطمئن إلى جمعهم وتوجيه حركاتهم، لأن الفوضى التي انتشرت عدواها في جنوده كانت قد أفقدت الموقف قابلية الاستمرار على العمل، كما أشير إليه سابقا. وأى فرق أعظم من هذا الفرق بين ظرفهما من أنصارهما؟

٢ - ظروفهما من أعدائهم وكأن عدو الحسن هو معاوية، وعدو الحسين هو يزيد بن معاوية. وللفرق بين معاوية ويزيد ما طفح به التاريخ، من قصة البلادة السافرة في "الابن". والنظرة البعيدة العمق التي زعم الناس لها الدهاء في "الأب". وما كان لعداؤه هذين العدوين ظرفها المرتجل مع الحسن والحسين، ولكنها الخصومة التاريخية التي أكل عليها الدهر وشرب بين بنى هاشم وبين أمية.

ولم تكن الأموية يوما من الأيام كفوا للهاشمية (١). وإنما كانت عدوتها التي تخافها على سلطانها، وتناوئها - دون هوادة -. وكان هذا هو سر ذكرها بإزائها في أفواه الناس وعلى أسلاف أعلام المؤرخين. والا فأين سورة الهوى من مثل الكمال؟ وأين انساب الخنا من المطهرين في الكتاب؟. وأين شهوة الغلب، وحب الأثراء، وألوان الفجور، من شتى المزايا في ملكات العقل، وسمو الأخلاق، وطهارة العنصر، وآفاق العلوم التي تعاونت على تغذية الفكر الإنساني في مختلف مناحي الثقافات العالية، فأضافت إلى ذخائره ثروة لا تطاول؟. أولئك هم بنو هاشم الطالعون بالنور. وأين هؤلاء من أولئك؟.

ولم يكن من الاحتمال بعيد ما قدره الحسن بن علي احتمالا قريبا، - فيما لو اشتباك مع عدوه التاريخي معاوية بن أبي سفيان بن حرب في

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما كتبه إلى معاوية جوابا : " ولم يمنعنا قديم عزنا ولا عادى طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء، ولستم هناك، وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا سيدة نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب، إلى كثير مما لنا وعليكم ". (٣٧١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهم السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، معاوية بن أبي سفيان لعنهم الله (١)، الدولة الأموية (١)، يزيد بن معاوية لعنهم الله (١)، بنو أمية (١)، الحسن بن علي (١)، القتل (١)، الحرب (٢)، الشهوة، الإشتاء (١)، الخسنان (١)، الأكل (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)

صفحة ٢٦٦

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٧٣
حرب يائسة مثل هذه الحرب - أن تجر الحرب بذيلها أكبر كارثة على الإسلام، وأن تيد بمكائدتها آخر نسمة تنبض بفكرة التشيع لأهل البيت عليهم السلام. ولما عاویة قابلياته الممتازة لتنفيذ هذه الخطوة وتصفية الحساب الطويل في التاريخ، وهو هو في عدائه الصرير على ولأولاده ولشيعتهم.

وفيما مر من الكلام على هذا الموضوع كفاية عن الإعادة.

أما الحسين فقد كفى مثل هذا الاحتمال حين كان خصمه الغلام المترف الذى لا يحسن قيادة المشاكل، ولا تعبئه التiarات، ولا حياكة الخطط، ثم هو لا يعنيه من الامر الا ان يكون الملك ذا الخرائن، حتى ولو واجهه الأخطل الشاعر بقوله - على رواية البيهقي -

"ودينك حقاً كدين الحمار *** بل أنت أكفر من هرمز" وكفى الحسين هذا الاحتمال، بما ضمنه سيف الارهاب الذى طارد الشيعة تحت كل حجر ومدر في الكوفة وما إليها، والذى حفظ في غيابات السجون والمهاجر وكهوف الجبال سيلا من السادة الذين كانوا يحملون مبادئ أهل البيت، وكانوا يؤتمنون على ايصال هذه المبادئ إلى الأجيال بعدهم.

فرأى ان يمضي في تصميمه مطمئنا على خطته وعلى أهدافه وعلى مستقبلهما من أعدائه.

أما الحسن فلم يكن له أن يطمئن على مخلفاته المعنوية طمأنينة أخيه وفي أعدائه معاویة وثالوثة المخيف وخططهم الناصبة الحقدود التي لا حد لفظاعتها في العداوة والحدق.

* * * وأخيراً فقد أفاد الحسين من غلطاته معاویة في غاراته على بلاد الله الآمنة المطمئنة، وفي موقفه من شروط صلح الحسن، وفي قتله الحسن بالسم، وفي بيته لابنه يزيد وفي أشياء كثيرة أخرى، بما زاد حركته في

(٣٧٣)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، التعبأة، العبء (١)، القتل (١)، الحرب (٣)

٢٦٧ صفحه

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٧٤

وجه الأممية قوة ومعنى وانطباقا صريحا على وجهة النظر الاسلامي في الرأي العام.

وأفاد - إلى ذلك - من مزاق الشاب المأخوذ بالقرود والخمور "خليفة معاویة،" فكانت كلها عوامل تتصرف معه في تنفيذ أهدافه. وكانت ظروفه من أعدائه وظروفه من أصدقائه تتفقان معا على تأييد حركته، وانجاز مهمته، والأخذ به إلى النصر المجنح الذي فاز به في الله وفي التاريخ.

أما الحسن فقد أعيته - كما بينا سابقا - ظروفه من أصدقائه فحالت بينه وبين الشهادة، وظروفه من أعدائه فحالت بينه وبين مناجزتهم في الحرب التي كان معناها الحكم على مبادئه "بالاعدام."

لذلك رأى لزاما ان يطور طريقة جهاده، وان يفتح ميدانه من طريق الصلح.

وما كانت الألغام التي وضعها الحسن في الشروط التي أخذها على معاویة الا وسائله الدقيقة التي حكمت على معاویة وحزبه بالفشل الذريع في التاريخ.

ومن الصعب حقا أن نميز - بعد هذا - أي الأخرين عليهم السلام كان أكبر أثرا في جهاده، وأشد نفوذا إلى أهدافه، وأبعد امعانا في النكأة بأعدائه.

ولم يبق مخفيا أن تاريخ نكبات أمية بعد عملية الحسن في الصلح كان متصلة بالحسن، مرهونا بخطشه، خاضعا لتوجيهه. وأن حدثا واحدا من أحداث تلك النكبات لم يكن ليقع كما وقع، لو لا هذه العملية الناجحة التي كان من طبيعة ظروفها أن تستثار بالنجاح، وكان من طبيعة خصومها أن يكونوا أعواانا على نجاحها من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

(٣٧٤)

مفاتيح البحث: الدولة الأممية (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الشهادة (١)، الحرب (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

تعريف مركز القائمة باصفهان للتحرييات الكمبيوترية

جاهدوا يا موالىكم و أنفسكم في سبيل الله ذلّكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبه ٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَعْلَمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَتَبَعُونَا... (بنادر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الإسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧.

مؤسسة مجتمع "القائمة" الثقافية بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمة الله - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيته (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضور الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) وبساحة صاحب الرمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسةً و طريقةً لم ينطفئ مصباحها، بل تتبع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحري الحاسوبي - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناء سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ متعددة: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و أهل البيت عليهم السلام) و معارفهم، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأدق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلاطية المبتذلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعية ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بياущ نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطالب، توسيع ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلامية، إناة المتابع اللازم لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بشّها بالأجهزة الحديثة متقدمةً، على أنه يمكن تسريع إبراز المراقب و التسهيلات - في آكتاف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتب، نشرة شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة

ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (=بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

د) إبداع الموقع الإلكتروني "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في الفنون القمرية

و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الأخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التقليدي و اليدوي للبلوتون، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجامع، الأماكن الدينية كمسجد جمکران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضياً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/شارع "مسجد سيد" ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و "فائی" / "بنيه" القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (١٤٢٧= الهجريّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: (٠٠٩٨٣١١) ٢٣٥٧٠٢٣ - ٢٥

الفاكس: (٠٣١١) ٢٣٥٧٠٢٢

مكتب طهران (٠٢١) ٨٨٣١٨٧٢٢

التّجاريّة و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين (٠٣١١) ٢٣٣٣٠٤٥

ملحوظة هامة:

الميّزانيّة الحاليّة لهذا المركّز، شعّيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، وغير ربحيّة، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد والمتسّع للامور الدينيّة والعلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّح هذا المركّز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفق الكلّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حد التّمكّن لكلّ أحدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولئ التوفيق.



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
أرجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

